بعون الله تم تصحيح الرسالة تصحيحه في هذه النسخة

د. ... البحراوي
د. يوسف علي رابح الثقفي
د. عبد الرحمن عبد الله بن دهيش
الطالب / نصير أحمد نور أحمد

٢٢/٥/١٤٠٥

١٧

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
الدراسات العليا التاريخية

عصر أكبر
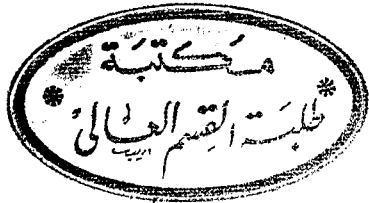
سلطان الدولة المغلية الإسلامية في الهند

رسالة مقدمة من

نصير أحمد نور أحمد

للحصول على درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي الحديث

إشراف

الأستاذ الدكتور: محمد عبد اللطيف البحراوي

١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م

كيفيــة نطق بعض الحروف الفارسية الواردة فى البحــث :

پ	:	تلفظ كحرف P ، كما فى كلمــــة	People
چ	:	تلفظ كحرفى CH، كما فى كلمــــة	Chair
گ	:	تلفظ كحرف G ، كما فى كلمــــة	God

المقدّمة

بسم اللـه الرحمن الرحـيم

الحمد لله الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

كانت رغبتى العامة هى أن أختار موضوعا فى تاريخ المشرق الاسلامى ، اعتقادا منى بأن ذلك التاريخ لم ينل حقه فى الدراسات الجامعية العربية المتخصصة ، وتأكدت لدى هذه الرغبة ،بتشجيع من أساتذتى الأفاضل وعلى الأخص أستاذى المشرف ، الذى نظر الى إجادتى اللغة الفارسية ، ورأى ، على حد قوله ، أن يغتنم هذه الفرصة فى الاستفادة من المصادر الفارسية الأصلية ، التى حال الحاجز اللغوى من الرجوع إليها فى الدراسات التاريخية العربية المتخصصة ، ومن ثم رأيت أن يكون الموضوع من موضوعات تاريخ المشرق الاسلامى الحديث ، وذلك نظرا لأهمية ذلك التاريخ فى تكوين العالم الاسلامى المعاصر ، كما لمست ذلك فى دراستى بالسنة المنهجية .

ولما كانت اللغة الفارسية هى لغة الثقافة بصفة عامة فى المشرق الاسلامى فى مطلع العصر الحديث ، فقد جاءت أمهات المصادر بهذه اللغة ، وقد اتفقت مع أستاذى المشرف فى أنه من الأهمية القصوى أن نعود إلى المصادر الفارسية كمصدر أساسى ، لأن كل الذين كتبوا فى تاريخ المشرق الاسلامى بلغتنا العربية قد رجعوا الى ما كتبه الأوربيون ، وأنه قد آن الأوان لأن نقفز من فوق هذا لنصل إلى المعين الأساسى ، ولا نظل أسيرين لكتابات الأوربيين وأفكارهم ، وسمعت من أستاذى المشرف يؤكد أكثر من مرة أن

تاريخ الدولة العثمانية يقتضى حتما معرفة اللغة التركية وتخطى الحاجز الأوربى والأخذ من المعين الأصلى ، وكذلك الحال بالنسبة للطرف الشرقى من المشرق الإسلامى ، فقد آن الأوان لهذا القفز والوصول إلى المصادر الأصلية الفارسية وهذه هى الطريقة المثلى والحتمية لتصفية مخلفات الاستعمار الأوربى الثقافية والفكرية فى عالمنا الاسلامى .

ومن ثم عملت فى موضوعى هذا وأنا أشعر شعورا عميقا بأننى أؤدى واجبا إسلاميا ..

كان من الممكن أن أختار موضوعا فى الدولة الصفوية ، ولكننى وجدت أن هذه الدولة قد تطرقت إليها البحوث التاريخية العربية ولو بشكل ضمنى ويسير ، لأن هذه الدولة كانت فى نزاع مستمر مع الدولة العثمانية ، فكل من كتب أو بحث فى الدولة العثمانية ، تطرق بشكل أو بآخر إلى الكلام عن الدولة الصفوية أيضا ، فقررت أن يكون موضوعى من موضوعات التاريخ الإسلامى الهندى الحديث ، آملا أن أضيف جديدا إلى المكتبة التاريخية العربية ، حيث رأيتها بحاجة ماسة إلى مثل هذه البحوث ؛ لأن الحاجز اللغوى كما قلنا حال دون الدراسات التخصصية فى هذا المجال وبالتالى لم يتيسر لمؤلفيها مراجعة المصادر الأصلية .

ومما لا شك فيه أن تاريخ الهند الحديث جدير بالدراسة العربية المتأنية الفاحصة الشاملة ، ولا ترجع هذه إلى أهمية شبه القارة الهندية

لذاتها فحسب ، بل ولأن تاريخ الهند الحديث ، كان ذا تأثير كبير فى مصير البلاد المجاورة ، والبلدان التى كانت تقع على طرق أوربا البحرية إلى الهند .

ويعتبر تاريخ الدولة المغلية الإسلامية فى الهند ، هو تاريخ الهند فى مطلع العصور الحديثة ، تلك الدولة التى حكمت شبه القارة الهندية لعشرات من السنين ، بعد أن وحدت معظمها فى نظام مركزى قوى ، مع استمرار محاولاتها لتوحيد جميع أجزاء شبه القارة ، ولقد وضعت أسس هذه الدولة واتضحت معالمها فى عصر جلال الدين محمد أكبر شاه ، وصحيح أن بابر شاه جد السلطان أكبر كان هو الفاتح والمؤسس ، ولكن دولته لم تدم طويلا ، وجاء حفيده ليؤسس من جديد ثم يوسع ويوحد ، ومن ثم ترك لخلفائه دولة موحدة مركزية قوية مترامية الأطراف ، هى التى شكلت تاريخ الهند الحديث ، وأخرت سقوط الهند فى براثن الاستعمار الأوربى إلى عشرات من السنين ، ومن هنا كان اختيار عصر السلطان أكبر موضوعا للبحث ، على أمل أن يعتبر هذا البحث خطوة فى سبيل الدراسات التاريخية الجامعية العربية المتخصصة ، لهذه المرحلة الهامة من مراحل تاريخنا الإسلامى فى الهند .

هكذا كانت قصتى مع اختيار الموضوع ، ولكننى كنت أحس أثناء الاختيار وبعد الاختيار ، بأننى سوف ألقى من الصعاب الشئ الكثير ، ومع هذا ، كان الارتياد للمجال الجديد وتشجيع أستاذى المشرف المستمر يدفعنى إلى تخطى العقبات وبذل الجهود لتذليلها ، وأول ما واجهته فى هذا المجال هو كيفية

توفير المصادر اللازمة للبحث ، لأن المراجع العربية والمعربة المتعلقة
بالموضوع والمتوفرة فى الأسواق والمكتبات ،لا تلبى إلا جزءا ضئيلا مما يتطلبه
الموضوع ،إلا أن الجامعة ،سهلت لى مشكورة القيام برحلة علمية إلى باكستان ،
للبحث عن المصادر والمراجع التى تحتاجها الرسالة ، وهناك تجولت فى المدن
الباكستانية ، ولم أنس قول أستاذى المشرف أن مهمتى الأساسية هى أن يجعل
هوايتى الأولى البحث عن الوثائق والمصادر ، وهالنى وأنا أتجول أن اللغة
الفارسية فقدت أهميتها التى كانت تتمتع بها كلغة الثقافة والدبلوماسية ،
وحلت محلها فى هذه الناحية اللغتان الإنجليزية والأردية ، وبالتالى لم أعثر
من الأسواق والمكتبات التجارية على أى مصدر فارسى مطبوع ، إلى أن وصلت
إلى مدينة لاهور ، حيث المدينة العلمية لباكستان ، وهناك تمكنت بجهد
شخصى ، أن أتعرف إلى أستاذ جامعى متقاعد ، قيل لى إنه كان قد
ادخر كتبا تاريخية كثيرة بين مخطوطة ومطبوعة ، وربما يكون مستعدا لبيع مجموعة
منها ، فذهبت إلى بيت ذلك الرجل ، وفعلا وجدت عنده مجموعة قيمة من
المصادر الفارسية المطبوعة القديمة ، والتى أصبحت فى حكم المخطوطات
نظرا لعدم وجودها فى الأسواق ،واشتريت هذه المجموعة من ذلك الأستاذ
الجامعى المتقاعد لتستريح نفسى قليلا ، بعد أن كانت قلقة بدافع الخوف
من الفشل ، ثم كان دور مكتبات الجامعات والمكتبات العامة ، وتيسر لى بحمد
الله الحصول على مجموعة طيبة من المصادر المخطوطة والمطبوعة فى مكتبة
جامعة بنجاب ومكتبة بنجاب العامة ، حيث قمت بتصويرها تصوير ميكروفلم ،وهناك
تلقيت كل ترحيب ومساعدة من القائمين على المكتبتين ، وعلى الأخص

القائمين على مكتبة جامعة بنجاب ، حيث تزودت منها بأكبر كمية من مصادر مخطوطة ومطبوعة قديمة ، وقمت بتصوير حوالى ثلاثة آلاف صفحة من هذه المصادر كما تمكنت من الحصول على معجم لغوى فارسى ألف فى الهند ، وقد أفادنى كثيرا فى حل بعض الكلمات والمصطلحات المستخدمة فى مصادر البحث ، وبذلك عدت إلى مكة المكرمة منشرح البال ، بعد أن وفقنى الله للحصول على المواد اللازمة لإتمام البحث .

عند البدء فى استخراج المادة العلمية من هذه المصادر المخطوطة والمطبوعة ، وجدت من الصعوبات ما لم أكن أتصورها ، اذ رأيت أن لغة كثير من هذه المصادر قد مضت عليها حوالى أربعة قرون من الزمان ، وبحكم التطور اللغوى ، أصبحت غير مألوفة إلى حد ما ، بمقارنتها مع اللغة الفارسية الحديثة ، والأهم من ذلك أن هذه اللغة تداخلت مع بعض اللغات الأخرى ، من سنسكريتية[1] ومغلية ، مما جعلنى أقف كثيرا عند بعض المصطلحات والكلمات حتى أطمئن وأقتنع من المعنى الذى يعنيه ذلك المصطلح أو تلك الكلمة ، وفى معظم الأحيان كنت أجد حلا لمثل هذه الصعوبات باستخدام المعجم ومتابعة المصادر ومقارنة بعضها بالبعض ، ومع هذا حدث أننى لم أجد تفسيرا لبعض المصطلحات ، فهناك على سبيل المثال مصطلح " ديگ " فهذه الكلمة تعنى بالفارسية القدر وجمعها " ديگها " أى القدور ، ولقد تكررت هذه الكلمة فى أكثر من مصدر ، ولكننى لم أكن أقتنع بمعناها المعروف ، لأنه لا يوافق القرائن والسياق ، ولم يقدم لى المعجم حلا ، كما رأيت أن المصادر

---

(١) السنسكريتية : هى لغة الهند القديمة التى كتب بها تاريخ الهند القديمة وأساطيرها.

المتقدمة والمتأخرة، تذكرها دون أن تقدم لها شرحا ، مما يشير الى أنها كانت معروفة لدى الجميع ، بحيث لم تكن بحاجة إلى التعريف ، إلى أن وجدت لهـا حلا فى مرجع فارسى حديث ، حيث ذكر أن هذا المصطلح كان يطلق على نوع من المدافع الثقيلة (١) ، وهكذا كانت بعض المصطلحات والكلمات تشغلنى أياما وأسابيع ، وكأننى قمت ببحث كل معلومة وتحقيقها وترجمتها ، ولا ننسى أن حجم بعض المصادر كان أكثر من ألف صفحة من المقياس الكبير القديم ، صحيح أننى لم آخذ جميع ما كتب ، ولكنه كان يلزمنى قراءة كل هذه الصفحات حتى أستخرج ما هو المناسب واللازم .

وأما فيما يتعلق بمنهجى فى البحث ، فلقد تأثرت واقتنعت بمنهج أستاذى المشرف ، وفحواه أن التاريخ هو العلم الشامل ، وأنه لا فاصل بين الحضارة والتاريخ ، بل ان النظم والحضارة جزء لا يتجزأ من التاريخ ، ومن ثم جاء متن الرسالة محققا لهذا المنهج ، ونحن حين قلنا : عصر أكبر فاننا نقصد تاريخ هذا العصر بكل ما فيه من حضارة ونظم واقتصاد واجتماع وسياسة وحرب ، بل وأدب وقانون أى تاريخ عصر السلطان أكبر .

والرسالة هذه عبارة عن مقدمة وأربعة فصول وخاتمة ، وفى المقدمة التى تلى هذا التمهيد ، قدمت نبذة موجزة عن جغرافية شبه القارة الهندية ، لأن الجغرافيا هى مسرح التاريخ ولها دورها فى تكوين الحضارات ، وفى رقعة شاسعة كالهند وفى ظل بدائية المواصلات ، لا يكتمل فهم طبيعة الأحداث

---

(١) عبد الحى حبيبى : ظهير الدين محمد بابر شاه ، ص ١٤١ .

التاريخية دون أن تكون عندنا فكرة عن جغرافيــة الهند الطبيعية والبشريـــة .
وفى هذه الناحية أيضا ، بدا منهج أستاذى المشرف من حيث اهتمامه بالجغرافية
كأساس لا بد منه لموضوعات التاريخ الحديث بالذات ، حيث اتسع العالم وارتبـط
أكثر من أى عصر آخر سابق ، وما زلت أذكر كلماته وهو يقول : رب نظرة لخريطـة
تغنى عن قراءة كتاب ، وإذا كنا قد توصلنـا فى هذا البحث إلى نتائج جديـدة
وقيمة للغاية ، فان إحدى هذه النتائج هى أن جغرافية الهند هى الـــــتى
شكلت نظرية الحكـــم فى الدولة المغليــة الإسلامية فى الهند الحديثة .

وفى الفصل الأول تكلمت عن الحالة غداة بدء عصر السلطان أكـــبر ،
وهى عبارة عن فترة التمكين للدولة ، حيث تمكن السلطان من القضاء على المخاطر
الكثيرة التى هددت بقاء الدولــة المغليــة الإسلامية فى الهند ، واستطـــــاع
السلطان فى خلال هذه الفترة أن يثبت وجوده وجدارته فى الحكم ، بعد أن
وطد أركان دولته التى لم تكن فى البداية أكثر من تعبير جغرافى ، ووصلنـا
فى هذا الفصـل إلى أن السلطان اطمأن على الأوضاع داخـل دولته وأصبـــح
هو المسـيطر والموجه لمجرياتها ، ليبدأ بعد ذلك فى التوسع والفتح ، وهـــذا
ما تكلمنا عنه فى الفصـل الثانى ، ولقد وجدنا أن التفاصيل التى عرضناها فـى
هذا الفصـل بالذات ، من الأهميـة بمكان ، لنستكشف من خلالها مدى ذلـك
الجهد الجبار الذى استدعاه حكم الهند فى مطلع العصور الحديثـة ، ممـا
كان له تأثيره الضاغط فى مجالات عدة ، بـل وفى تكييـف النظرية المغليـــة
لحكم الهند ، وكانت نتيجة هذه الجهود تكوين دولة مغليـة إسلاميـــــة

موحدة قوية ، تشمل معظم شبه القارة الهندية ، وبطبيعة الحال ، لم تكن كل هذه المدة عبارة عن الحرب وخوض المعارك ،بل كانت هناك إنجازات أخرى فى سائر مجالات الحياة ، لا تقل أهمية عن انتصارات السلطان العسكرية ، وهذا ما بحثناه فى الفصل الثالث تحت عنوان :الأحوال الداخلية ، وفى الفصل الرابع تكلمنا عن علاقات السلطان الخارجية وموقفه من الوجود البرتغالى على الساحل الهندى ، وبما أن العلاقات الخارجية تتأثر بالأوضاع الداخلية ، اتضح لنا مما عرضناه فى هذا الفصل ، أن السلطان كان حريصا على تحسين علاقاته بجيرانه ، وأنه اقتصر فى هذا المجال على جيرانه الأقربين ، بمعنى أنه لم يدرك أهمية الاتصال بالدولة العثمانية وتوثيق علاقاته بها ، والذى لو كان قد تم لربما تغير وجه التاريخ الحديث ومساره .

وفى الخاتمة ، جاء التحليل والنتائج ، ولقد تعلمت من أستاذى المشرف كذلك أن الخاتمة يجب أن تكون صلب الرسالة وأهم جزء فيها ، لأنها هى النتيجة المباشرة لفكر الباحث وقدرته على التحليل والنقد والاستنتاج وآمل أن تكون خاتمة رسالتى كذلك ، وأن أكون قد وفقت إلى إضافة جديدة للعلم .

وأرى أن من واجبى هنا أن أنوه بكل الذين ساعدونى فى اجتياز هذه المراحل ، فأشكر المسئولين فى هذه الجامعة الفتية ، والذين لم يدخروا وسعا فى سبيل توفير كل ما كان يلزم لاعداد هذا البحث ، وأخص بالشكر

القائمين على كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، والمسئولين في مكتبات الجامعة ، كما أقدم شكرى وامتنانى لجميع أساتذتى الأفاضل الذين تتلمذت عليهم في قسم التاريخ والحضارة الاسلامية ، وعلى الأخص أستاذى المشرف الأستاذ الدكتور محمد عبداللطيف البحراوى ، أطال الله في عمره ، الذى كان خير مشرف لى بخبرته الواسعة المتمرسة في مجال البحث التاريخى ، وبتوجيهاته السديدة وحنانه الأبوى الذى لا ينسى ، وإلى الأساتذة أعضاء لجنة الفحص والمناقشة الموقرين ، والله أسأل أن يوفقنا لخدمة الإسلام وإحياء تراثه المجيد .

فاذا انتقلنا الى القسم الثانى من المقدمة وهو ما نعتنى فيه بتقديم نبذة موجزة من جغرافية الهند ، فانه من الأهمية أن نشير إلى أن الهند استمدت اسمها من سند هو وهو الاسم الهندى لنهر إندوس أو نهر سند المعروف ، ومنها اشتقت كلمتا إند و هند ومعناهما الأرض التى تقع فيما وراء نهر إندوس ، وأصبح سكان هذا الإقليم يسمون الهندوس أو الهنود ، كما أصبحت بلادهم تعرف بـ هندوستان [1] ، وتؤلف الهند من الناحية الطبيعية ، عالما مستقلا ، بحيث جعلتها فى عزلة لما أحاطتها بها من جبال هائلة وشاهقة ومن بحار محيطة ومتلاطمة. [2]

ويمتد شبه جزيرة الهند من خط ٣٧° شمالا حتى ٨° شمالا ومن خط طول ٧٠° شرقا حتى ٩٦° شرقا . وتقع فى شمالها مرتفعات هماليا ذلك الحاجز العظيم الذى حمى الهند من غارات الرعاة الموجودة فى مناطق الإستبس شمالا ، فاستغنت بها الهند عن بناء سور كما فعلت الصين فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، حماية لها من غارات القبائل التى تدفعها ظروفها القاسية إلى الهجوم على الجهات المعمورة والزراعية .

---

(١) عبد المنعم النمر : تاريخ الاسلام فى الهند ، ص ٢ .

(٢) غوستاف لوبون : حضارات الهند ، ص ٢١ .

وعلى الرغم من هذا ،فان الهند قد شهدت منذ القدم غزوات وغارات أتتها من ممراتها فى الشمال الغربى ، وأهمها ممر خيبر، مصاحبة معها العقائد والتقاليد واللغات والثقافات الموجودة فى الشمال ، ومن أهم المؤثرات التى دخلت الهند هى الديانة الإسلامية .

كذلك تمتاز الهند بسواحلها الطويلة ولكنها قليلة التعاريج فلم ترَ الموانئ الكبيرة التى تتناسب مع سواحل الهند الطويلة ، فالساحل الغربى صخرى ، وأما الشرقى فأقل صخرية ولكن البحر ضحل على طول الساحل ، فلا يساعد السفن على الاقتراب من الشاطئ (١)

إن شبه الجزيرة الهندية ليست بالبلد الواحد أو القطر الصغير، فليس من السهل الإحاطة بها من كل الجوانب ، وهى بلاد شاسعة وواسعة ومترامية الأطراف وبعيدة الأكناف يصح أن نطلق عليها اسم قارة قائمة بذاتها ، وأن نفرق بين مناطقها ، ونجعل من كل منطقة قطرا يختلف كل الاختلاف عن جاره من كل وجه ؛ فهى - وان جمعتها الوحدة الاسمية - بلاد كثيرة مختلفة باختلاف أقطارها ، واختلاف أصول سكانها قديما وحديثا ، ومختلفة أيضا باختلاف عقائد أهلها ودياناتهم ولغاتهم .

---

(١) دولت صادق : جغرافية العالم ،ج ١ ، ص ٩٤ - ٩٥ .

ولم تكن هذه البلاد بلدا واحدا بكل معنى الكلمة ، ولا كانت تحت سيطرة حكومة مركزية واحدة ، بل كانت بلادا متفرقة يحكمها أمراء مختلفون ، ما عدا فترات من أيام الحكم الاسلامى المغلى وما عدا زمن الإمبراطورية البريطانية الاستعمارية فيما بعد (١) .

ويتألف أكبر حد للهند من جبال هماليا التى هى أعلى سلسلة فى الكرة الأرضية ، ويزيد ارتفاع طرفها الأعلى عن ستة آلاف متر ، ويبلغ معدل علوه المتوسط أربعة آلاف متر ، وتوجد بينها من الشواهق ما يصل ارتفاعه الى ثمانية آلاف متر أو تسعة آلاف متر .

وتشغل جبال هماليا أرضا تزيد عن مساحة فرنسا ، وهى أمنع مانع أقامته الطبيعة بين بلدين أو أمتين .

وفى الشمال الغربى من النطاق المخيف الذى ضربته الطبيعة حول بلاد الهند ، ثغرة نهر كابل ، ومن ضفاف هذا النهر أخذ المغل والأفغان وغيرهم طريقهم الى شبه جزيرة الهند . (٢)

ويلى المرتفعات الشمالية ، إقليم السهول من الجنوب ، وقد تكونت من الرواسب الغيضية التى حملتها أنهار السند و كنگ وبراهما پترا ،

---

(١) احسان حقى : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ٧-٩ .

(٢) غوستاف لوبون : حضارات الهند ، ص ٢٥ - ٢٨ .

والأفرع العديدة المتصلة بهذه الأنهار ، وتمتاز الأنهار التى تقطع هذه السهول بأنها لا تجف إطلاقا بخلاف أنهار دكن التى تجف فى بعض شهور السنة ، كما تعتبر منطقة السهول من أخصب بقاع الهند وأكثرها سكانا .(١)

وفى الثلث الجنوبى من الهند يقع إقليم دكن ، حيث تزداد حرارة الشمس والجفاف ، إلا إذا لطفتها نسائم تهب عليها من البحر ، ولكن الحرارة هى العنصر الرئيسى السائد من دهلى إلى سيلان .(٢)

وكان اسم دكن يطلق على قسم الهند الجنوبى المقابل للقسم الشمالى المعروف بهندستان .(٣)

ومما جاء فى تاريخ بابرى أن الهند بلاد العجائب برسومها وعاداتها وبلدانها وصحاريها ، وتنبع من جبالها فى الشمال أنهارها الكبيرة التى تسير إلى كثير من بلادها وقراها ، وتسير سبعة من أنهارها إلى الغرب حيث يجتمع فى نواحى ملتان وتنضم إلى نهر السند الذى يصب مياهه فى بحر عمان(٤) قرب ديبل ، ومن هذه الأنهار ستلج و بياه و راوى ،

---

(١) دولت صادق : جغرافية العالم ، ص ٩٧ .

(٢) ول ديورانت : الهند وجيرانها ، ص ١٣ - ١٤ .

(٣) غوستاف لوبون : حضارات الهند ، ص ٧٣ .

(٤) أى بحر العرب .

و چناب و بهت ، ويقال لنهر سند نيلاب أيضا (١) .

وهناك أنهار أخرى كثيرة ، تنبع من الجبال وتسير إلى الشرق ، من أمثال نهر گنگ الكبير و رهبت و كوى وغير ذلك ، وتلحق هذه الأنهار بنهر كنك الكبير بعد ولاية بنگاله ثم تصب فى البحر .

وهناك أنهار أخرى تنبع من سائر الجبال كأنهار جيل و نياس و سون و سوى وتنضم هذه الأنهار أيضا الى نهر گنگ ، وتوجد فى دكن أيضا أنهار كثيرة من أمثال گنگ و نربده و تبتى وپورنه وگنگ الصغير و كشتة و هيوره و تمندره ، وتسير الثلاثة الأوائل إلى جهة الغرب ، والبقية تجرى إلى الشرق .

وبواسطة وجود الأراضى السهلة يمكن أن تمتد الجداول من أنهارها بقصد الزراعة وإحداث الحدائق ، ولكن لم يعرف عن سكانها هذا الأمر ، فلم يكونوا يملكون ذوقا لمشاهدة المياه وهبوب النسيم . (٢)

وتضم وديان نهرى گنگ و سند أغلب أراضى الهند الزراعية وأخصبها ، والتى تعد كذلك أكثر مناطق الهند ازدحاما بالسكان ، ويفصل بين وديان هذين النهرين صحراء الثار (تر) أعظم صحراوات الهند ، وتعرف فى

---

(١) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ٤١٨ .
عبد الحى الحسنى : الهند فى العهد الاسلامى ، ص ١١ .

(٢) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ٤١٨ - ٤١٩ .

التاريخ كذلك باسم صحراء الراجپوتانا .[١]

وبرغم ما بالهند من أنهار كثيرة ، فإن مياهها لا تكفى سعة أراضيها ولذلك كان اعتماد كثير من الأراضى الزراعية على الأمطار الموسمية التى كثيرا ما يؤدى امتناعها إلى مجاعات مروعة .[٢]

ويبدأ موسم الأمطار فى هندوستان من أواخر الجوزا وينتهى فى أوائل الميزان (من يونيو إلى أكتوبر) ، وفى خلال هذه الفترة يكون الجو فى غاية الجودة ويكون ربيعها أحسن ربيع[٣] ، وهناك بعض المناطق تسقط عليها الأمطار فى الشتاء أيضا ، كما يوجد بعض المناطق مثل صحراء ثار وأجزاء تقع فى ظل المطر ، لا تنزل عليها الأمطار ، وعلى العموم فهى مساحات محدودة للغاية ، والسبب فى ذلك هو مرتفعات هماليا فى الشمال ، حيث عملت حاجزا يمنع تسرب الرياح الموسمية إلى مناطق بعيدة ، فتركزت معظم أمطارها على شبه الجزيرة .[٤]

وكثيرا ما تسبب الأمطار الموسمية سيولا وفيضانات ، تقضى على الحرث والنسل وتخلف وراءها خرائب وبؤساء وأمراضا متعددة ، وأغزر مناطق

---

(١) أحمد محمود الساداتى : تاريخ الدولة الاسلامية بآسيا وحضارتها ، ص ٨ - ٩ .

(٢) المرجع نفسه : ص ٩ .

(٣) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ٤١٩ .
سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ١٠ .
عبد الحى الحسنى : الهند فى العهد الاسلامى ، ص ١٤ .

(٤) دولت صادق : جغرافية العالم ، ص ٩٨ .

الهند بالمطر هى المناطق الشرقية مثل بنگاله وآسام. (١)

ويوجد فى الهند كل الأجواء بسبب اتساعها وتفاوت ارتفاع بقاعها الكثيرة ، فبينما يكون الحر شديدا فى سواحل مليبار و گور ومندل وسهول البنجاب ، ترى ربيعا ساحرا فى رداف الجبال وريحا صرصرا تلطم صرور الشمال العالية ، وأغطية من الثلوج مشابهة لما فى القطبين ، تستر شواهق هماليا . (٢)

ونظرا لمجاورة الهند للمحيط وكثرة الأمطار فيها ، تسود مناخها الرطوبة . ومن خصائص الهند فصولها الثلاثة وهى فصل الصيف وموسم الأمطار وفصل الشتاء ، ولكل فصل أربعة أشهر. (٣)

ومن ناحية الجغرافية البشرية ،فالهند بلاد الأسرار والأساطير ، ومجتمع الشعوب والطبقات ،بل مجتمع المجتمعات ، تكثر فيها الأديان وتتعدد اللغات والألوان (٤) ، وهى كتلة بالغة الضخامة من اليابس ، فيه إجمال لجميع أدوار تاريخ البشرية فى شتى صوره ، ففيها تمثيل كامل لعروق الأدميين ، وما عرفوه من معتقدات منذ ظهور الوثنية وحتى اهتداء

---

(١) عبد المنعم النمر : تاريخ الاسلام فى الهند ، ص ٣ .

(٢) غوستاف لوبون : حضارات الهند ، ص ٢٢ .
عبد الحى الحسنى : الهند فى العهد الاسلامى ، ص ١٤ .

(٣) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ،ج ٢ ، ص ٤١٩ .

(٤) أحمد شلبى : أديان الهند الكبرى ، ص ١٩ .

الناس بالتوحيد (١) .

ولا ينظر إلى الهند كأمة واحدة ، بل هى قارة بأسرها ، وفيها من كثرة السكان واختلاف اللغات ما فى القارة الأوربية ، وتكاد تشبه كذلك هذه القارة فى أجوائها وآدابها وفلسفتها وفنونها . (٢)

وتوجد فى شبه القارة الهندية حوالى ٢٤٠ لغة و ٣٠٠ لهجة ، وهناك أهمية خاصة للغة السنسكريتية بكونها لغة الكتب الهندية القديمة التى يعتبرها الهندوكيون مقدسة ، وقد أتى على هذه اللغة حين من الدهر كانت وقفا على رجال الدين من البراهمة ، ولقد شجع سلاطين المسلمين - وفى مقدمتهم السلطان أكبر - على إحياء آداب الهند القديمة والتى كتبت بتلك اللغة .

وفى أيام السلاطين المسلمين - وخاصة سلاطين المغل - كانت اللغة الفارسية هى لغة الثقافة والبلاط ، والتى ألفت بها الكتب وترجمت إليها معارف الهند القديمة وآدابها ، حتى دخل البريطانيون الهند فعملوا على تشجيع اللغة الأردية ، هادفين بذلك إلى قطع كل صلة بين مسلمى الهند ، وإخوانهم فى البلاد المجاورة . (٣)

والخلاصة أن الهند ضخمة فى كل شئ ، فى مساحتها وعدد

---

(١) أحمد محمود الساداتى : تاريخ الدول الاسلامية بآسيا وحضارتها ص ٧

(٢) ول ديورانت : الهند وجيرانها ، ص ١٣ .

(٣) أحمد محمود الساداتى : تاريخ الدول الاسلامية بآسيا وحضارتها ، ص ١٣

سكانها ولغاتها ولهجاتها وعقائدها ، وتبلغ مساحتها بالإضافة إلى جزيرة سيلان ٣،٨ مليون كم٢ . (١)

ومن الناحية الاقتصادية كانت الهند تعتمد على الزراعة والتجارة والثروات الحيوانية والمعدنية،إضافة إلى بعض الصناعات والمهن اليدوية ، ويعتمد نمو الزراعة وزيادة المحاصيل على كثرة الأمطار ، حيث تجعل أسعار الغلال رخيصة وتساعد على العمران ، وهناك توجد المناطق التى كانت تعتمد فى زراعتها على مياه الآبار ، ولكن أغلب الاراضى الزراعية تروى بمياه الأمطار.

وأكثر الأراضى تصلح للزراعة ، وكان يزرع ربعها مرتان فى السنة ، وفى بعض المناطق كانت تزرع أكثر من مرتين . (٢)

وتنتج تلك الأراضى أنواعا من الحبوب ، وجميع غلاتها لذيذة ، وتوجد فيها أيضا أنواع من الفواكه الربيعية والخريفية والتى يقتضى إحصاؤها كتابا منفردا ، وكذلك توجد فيه أنواع النباتات والخضروات ، وأنواع الزهور والتى لا توجد فى إيران وتوران وسائر الولايات . (٣)

وهناك موسمان للمحاصيل الزراعية الهندية : الموسم الخريفى ويكون موافقا للسرطان والأسد والسنبلة والميزان ، وتكون ترويتها بمياه الأمطار

---

(١) دولت صادق : جغرافية العالم ،ص ٩٤ .

(٢) سجان راى : خلاصة التواريخ ،ص ١١ .

(٣) المصدر نفسه : ص ١١- ١٣ .

والموسم الربيعي الذى يوافق العقرب والقوس والجدى والدلو ، ومحاصيل هذا الموسم لا تحتاج لأية مياه من الجداول أو الآبار ، بل تكفيها رطوبة الربيع وبرودته ، وتثمر فى غاية الجودة والتى توجب حيرة الجميع . (١)

ويوجد فى تلك البلاد حيوانات كثيرة مختلفة الأجناس ولا سيما الفيل فهو عندهم كالجمل عند العرب . (٢) وتختلف حيوانات الهند باختلاف نباتاتها وأجوائها . (٣)

وعلى الرغم من أنه توجد فى بعض أقطار هذه الديار خيول أكثر جودة من الخيول العراقية والعربية ، إلا أن الفيل يبقى من عجائب حيواناتها ولا نظير له فى السيرة والصورة ، ويكون شابا بعد ستين سنة من عمره ، ويكون عمره الطبيعى كالإنسان مائة وعشرين سنة ، ويضع الحمل بعد ثمانية عشر شهرا، ويكون التوالد فى الصحراء ، ولا يتم ذلك فى المدينة أصلا ، وحتى لو جيء بالأنثى الحامل إلى المدينة ووضعت فيها حملها ، لا يكون لولدها يمن لصاحبه ، ومن حيواناتها أيضا الكركدن والجاموس الوحشى والجاموس الأهلى وغيره . (٤)

وعلى الرغم من أن معادن الماس والياقوت والذهب والفضة والنحاس والأسرب والحديد والملح وغيره كانت توجد فى هذه البلاد وتستخرج ، إلا أن العائدات كانت تعتمد على الزراعة اعتمادا كبيرا . (٥)

---

(١) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ٤١٩ .

(٢) يوحنا افندى ابكاريوس : قطف الزهور فى تاريخ الدهور ، ص ١٥٨ .
عبد الحى الحسنى : الهند فى الهد الاسلامى ، ص ٥٠ .

(٣) غوستاف لوبون : حضارات الهند ، ص ٨١ .

(٤) سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ١٤ ، ١٦ .
عبد الحى الحسنى : الهند فى العهد الاسلامى ، ص ٥٠ .

(٥) سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ١١-١٣ .

هذا وكان لجغرافية الهند الطبيعية والبشرية تأثيرها على نظام الدولة المغلية في الهند ، كما أن للجغرافيا تأثيرها على أى نظام وفى أى بلد وخاصة فى تلك الأزمنـــة .

وإذا نظرنا الى الهند كقارة ، ونظرنا إلى غاباتها وجبالها ، وأنهارهـــا وبعد المسافات بين مدنها وأقاليمها ، ونظرنا أيضا إلى تبايـــن العـــروق والعقائد واللغات والمذاهب فيها ، نتعرف على مدى الصعوبة التى كان يلقاها النظام فى سبيل بسط نفوذه والحفاظ على سيادته فى أرجائها الفسيحـــة ، وتأمين الأمن والاستقرار فيها ، وخاصة إذا كان النظام مثل دولة السلطـــان أكبر تحاول بسط نفوذها وإخضاع القارة بجميع أقاليمها وسكانها إلى السلطـــة المركزية ، وفى تلك الظروف التى كانت المواصلات تعتمد على المواصـــلات التقليدية ، حيث لم تكن هناك سكك حديدية ولم تكن هناك سفن أو عربـــات بخارية ، إضافة إلى بعد المسافات ووعورة الطرق .

ومن خلال دراستنا لعصر أكبر سوف نتعرف أكثر على دور الجغرافيا فى تسيير الحوادث وفى تعيين مصير بعض المعارك وفى إفلات المتمرديـــن من أيدى السلطة ، والصعوبات التى لاقاها النظام فى سبيل بسط سيادته .

الفصل الأول

الحالة غداة بدء عصر أكبر

الفصل الأول

الحالة غداة بدء عصر أكبر

- وفاة همايون وجلوس أكبر على العرش .
- هيمو .
- شاه أبو المعالى .
- بيرم خان .
- نساء القصر .
- بنى أعمام السلطان .
- الأزابكة .

... ...

ولد أكبر من أمه حميدة بانو بيگم فى ليلة الأحد الخامس من رجب سنة ٩٤٩هـ (١٥٤٢م) فى بلدة أمركوت [١] ، وكان مولده فى المنفى حيث كان شير شاه سور يطارد أباه همايون من الهند ، بعد أن خذله إخوته ، ولقد سماه أبوه محمدا تبركا بهذا الاسم ، وتجرى فى عروقه دماء الفاتحين العظام بابر ، وتيمورلنك ، و چنگيز خان حيث يصل نسبه من جهة إلى هذا الأخير. [٢]

بعد عودة همايون إلى الهند مظفرا وانتصاره على سكندر شاه سور ودخوله دهلى لم يمكث طويلا ، فلم تتح له الفرصة لتعقب خصومه ، وإقرار أمور مملكته [٣] ، ولكنه سقط من سطح عال ، وطرأ عليه ضعف شديد توفى على اثره [٤] .

كان نصير الدين محمد همايون پادشاه قد أرسل أكبر من دهلى إلى جبل سوالك ومعه بيرم خان لتعقب سكندر خان أفغان وطرده حيث كان محتميا فى تلك الجبال ، وكان أكبر قد وصل فى سبيل أداء مهمته

---

(١) محمد على أنصارى : تاريخ مظفرى ، ق ٢٨ ب .
محمد شريف : اقبال نامة جها نكيرى ، ج ١ ،ص ٣ .
غلام حسين طباطبائى : سير المتأخرين ، ج ١ ، ص ١٥٢ .
Percival Spear : A History of India, V.II, P. 27.
(٢) ول ديورانت : الهند وجيرانها ،ص ١٣٣ .
V.A. Smith : Akabar the Great Mogul, P. 7.
(٣) عبد المنعم النمر : تاريخ الاسلام فى الهند ، ص ٢٠٠ .
احسان حقى : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ،ص ١٤١ .
(٤) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ،ج ١ ، ص ٢٤٤ .

إلى بلدة كلانور ، من توابع لاهور ، حيث جاءه مبعوث أركان الدولة وأعيانها وهو شيخ جولى يخبره بسقوط أبيه من السطح ، ولم يمض وقت طويل حتى وصله نبأ وفاة همايون باد شاه ، فتألم أكبر كثيرا عند سماع النبأ ، وأدى الأمراء له لوازم التعزية ، ونادى بيرم خان أمير الجيش ، بالاتفاق مع سائر الأمراء وأعيان الجيش ، باجلاس الأمير جلال الدين محمد أكبر على عرش أبيه فى بلدة كلانور ، وذلك فى منتصف يوم الجمعة الثانى من شهر ربيع الثانى سنة ٩٦٣هـ (١٥٥٦م) وكان عمره آنذاك ثلاث عشرة سنة وتسعة أشهر ، وأدى بيرم خان مراسم التهنئة وأرسل إلى نواحى هندوستان بمراسيم الأمن والأمان .(١)

لم تستقر الأوضاع بعد عودة همايون إلى عرش الهند ، ولذلك بدأت الفتن والثورات تظهر فى كل مكان فى أعقاب وفاته ، وما عدا ولاية پنجاب لم تتم استقلالية الحكم فى سائر الجهات ، وأخذ التمرد والعصيان وتسيير الافواج يعم كل مكان ،(٢) حتى پنجاب كان محتميا فى جبالها سكندر سور .

وفى مثل هذه الظروف والأوضاع وفى حداثة سن أكبر الذى ورث عرش أبيه ، وبعد جلوسه على العرش فى كلانور ، بادر كبار الأمراء والحكام

---

(١) نظام الدين الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٤٢ .

محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٤٤ .

غلام حسن طباطبائى : سير المتأخرين ، ج ١ ، ص ١٦٦ .

عبد الحى الحسنى : الهند فى العهد الاسلامى ، ص ٢٠٨ .

(٢) محمد هاشم خوافى خان : منتخب اللباب ، ج ٢ ، ق ١٠٩ ب .

بإرسال عرائض الإخلاص والولاء له ، فبعث تردى بيك خان حاكم دهلى بواسطة أبو القاسم مرزا بن كامران مرزا جميع الأسباب البادشاهية من دهلى إلى المعسكر البادشاهى فى بلدة كلانور . كما أرسل كل من على قلى خان شيبانى حاكم سنبل و سكندر خان أزبك حاكم آگره و بهادر خان حاكم ديپالپور و منعم خان حاكم كابل و محمد حكيم مرزا أخوه الأصغر عرائض الإخلاص والولاء له . (١)

وفى غداة جلوسه على العرش أقر حكام الولايات على مناصبهم حتى يختبر إخلاصهم وحسن خدماتهم ، وبعث إليهم بالفرمانات يقرهم فيها على وظائفهم ، ويعدهم بترقيتهم إلى مراتب الكمال ومدارجه ، إذا ثبت حسن إخلاصهم وخدماتهم ، ((وكانت نظرته البعيدة تقتضى أن يكون منزويا فى الظاهر غير مهتم بأمور الدنيا ، حتى يتعرف على الجميع بأحسن وجه ، فترك جميع المهام المالية والملكية إلى بيرم خان)) (٢)

وكما أشرنا من قبل ، فقد كانت الفوضى لا تزال تسود المملكة ، كما كانت المجاعات والطواعين تنتشر فى أنحائها ، وأصيبت الأجزاء الشمالية من

---

(١) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٤٤ .
محمد عبد القادر : أويماق مغل ، ص ٤٠٨ .
(٢) أبو الفضل علامى : أكبر نامه ، ج ٢ ، ص ١٦ — ١٧ .

الهند بما فيها دهلى و آگره بالطاعون الذى قضى على حياة الجم الغفير من الناس ،وأما من الناحية السياسية فإن عرش دهلى كان قد أصبح كالكرة ، فى أيدى الأفغان والمغل[1] ، ولم تعد المملكة إلا تعبيرا جغرافيا أو مجموعة من الولايات ، كما غدت السيادة على الإقليم الشمالى الغربى من الهند موضع نزاع بين سكندر سور و محمد عادلشاه اللذين كانا من زعماء الأفغان ، وجمع سكندر سور جيشا كبيرا فى پنجاب ساعيا لنشر سيادته على كل بلاد هندستان . وأما محمد عادل شاه فقد تراجع إلى الأقاليم الشرقية وأخذ يعمل على توسيع نفوذه هناك ، وفى نفس الوقت كان قائده الصنديد هيمو قد أحرز لنفسه بطولة فائقة بانتصاره فى أكثر من عشرين معركة ،ثم تقدم بعد ذلك إلى آگره على رأس جيش ضخم ، كما كان هناك أمراء آخرون من آل سور يستأثرون بالأمر كله

---

(١) مغل : يقال إن نسبة جميع أقوام الترك والمغل والتتار تصل إلى يافث بن نوح عليه السلام ، وكان ترك الابن الرابع من أولاد يافث ، ولقد عهد إليه أبوه بالولاية بعد وفاته ، وجميع الأتراك من نسله هو ، ومن هذه الناحية يقال للمغل أتراك أيضا .

ويقال أيضا إنه توالى على حكم الممالك الشرقية أولاد ترك جيلا بعد جيل إلى أن جاء دور النجه خان الذى ولد له ابنان توأمان سمى الأول " مغل خان " وسمى الثانى " تاتارخان " ، فنسب أولادهما باسميهما .

وكان لفظ المغول يكتب فى البداية بالواو ولكنه بمرور الزمن حذفت الواو وأصبحت الكلمة (مغل) .

(عبدالقادر : أويماقمغل ،ص ٧ .

عبدالمؤمن : أضواء على تاريخ توران ،ص ٨٦) .

فـــى بنگـــال (١)

ولنبـــدأ بأخبار القائد الهندوكى هيمو الذى أصبح خطره يهدد بقاء الدولـــة تهديدا جديا أكثر من أى واحد آخر، ولم يكن قد قهر من قبـــل ، وكان هيمو قائدا لجيش سلطان محمد عادل ورجله الذى يعتمـــد عليـــه ، وقد حارب مع إبراهيم خان و سلطان محمد، حاكم بنگاله وسائـــر الأفغـــانيـــين الذين كان يدعى كـــل واحد منهم السلطنة لنفســـه ،فكان النصر حليفـــه فى اثنتين وعشرين معركـــة ، فلما اطلع على وفاة همايون بادشاه ترك سلطان محمد عادل فى نواحى پتنـــه وتوجه هو إلى آگره قاصـــدا الاستيلاء عليها ، وكان يردد : إننى وقد انتصرت على الأفغانيين الذيـــن كانوا يملكون جيشـــا لا قبـــل له ، فكيف لا أنتصر على هذا الملك الصغير السن مع قلـــة جيشـــه ، (٢)

رسم أكبر ورجاله خطتهم على أن يعملوا أولا على التخلص من آل ســـور الذين كانوا يسعون لاسترداد عرش الهند ، وفيما كان جند الدولـــة

---

(١) جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية فى الهند ،ص ٨٠ – ٨١ .
أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية وحضارتهم ، ج ٢ ،ص٧٥ -٧٦
Ishwari Prasad : A Short History of the Muslim Rule in India, PP. 226-227.

(٢) سجـــان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٣٨ ، ٣٤٠ .
بايزيد بيـــات : تذكرة همايون وأكبر ، ص ٢١٢ .
غلام حسين طباطبائى : سير المتأخرين ، ج ٢ ،ص ١٦٧ .
عبد المنعم النمر : تاريخ الإسلام فى الهند ،ص ٢٠٠ .

يجد في مطاردة سكندر شاه سور بالپنجاب هاجم هيمو مدينة آكره (١) ومعه ثلاثون ألفا من الفرسان والمشاة وألفا فيل ، فلم يستطع سكندر خان أزبك على مقاومته فانسحب مضطرا إلى دهلى حيث التحق بحاكمها تردى بيگ خان الذى اجتمع بقادته ومعهم مولانا پير محمد شيروانى مبعوث بيرم خان إلى تردى بيگ خان ، وبعد الاستيلاء على آكره دون قتال ،توجه هيمو بقواته إلى دهلى ، وأسرع تردى بيگ خان فى طلب المساعدات من أمراء الأطراف ، فوصل إلى دهلى على وجه السرعة كل من عبدالله خان و لعل سلطان بدخشى و على قلى خان أندرابى و ميرك خان لولابى وغيرهم ، فاجتمع كثير من المحاربين المهرة من أقطار المملكة ماعدا على قلى خان شيبانى الذى كان مشغولا بمحاربة بعض الأفغان ، فأرسل تردى بيگ خان إليه من يطلب عودته إلى دهلى فورا ولكن هيمو وصل بقواته إلى حدود دهلى فخرج كبار القادة لمقابلته ونشبت الحرب بين الفريقين قبل أن يصل على قلى خان شيبانى بقواته المساعدة وكان سكندر خان و عبدالله خان أزبك و لعل سلطان بدخشى يوالون الهجمات على قوات هيمو التى ارتبكت نتيجة لهذه الحملات ، فكان النصر فى البداية حليفا لقوات تردى بيگ خان ولكن هذه القوات انشغل كثير منها فى جمع الأموال والغنائم ، فاستغل هيمو هذا

---

(١) أحمد محمود الساداتي:تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية وحضارتهم ، ج ٢ ، ص ٧٧ .

شكيب أرسلان : حاضر العالم الاسلامى ، ج ٤ ، ص ٢٩٩ .

الوضع وهاجم تردى بيك خان بغيلته الطائشة ومعه (١) ثلاثة آلاف فارس منتخب ممن يشكلون قلب جيشه ، فلم يستطع تردى بيك خان مقاومة هذه الحملة ، فأدبر هاربا ، ولكن هيمو اعتبر ذلك خدعة حربية فلم يتعقبه ، ولما عرف الآخرون بهروب تردى بيك خان سلكوا نفس الطريق ، تاركين دهلى لهيمو الذى استولى عليها فى الثامن من ذى الحجة سنة ٩٦٣ هـ (١٥٥٦ م) أى فى السنة الأولى من جلوس أكبر على العرش (٢) ، ويذكر البعض عدد قوات هيمو وعدته التى استولى بها على دهلى بين خمسين إلى ستين ألفا من الفرسان والمشاة ، وخمسمائة فيل علاق وواحد وخمسين مدفعا ثقيلا وخمسمائة مدفعى ماهر وخبير فى المعارك (٣) كما يذكر جهانگير عدد قوات هيمو مائة ألف فارس وخمسين ألف مدفعى راكب على الجمازة (٤) ، وثلاثة آلاف فيل طائش . (٥)

---

(١) أبوالفضل علامى : أكبر نامه ، ج ٢ ، ص ٣٢ — ٣٦ .
نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٤٤
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٤٤ — ٢٤٥ .

(٢) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٤٤ .
أبوالفضل علامى : أكبر نامة ، ج ٢ ، ص ٣٦ .

(٣) سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٣٨ .
محمد على أنصارى : تاريخ مظفرى ، ق ٢٩ ب .
محمد عبدالقادر : أويماق مغل ، ص ٤٠٩ .

(٤) الجمازة : عبارة عن ناقة سريعة السير .

(٥) سليم شاه : تاريخ أكبر شاه ، ق ٣٣ ب .

كان أكبر في قصبة جالندهر لمطاردة سكندرسور اذ جاءه نبأ هزيمة تردى بيگ خان واستيلاء هيمو على آگره ودهلي فترك خواجه خضر خان زوج عمته گلبدن بيگم ليقاوم اسكندر وتوجه هو إلى دهلي ولما وصل إلى حدود بلدة سرهند لحق به الأمراء المنهزمون وعلى رأسهم تردى بيگ خان (١)

ولما أصبح جميع الممالك ما عدا پنجاب في تصرف الأفغانيين ، أصبح أكبر مضطربا وقلقا ،ولما كان صغير السن كرم بيرم خان تركمان واعتبره في خطاب منه إليه خان بابا قائلا له : إنني فوضت إليك جميع المهام الملكية والمالية ،فتعمل ما تراه لصالح الدولة دون الانتظار لأمرى ، فأقام بيرم خان مجلسا بمشاركة الأمراء للتشاور في الأمر .

كانت التقارير تشير إلى أن عدد جيش الخصم يصل حوالى مائة ألف فارس ،ولم يكن عدد جيش البادشاه يتجاوز عشرين ألفا ، فمال الجميع للانسحاب إلى كابل ، إلا أن بيرم خان استصوب محاربة المخالفين ، وأيد أكبر هذا الرأى على الرغم من صغر سنه .(٢)

ولقد استخدم هيمو الحرب النفسية فأرسل رسالة إلى أكبر يحذره من مواجهته قائلا : «إنك صغير السن ولن تستطيع مقاومتي ،فاحرص على حياتك ولا تجازف أمام جيشي الغفير

---

(١) نظام الدين الهروى: طبقات أكبرى ، ص ٢٤٤ .
محمد عبد القادر : أويماق مغل ،ص ٤٠٩ .

(٢) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ،ج ١ ،ص ٢٤٥ .
S.M. Edwardes and H.L.O. Garrett : Mughal Rule in India, P.23.

الجرار وأفيلتي الطائشة ، وإنني أترك لك من آكره إلى أقصى بنكاله البقية تكون لي أنا »ولكن أكبر أجابه بنفس الأسلوب قائلا له : «إنك قد دخلت في معركة أو معركتين مع راجه فهزمته ، وأنا أحذرك أن لا يغرنك هذا ، لأنه اذا أقدم أحد إلى القبض على عده وتقييده لا يمكن أن نسمي العمل هذا فنا ومهارة بل إنك لم تر معارك الرجال الشجعان ولم تصب بصدمة الإقبال الباد شاهي ،وفي الصباح قم بتجهيز جيشك وتعبئته وتعال إلى ساحة المعركة ، حتى نرى لمن يكون لطف الله» .(١)

وفي الوقت الذي كان أكبر مشغولا بالصيد ،طلب خان خانان بيرم خان ، تردي بيك خان إلى المنزل وقطع رأسه بسبب تقصيراته ،ولما رجع أكبر من الصيد ،عرفه خان خانان أنه كان يعرف أن أكبر وما عرف عنه من الشفقة والرأفة لم يكن ليرضى بقتله ،على الرغم من جريمته الكبرى ، وأنه لا يستصوب العفو لمثل هذا التقصير ، وفي الوقت الذي اقترب الينا الجيش المخالف وفي الوقت الذي استولى على ممالك الهند خصم كالأفغان (٢) ، فاستحسن أكبر تصرفه وقبل معاذيره ،وسمع من الثقات ،أن بيرم خان ،لو لم يقدم لقتل تردي بيك خان لما انضبطت القبيلة الجغتائية ولتكررت قصة شير شاه ، فبعد هذا أصبح أمراء المغل يحسبون لـ بيرم خان ألف حساب ، فألقوا من أذهانهم هوى التمرد والنفاق ، وعندما بدأوا في مقاومة هيمو كان أمراء

---

(١) سليم شاه : تاريخ أكبر شاه ،ق ٣٤ أ

(٢) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ،ج ١ ،ص ٢٤٥ .

المغـل ، يثبتون ويصمدون ، لأنهم كانوا يتذكرون دائما قتل تردى بيگ خان ،[1] وبعد اتخاذ التصميم على محاربة هيمو صدرت التعليمات إلى على قلى خان و سكندر خان و عبدالله خان أزبك و على قلى خان أندرابي و محمد صادق پروانجي و شاه قلى محرم وغيرهم ، أن يتحركوا إلى هيمو على شكل مقدمة الجيش .[2]

كان هيمو يعيش في عالم من الغرور ، وخاصة بعد انتصاره على تردى بيگ خان ، واتخذ لنفسه على اثر هذا النصر لقب راجه بكه باجيت[3] معلنا بذلك عزمه على إحياء أمجاد أمته القديمة ،ومناهضته للإسلام والمسلمين . فلم يكتف بإهمال شأن سيده ، عادل شاه فقط ،بل راح يضرب السكة باسمه ويولى خاصته ورجاله على المناصب العالية وشؤون الولايات .[4]

ولما اطلع هيمو على تعبئة القوات في الجبهة المقابلة بقصد محاربته ، أرسل مدافعه الثقيلة مسبقا إلى قصبة پانى پت بقيادة مبارك خان "

---

(١) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ،ج ١، ص ٢٤٥ .

(٢) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٤٥ .

(٣) راجه بكه باجيت : هو من الأبطال الذين يمجدهم تاريخ الهند القديمة وأساطيرها على السواء .

(٤) أحمد الساداتي:تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم ، ج ٢،ص ٧٨
أبوالفضل علامى : أكبر نامه ،ج ٢ ، ص ٤٣ .
نظام الدين الهروي :طبقات أكبرى ، ص ٢٤٥ .

و بهادر خان اللذين كانا من أمرائه الكبار ،واستعد هو بنفسه للمعركة وأعد جيشا عظيما وألفا وخمسمائة فيل للهجوم ، ولما انتشر خبر إرسال مدفعية هيمو الثقيلة ،في وسط الجنود ، أسرعت وحدة من المقاتلين ومنهم لعل سلطان بدخش إلى تلك المنطقة ، وأرسلوا تقارير عن واقع أفراد الخصم ،فالتحق بهم على قلى خان شيبانى أيضا ، حيث باغتوا قوات هيمو هذه واستولوا على مدفعيتها بضربات السيف ، فأسرعت مقدمة قوات هيمو بالفرار دون مقاومة تذكر. (١)

ولما علم هيمو بهروب مقدمة قواته واستيلاء جنود أكبر على مدفعيته ، قسم جنده إلى ثلاثة أفواج : الميمنة وعلى رأسها شادى خان كاكر والميسرة وعلى رأسها ابن اخته المسمى رسيه وقاد الحملة بنفسه وبعجلة وغرور ومعه الفيلة العملاقة المتبقية من قبل العديد من حكام هندوستان ،ومنها خمسمائة فيل من الفيلة المعروفة بخفة الحركة والتى لا تستطيع الخيول العراقية الهروب من قبضتها ، ،، وحقا أن كل فيل من هذه الفيلة المشهورة كان كفيلا بإرباك فوج عظيم ، وخاصة بالنسبة لهؤلاء الخيالة الذين لم تشاهد خيولهم

---

(١) أبوالفضل علامى : أكبر نامة ،ج ٢ ،ص ٤٣ — ٤٤.
نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ،ص ٢٤٥.
سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٣٩.
محمد عبدالقادر : أويماق مغل ، ص ٤٠٩.
غلام حسين طباطبائى : سير المتأخرين ،ج ١ ،ص ١٦٧.

هذه الصور المهيبة وهذا الجسم البديع من قبل ، الأفيلة التى تدمر المبانى العالية بهزة بسيطة وتنزع الأشجار القوية من الأرض ببساطة ولعبة ، وأثناء المعركة ترفع بخرطومها الخيل والخيال وترميهما فى الهواء ، وماذا أكتب عن سواد جنوده ، وخلاصة القول أنه كان معه ثلاثين ألف فارس ماهر من الراجپوت والأفغان " (١) .

علم هيمو أن عددا من أمراء أكبر سبقوا بالوصول الى قصبة پانى پت فتقدم اليهم بنفسه وفى عجل ، على أساس أن هؤلاء الأمراء هم خلاصة قوات أكبر فاذا استطاع القضاء عليهم ، سهل له الأمر واعتمد فى اختيار هذه الخطوة على جنوده وفيلته (٢) ، وفى صباح يوم الجمعة من شهر المحرم سنة ٩٦٤ هـ (١٥٥٦م) جاءت التقارير من طلائع الجيش ، تفيد عن تحركات هيمو وقواته ، فأقدم قادة الجيش بتعبئة قواتهم ، وقام حسين قلى بيگ و محمد صادق پروانچى و شاه قلى محرم و مير محمد قاسم نيشاپورى و لعل سلطان بدخشى و سائر المقاتلين الشجعان بحملات جريئة على صفوف قوات هيمو أدت الى ارتباكها وتزلزلها ، وهاجم هيمو بفيلته الأفواج البادشاهية ولكن بجهود من شباب الرمى وبضرب السيف والسنان ، عاد النظام إلى صفوف الأفواج ، فهاجم هيمو بجميع فيلته قلب قوات أكبر والذى كان قد استحكم بقوة خان زمان وبسالته ، واشتدت المعركة وألقى على

---

(١) أبو الفضل علامى : أكبر نامة ، ج ٢ ، ص ٤٤ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٤٧ .

هيمو بوابـل من السهام ،واتفق أن أصابه سهم فى عينـه وخرج من خلـف رأسه ،ولما شاهد أتباعه وجنوده هذه الحالـة ارتبكوا وتفرقوا من حوله منهزمين ومسرعين بالفرار والإدبـار ، فتعقبهم المقاتلون وقتلوا منهم الكثيرين (١) ، وتـم حصر خمسة آلاف من قتلى المخالفين فى ساحة المعركة ، إضافة الى الذين قتلوا أثناء الفرار ، وغنم ألف وخمسمائة فيـل من الفيلـة المشهورة . (٢)

فى الوقت الذى أصيب فيه هيمو وارتبك جيشه منهزما ،وصـل شـاه قلى محرم مع مجموعة من مقاتليه ، ورأوا هيمو راكبا فيلا وهم لا يعرفونه ، ولما أراد شاه قلى قتـل الفيـال واغتنـام الفيـل ، خاف الفيال على نفسـه ودله على سيده ، وفرح شاه قلى خان بهذه البشارة ، فأعطى الفيال الأمان ووعده بمكرمة بادشاهية ،وأحضر هيمو أسيرا الى أكبر ، ولكن هيمـو التزم الصمت ولم يرد على الأسئلة التى وجهت اليه فالتمـس بيرم خان خانـان من أكبر أن يقضى على حياة عدوه بنفسـه حتى يثاب ، ولكن شاهنشـاه رفض هذا العرض قائلا : ان مروءتى لا تسمح بقتـل أسـير مقبوض عليه ،فباشـر بيرم خان قتـل هيمو بنفسه ،،والحق أنه كان خادما ممتازا وصاحـب همة عاليـة فلو وضعوه فى المعتقـل وأحسنت تربيته وأعدوه للخدمة لظهـرت

---

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٤٥ .

(٢) أبو الفضل عـلامى : أكبر نامة ،ج ٢ ، ص ٤٩ .

محمد هادى : توزك جهانگيرى ،ص ١٨ — ١٩ .

منه خدمات جليلــــة " (١)

وقبــل قتله ضربا بالسيف عرض عليه الإسلام ،اذ لو أسلم لتنازلوا عن دمه ولكنـــه لم يقبــل الإسلام فقتــل .

ولقد أرســل رأسه الى كابــل وعلق جسده فى دار الملك دهلى ليكون عبرة للاخرين (٢) ووصــل رأسه الى منعم خان حاكم كابــل فى قــورق ساى فأرسله الى بايزيد بيات فى كابــل كاتبــا له أن يعلـــق الرأس بعد وصوله ،على الباب الحديدى ، وأن يأمر بضرب نقارة الفرح ،ووصل الـــرأس الى بايزيد أثنــاء الليــل ففعل بموجب حكم منعم خان (٣)

وبدىء بكتابة اسم أكبر منذ ذلك التاريخ بأنه «جلال الدين محمد أكبر پادشاه غازى " (٤)

وبعد القبض على هيمو وقتله وهزيمة قواته ، صدرت الأوامــر الى اسكنــدر خان أزبك ليتعقب الفارين من فلول قوات هيمو ، فتعقبهم الى دهلـــى وقتــل الكثــير منهم ، وفى اليوم التالــى تحركت الجنود من پانى پت ولـــم يتوقفوا حتى دهلى وخرج جمهور الأهالى من أعاليهم وأسافلهم للاستقبــال

---

(١) أبو الفضــل علامى : أكبرنامه ،ج ٢ ،ص ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ .
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشــته ،ج ٢ ،ص ٢٤٦ .
سحان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٣٩ — ٣٤٠ .
غلام حسين طباطبائى : سير المتأخرين ،ج / ،ص ١٦٧ ، ١٦٨ .
عبد المنعم النمــر : تاريخ الإسلام فى الهند ،ص ٢٠٠ — ٢٠١ .

(٢) أبو الفضل علامى : أكبرنامه ،ج ٢ ،ص ٥٢ .
أحمد محمود السادانى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ،ج ٢ ،ص ٨٠ .

(٣) بايزيد بيــــات : تذكرة همايون واكبر ،ص ٢١٤ .

(٤) المصدر نفســـه : ص ٢١٣ .

والترحيب ، ومكثوا هناك لمدة شهر ، وفى هذه الأثناء وصلت الأنباء تفيد أن رجال هيمو وأتباعه قد تجمعوا مع خزائنهم وذخائرهم فى ميوات فصدرت التعليمات إلى مولانا پير محمد شيروانى بالتحرك إلى ميوات فلاحقهم شيروانى هناك وقبض عليهم جميعا وحصل على غنائم نفيسة.[1]

وبانتصار أكبر على هيمو فى پانى پت وبمساعدة وزيره بيرم خان أصبح سيدا على دهلى و آگره وله من العمر أربعة عشر عاما،[2] ولقد فتت هزيمة القائد الهندوكى الكبير هيمو ومقتله فى عضد أعداء أكبر وخاصة بالنسبة لأمراء أسرة سور ، فنال اليأس من نفوسهم منالا شديدا[3] وسوف نرى هذه الآثار ،فى مطاردة أكبر للأمراء الأفغان ، خصومه التقليديين .

---

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٤٥ — ٢٤٦ .
أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ،ج ٢ ،ص ٨٠ .

(٢) جلال يحيى : العالم الإسلامى الحديث والمعاصر ،ج ١ ، ص ٤٦٣ .
P.Spear : A History of India, V.II, PP. 29 - 30.

(٣) أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ، ج ٢ ، ص ٨٠ .

لم يفقد الأفغان جميع ملكهم فى الهند ، بل كان باقيا بأيديهم نصيب مثل بهار و بنكاله ، وكان هيمو قائدا لملكهم محمد عادل [1] ، الذى انتهى خطره فى معركة پانى پت (محرم ٩٦٤ هـ) (نوفمبر ١٥٥٦م) بهزيمته وأسره وقتله . وعلى الرغم من هذا كان هناك الآخرون من أمراء الأفغان يحاولون إعادة نفوذهم على الهند ، وعلى الأخص على عاصمتها دهلى .

وجدير بالذكر أن مزاحمة الأفغانيين لدولة أكبر لم تنته إلى نهاية حياته ، ولكن أكبر لم يتح لهم فرصة ليصبحوا خطرا على بقاء دولته ، بل طاردهم حينا بعد حين وقضى على دويلاتهم واحدة بعد الأخرى كما سنراه فيما هو آت . .

إننا ونحن نتحدث عن الأوضاع غداة بدء عصر أكبر ، فإنه يجدر بنا أن نشير إلى اسكندر سور الذى كان يطالب بالعرش ، مستغلا فى ذلك صغر سن أكبر والأوضاع التى أشرنا اليها فى أعقاب وفاة همايون .
إن أكبر ووزيره المحنك بيرم خان ، لم يتيحا له مجال التحرك الخطير ، فلما كثرت الروايات أن اسكندر جمع حوله قوات ، توجه الموكب الشاهنشاهى إلى پنجاب ، وصدرت الأوامر إلى كبار الأمراء والقادة الأشداء بأن يرافقوا الشاهنشاه فى هذا الهجوم ، وتحرك الموكب فى يوم الاثنين الرابع من شهر

---

(١) شكيب أرسلان : حاضر العالم الاسلامى ، ج ٤ ، ص ٢٩٩ .

صفر عام ٩٦٤ هـ (دسمبر ١٥٥٦م) من دهلي، متوجها إلى پنجاب وكانت الحملة تنظم منزلا بعد منزل، وفي كل يوم كانت جموع غفيرة من الناس تنضم إلى الموكب وخاصة من أهالي كابل، و بدخشان، و قندهار. (١)

ولما وصل الموكب إلى حدود جالندر، رحل اسكندر افغان من هذه الولاية إلى جبال سوالك معقل المتمردين، وتابع الموكب سيره إلى تلك الجبال «وكانت التقارير الواردة تؤكد بأن سكندر أفغان يريد جر العساكر إلى المضايق الجبلية حتى يسهل عليه محاربتهم، ولكن شاهنشاه لم يلتفت إلى هذه الأخبار، فأمر بنهب أموال سكان جبال سوالك وتأديبهم لأنهم التفوا حول سكندر، فتفرق هؤلاء الأهالي وتركوا سكندر مما اضطره أن يلجأ الى قلعة مانكوت التي أعدها لمثل هذا اليوم، تاركا أمواله نهبا للجيش المظفر.»

«وكانت هذه قلعة كبرى، كأنها تتكون من أربع قلاع، بناها سليم خان أفغان على قمم الجبال في طراز عجيب بحيث لا تبدو في الظاهر أكثر من قلعة واحدة، وأماكن هذه القلاع بنفسها ليست من الأماكن التي يسهل على الجنود التقرب منها أو التحكم في أهاليها، فكيف يكون الوضع إذا بنيت على هذه

---

(١) أبو الفضل علامي: أكبر نامه، ج ٢، ص ٥٨ — ٥٩.
محمد قاسم فرشته: تاريخ فرشتة، ج ١، ص ٢٤٦.
جمال الدين الشيال: تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند، ص ٨٣.

القلاع الطبيعيـــة قلاع محصنة أخرى ، اضافة الى أن هناك المياه العذبـــة متوفرة والمواد الغذائية توجد بكثـــرة " . (١)

ولما اطلع أكبر على هروب سكندر وتحصنـه ، لم يلتفت إلى متاعبـه في مثـل هذه الأماكن، بل عزم على حصار القلعة ليزيـل الشر ويريح الجميـع، فأصدر أوامره لحصار القلعة وضيقوا عليها الحصار وقام أدهم خان واحد مـن القواد بأدوار بطولية في هذا الحصار، واستطاع أن يقتـل عددا من المخالفين . كان جند المخالفين يراعون الحيطة والحذر ، وبإطلاق نيران المدفعية لم يكونـوا ليسمحوا لأى متنفس أن يجول حول القلعة ، وقاموا بجميع المحاولات للحفـاظ على هذه القلعة ، وكلما اشتدت محاولة المخالفين في الحفاظ عليها كلما اشتـد المقاتلون في الاستعداد للسيطرة على القلعة مستخدمين في ذلك الساباط (٢) وسائر أسباب فتح القلاع . (٣)

---

(١) أبو الفضل علامـي : أكبر نامه ، ج ٢ ، ص ٦٢ — ٦٣ .
نظام الدين أحمد الهـروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٤٣ .
محمد عبد القادر : أوبماق مغـل ، ص ٤١٠ .

(٢) ساباط : عبارة عن حائطين متوازيين يبنيان على مسافة مرمى البندقية ثـم يغطى السطح بالألواح الخشبية وجلود الأبقار وغير ذلك ، ويمتد ذلك إلى جدران القلعة التي يراد فتحها ، فيعبر الجنود من هذا المعبر ويقومـون بحفر النقب في جدار القلعة ، ثم يملأ النقب بالباروت فينفجر جدار القلعـة ويدخل الجنود إلى داخل القلعة من الفتحة التي يحدثها الانفجار.
(فرشته : ج ١ ، ص ٢٥٧ .)

(٣) أبو الفضل علامي: أكبر نامه ، ج ٢ ، ص ٦٣ — ٦٦ .

ولما طال الحصار لعدة أشهر ، يئس سكندر من المحافظة على القلعة خاصة بعد أن اطلع على قتل السلطان محمد عادل[1] الذى كان يتوقع تحركه من الممالك الشرقية لهندستان إلى دهلى ، حتى يخفف الضغط على حصار القلعة فيمكنه الاستمرار فى التمرد ، « فالتمس أنه يخجل من مقابلة حضرة شاهنشاه ، ويريد أن يرسل ابنه للخدمة ، ويسمح له بالتوجه إلى مكان ما ليعد نفسه بالتشرف بمقابلة حضرته ويحلف بالله رب العالمين أن لن يعصيه بعد الآن » وقد قدم التماسه هذا بواسطة خان خانان ، ففوض له أكبر أمور مدينتى خريد وبهار فأرسل سكندر ابنه عبدالرحمن إلى خدمة شاهنشاه مع أحد كبار قادته وهو غازى خان سور وعدد من الفيلة الممتازة وغيرها من التحف والهدايا ، وسلم مفتاح القلعة إلى « أولياء الدولة القاهرة » فى يوم السبت السابع والعشرين من رمضان سنة ٩٦٤ هـ (يوليو ١٥٥٧ م) وسمح له بالخروج من سجن الحصار والتوجه الى خريد وبهار حيث توفى هناك بعد سنتين .[2]

---

(١) لقد هجم أحد أمراء سور وهو خضر خان على السلطان محمد عادل وقتله ، انتقاما لقتل أبيه الذى قتل فى معارك هيمو قائد السلطان عادل .

(٢) أبوالفضل علامى : أكبرنامه ، ج ٢ ، ص ٧٢ — ٧٣ .
نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٤٦ .
سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٤١ — ٣٤٢ .
غلام حسين طباطبائى : سير المتأخرين ، ج ١ ، ص ١٦٨ .

وهكذا قضى أكبر ووزيره بيرم خان على تمرد خصم من خصومه العتيدين من آل سور والذى كان يطالب بعرش دهلى ،ولقد كان لموسم الأمطار(١) تأثيره فى إطالة مدة حصار قلعة مانكوت ، إضافة الى حصانتها الطبيعية والصناعية وتوفر الذخيرة والمواد الغذائية فيها ، كما ذكر .

من المشاكل التى واجهت أكبر أيضا غداة جلوسه على العرش ،تنافس كبار رجال أبيه ودولته فيما بينهم وتمرد بعضهم وعصيان العديد من بنى أعمامه ، وأول من قام بالمخالفة من هؤلاء هو شاه أبو المعالى ، وكان شابا وذات حسن وفهم وإدراك ، وكان محل عناية همايون الخاصة ، وكان شاه أبو المعالى يعتبر نفسه من أقرب المقربين لهمايون ومن أخلصهم له ، ومن هنا كان يسعى لكسب السلطة والقدرة ، فحينما دعى إلى الحفل الكبير الذى أقيم فى اليوم الثالث من الجلوس وتحت رعاية السلطان أكبر ، تظاهر عن الحضور بالأعذار ، وعندما ألح على حضوره ومشاركته الحفل ، لأنه كان يطرح فيه بحث المهام الملكية والمالية ،رد قائلا : انه لم يفرغ بعد من التعازى ، وعلى فرض حضوره ومشاركته ،لا يعرف كيف ستكون معاملة الشاهنشاه معه ، وفى أى مكان من الحفل سيكون مقعده وكيف يكون استقبال الأمراء له ، وبعد الالحاح واشتراط الشروط حضر الحفل وجلس فى الجانب الأيمن من شاهنشاه

---

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٤٣ .

وعندما جاء وقت تناول الطعام ومد شاه أبو المعالى يده للغسيل ، ألقى عليه القبض وأرسل إلى سجن لاهور (١) عند پهلوان گل گز ولكنه استطاع الهروب من السجن فانتحر بسببه پهلوان من الخجل ، ولما كانت مسألة مطاردة سكندر أُفغان هو الأهم ، لم يهتم فى القبض على شاه أبو المعالى ثانية (٢) فلجأ الى كابل واختار لنفسه أولا ملازمة مرزا محمد حكيم الأخ الأصغر لأكبر ،ولكنه بعد مرور أيام بدأ يفكر فى المخالفة من جديد ،فقتل بدون أى سبب ماه چوچك بيگم والدة مرزا محمد حكيم و محمد قاسم كوه بر و عرب ابن اخت المشار اليه ،ثم وضع مرزا المذكور تحت تصرفه .

ولما بلغت هذه الأنباء إلى بدخشان توجه حاكمها مرزا سليمان ، مع زوجته حرم بيگم (٣) إلى كابل لدفع أبى المعالى والقضا عليه ، فتقابلا فى ضفة آب باران وكان النصر حليفا لمرزا سليمان الذى قبض على أبى المعالى حيا ،وسلمه إلى محمد حكيم مرزا الذى قتله قصاصا لدم والدته وأمرائه . (٤)

وهكذا كانت نهاية شاه أبو المعالى على يدى مرزا سليمان الذى

---

(١) أبو الفضل علامى : أكبر نامه ،ج ٢ ،ص ١٨ — ١٩ .

(٢) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ،ص ٢٤٣ .

(٣) بيگم : كان فى الهند يضاف الى أسماء النسوة المغليات كلمة " بيگم " ، التى تعنى السيدة المحترمة (عبدالقادر : أويماق مغل ، ص ٨) .

(٤) بايزيد بيات: تذكرة همايون وأكبر ، ص ٢٨٤ ، ٢٨٥ .

كانت له أيضا أطماع فى الحكم ،حيث لم يكن يقتنع بولاية بدخشان ، فحاول مرارا الاستيلاء على كابل كما سنرى فى حينه ..

ومن مشاكل أكبر إبان توليه الحكم ، توتر علاقاته بأتابكه (١) ورجل دولته الأول خان خانان بيرم خان ، الذى كان له الفضل فى الحفاظ على الدولة وخاصة أثناء استيلاء هيمو على آكره و دهلى والقائه الرعب فى وسط سائر رجالات دولة أكبر كما رأينا سابقا .

و بيرم خان هذا كان من كبار أمراء الأسرة التيمورية ، وكان آباؤه وأجداده فى خدمة أولاد الأمير تيمور ، وكانوا أصحاب جاه ومنصب ، وكان أبوه سيف على بيگ قد قام مقام أبيه يار على بيگ فى إقطاعية غزنين وذلك فى أيام بابر بادشاه ، ولما توفى سيف على بيگ فى غزنين ، كان ابنه بيرم خان طفلا صغيرا فذهب إلى أقاربه فى بلخ (٢) حيث تعلم على أيديهم ما يلزم تعلمه من علوم ،وكسب وكمال ، ولما بلغ سن الرشد ،جاء إلى كابل وانتظم فى سلك خدام الأمير نصير الدين محمد همايون ، فأصبح مقربا لديه بسبب حسن سلوكه وأخلاقه الحميدة وطبعه المتزن وتفوقه فى فن الموسيقى ، ولما كان فى السادسة عشرة من عمره ،اشترك فى إحدى المعارك

---

(١) أتابك : كلمة تركية مركبة من أتا بمعنى الأب وبك بمعنى الأمير فمعنى أتابك هي الأمير الذى يقوم مقام الأب ، وكذلك ذكرت الكلمة بمعنى الأستاذ والمربى . (غيات اللغات ،ص ١٤) .

(٢) مدينة مشهورة من مدن خراسان ، وتسمى بها الآن محافظة من محافظات أفغانستان الشمالية .

ببسالة وشجاعة فائقة ،نال على إثرها شهرة عظيمة ، فسمع عنه بابرباد شاه وطلب محمد بيرم خان إليه ،فلما شاهد فيهآثار الاستعداد والمهارة ، أمر أن يحضرإليه دائما بصحبة الأمير همايون ، فوصل أمره بعد هذا إلى ماوصل ، وكان فى غاية الحب للرعية والتفقد لأحوالهـا ، وكان تقيا يلزم دائما صحبة أهل الفضل والعلم ، وكان يحضر فى مجلسه المطربون والموسيقيون وشباب كثيرون ؛ كما كان يحسن الآداب الباد شاهية ،ويهتم كثيرا بالتزين والتحسينات اللازمة لأهل الدنيا ،ولم يكن له نظير فى النظم والنثر ، وديوانه متداول بالتركية والفارسية ، وله قصائد كثيرة فى مناقب « الأئمة عليهم السلام »[1] هذا هو بيرم خان الذى كان سپه سالار[2] وأتابكا ، ثم تولى منصب الوكالة[3] أيضا فأصبح يصرف المهام الملكية والمالية ،وفور جلوس أكبر على العرش ، أرسل إلى أطراف البلاد وأكنافها فرامانات بشارة الجلوس واستمالة الجند والرعية[4] .

ولما تقرر تصريف الأمور برأى بيرم خان ، أخذ الحساد والأشرار يتآمرون ضده ،وكلما أتيحت لهم الفرصة ،سعوا إلى أكبر وقالوا له ما يكدر خاطره من قبل بيرم خان ، وعلى الخصوص أدهم خان الذى كان يستغل نسبته إلى أمه ماهم آنكه[5] وكان بالاتفاق مع أمه يختار طريق الحسد ،ولما

---

(١) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ،ج ١ ،ص ٢٥٠ .

(٢) سپه سالار : أى قائد الجيش .

(٣) الوكالة . كانت صلاحيات منصب الوكالة ،تشبه صلاحيات رئيس الوزراء فى عصرنا الحاضر .

(٤) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ،ص ٢٥٠ .

(٥) آنكه : كلمة تركية بمعنى المرضعة ، وكانت ماهم آنكه مرضعة للسلطان أكبر .

كان يعرف أكبر مدى ولاء بيرم خان وإخلاصه له ، لم يكن ليهتم كثيرا بهذه الأقاويـــل . (١)

في أواخر أيام محاصرة سكندر سور في قلعة مانكوت ، حدث أن كان أكبر يتفرج على مصارعة فيلين من الفيلـــة البادشاهية وهما فتوحـــا و لكنـه ، واتفق أن امتدت مصارعة الفيلـين إلى مقربـة من مخيم خـــان خانان ، وسبب ازدحام المتفرجـين وغوغائهم في تخوف بيرم خان من أن يكون هذا بتدبير من أكبر ،وزاد في خوفـه شائعات بعض المغرضـــين ، فأرسل واحدا من خلصائه إلى ماهم آنكه قائلا لها : إنه لم يقصر فـــي الخدمة ولا يدرى ما الذى نسب اليه من قبـل أصحاب الفتنة ، حتى تحـدث كل هذه اللامبالاة وإرســال الفيلة الطائشـــة إلى مخيمه ، ولكن ماهم آنكه سكنته وأراحت خاطـــره . (٢)

" كان بيرم خان يوزع الفيلة البادشاهية على أمرائه الذين يثق فيهم ، حـتى أنه أخذ كثيرا من الفيلـــة البادشاهية الخاصة بحيلـــة توزيعها على النـــاس، ولم يكن حضرة البادشاه ليتحمـل كل هذا التحكم ، ولكن لكل عمـــل أجـل ، ولأن الوقت لم يكن قد حان ،أغمـض حضرته ورضى بالقضـاء " (٣)

---

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٥٠ .
(٢) أبو الفضـل علامـــى : أكبر نامه ،ص ٧٤ .
(٣) المصدر نفســـه ، ص ٧٧ .

" ومن الأمور الغير اللائقة التي حدثت من بيرم خان ، نتيجة مصاحبته للرفاق السوء ، قتله فيال الشاهنشاهي الخاص ، وخلاصة القصة كالآتي :

كان الفيل البادشاهي طائشا ولا يطيع فياله ، واتجه إلى أحد فيلة بيرم خان، وضربه ضربة عنيفة أخرجت أمعاءه ، واستسلم بيرم خان للغضب فقتل الفيال ، وبهذا الاجراء البعيد عن الأدب والإخلاص ، جعل نفسه محل كراهية أرباب الخبرة ، والأعجب من هذا أنه في يوم من الأيام ،طاش واحد من الفيلة الشاهنشاهية الخاصة ، ورمى بنفسه في نهر جون (١) ، وكان بيرم خان يتنزه في النهر راكبا السفينة ، وخرج الفيل من طاعة الفيال ، واتجه إلى سفينة بيرم خان ،فحدثت له من جراء ذلك حالة عجيبة وفي النهاية تحكم الفيال على الفيل ونجا بيرم خان من الإصابة ، ولما اطلع حضرة شاهنشاه على الحادث أرسل الفيال مقيدا إلى بيرم خان لإرضاء خاطره ،ولكن بيرم خان الذي كان قد قربت أيام إدباره قتل ذلك الفيال المقيد والمرسل من قبل حضرته ، وحدثت من بيرم خان الكثير من أمثال هذه الأمور الغير اللائقة ، ولكن حضرته كان يستمر في أسلوب التظاهر بعدم الالتفات لمثل هذه الأمور ، حتى يعطى لمثل هؤلاء الناس فرصة الانصاف والعودة إلى طريق الإخلاص " (٢)

" وكان بيرم خان يعتبر نفسه الرجل الوحيد في الفهم والاخلاص والرجولية ، ومن كثرة مراجعيه المداحين ، كان يرى أن بدون وجوده هو لا يمكن أن تنتظم

---

(١) جون : اسم لنهر جمنا .

(٢) أبوالفضل علامي : أكبر نامه ،ج ٢ ، ص ١١٥ — ١١٦ .

أمور هندوستان ، ومن قصر نظر مرافقيه وحاشيته ، انحرف عن جادة الصواب))[1]
((وكان همايون قد سمى بيرم خان باسم أُتاليغ[2] ولأن الشباب
ينادون الشيوخ باسم بابا كان أكبر كثيرا ما ينادى بيرم باسم
خان بابا[3] ، وكان أكبر يراعى معنى هذا اللقب ، فكان يغمض عينيه
عن أعمال بيرم خان ، ويشغل نفسه بالتفرج والصيد ، ويؤثر القناعة والرضا ،
إلى أن تجاوزت الأمور حدودها ، حيث تخيل خيالات فاسدة بالاتفاق
مع أعوانه من أمثال ولى بيك ذو القدر و شيخ گدائى كنبوه ،
وقبل أن تتمكن هذه الفئة الجاحدة الضالة ، من إظهار خيالاتهم الفاسدة
خرج حضرته فى وسط المخلصين من أمثال ما هم آنكه التى كانت آية فى
التعقل والتدبير والإخلاص ، و أدهم خان و مرزا شرف الدين حسين
وجمعا آخر من المقربين ، فخاطبهم بأنه يريد أن يقوم بمهام الملك وأن يعاقب
بيرم خان ومتطقيه عقابا لائقا ، حتى يستيقظ من نوم الغفلة ، ويمكث
فترة طويلة فى حسرة أعماله ، وحدثت هذه المشورة فى بيانه حيث كان
حضرته هناك للصيد ، وكان خدام حضرته مهتمين بهذا الموضوع نظرا
لضيق المعيشة الذى كانوا يلاقونه من استيلاء بيرم خان على السلطة ،

---

(١) أبو الفضل علامى : أكبر نامه ، ج ٢ ، ص ١١٤ .
سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٤٢ .
(٢) أتاليغ : كلمة تركية بمعنى الاستاذ ، الأمير ، الأمير الذى يقوم مقام الأب ، مربى الأطفال .
(٣) خان بابا : بمعنى يا أبت خان .

ومن هؤلاء المهتمين بهذا الموضوع « ما هم آنكه ، و شهاب الدين أحمد خان حاكم دهلى » (١)

كان أكبر قد غادر آكره فى العشرين من جمادى الثانية سنة ٩٦٧هـ (١٥٦٠م) معلنا أنه خارج للصيد ، وبقى خان خانان فى آكره لتصريف الأمور ، ولما وصل موكبه إلى حدود قصبة سكندره تأملت ما هم آنكه مع نفسها ورأت أن من مصلحتها ،تشجيع أكبر بالتوجه إلى دهلى ، فأبلغوه أن والدته حدث لها ضعف ، وأنها تتذكره كثيرا ، الأمر الذى أقلق باله فعزم للذهاب إلى دهلى ، حيث قالت له ما هم آنكه بالاتفاق مع شهاب الدين أحمد خان أقاويل عن بيرم خان والتى تسببت فى تغير طبيعته عنه ، وقالوا له : « إنه ما دام يكون بيرم خان مستمرا فى السلطة فلا خيار لحضرته فى تصريف أمور السلطنة ، حيث تكون الاختيارات البادشاهية الحقيقية ، فى يده هو ، فكدروا خاطره من خان خانان » (٢) ،وبعد هذه الخطوة قالا له : ان خان خانان سيعتبر مجيئكم الى دهلى من تدبيرنا نحن ، ولا نملك مقاومة عداوته ،فمن الشفقة فى حقنا أن تأذن لنا بالسفر إلى مكه لنقوم بالدعاء فى الأماكن الشريفة ، وكان أكبر يحب ما هم آنكه لحسن خدماتها له ،فلم يرض مفارقتها ، فكتب إلى خان خانان يقول له :

---

(١) أبو الفضل علامى : أكبرنامه ، ج ٢ ، ص ١١٦ — ١١٧ .

(٢) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٥٠ .

V.A. Smith : Akbar the Great Mogul, p.23.

((إننى قد جئت إلى هذه المسافة البعيدة دون استصوابكم ، مما سبب قلق مقربينا ،فمن الأولى والأنسب أن تقوم بتسلية هؤلاء وتهدئة خواطرهم ، حتى يستمروا فى القيام بخدماتهم)) ، ورعى شهاب الدين أحمد خان الحزم والحيطة ،فبدأ يعتنى باستحكامات القلعة وسائر لوازم الحذر ، كما قام بالاتفاق مع ماهم آنكه بنشر الإشاعات عن تغير طبيعة أكبر بالنسبة لخان خانان بيرم خان (١)

ولم يقف الأمر الى هذا الحد ، فبعد نزول أكبر فى دهلى فى يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من جمادى الثانية سنة ٩٦٧هـ (١٥٦٠م) ونشر الإشاعات واتخاذ الخطوات السابقة ، استطاع خصوم بيرم خان أن يستصدروا من أكبر ما يؤكد إشاعاتهم ((فأصدر أكبر " تويجهاته إلى المخلصين وصدرت المراسيم إلى المقربين وخدام هذه الأسرة الكريمة القدامى ، بأن " بيرم خان " قد انحرف عن طريق السداد فانصرفنا عنه ونزلنا فى " دهلى وكل من يتجه إلينا بالاخلاص ، وكل عاقل فطن يريد خلاصة والوصول إلى ما يرغب فيه ،فليتشرف بالتوجه إلينا ، حتى نشرفه بالمراتب والمناصب العالية ، لأن هذه بداية ظهور دولتنا الخالدة ، فطوبى للسعداء الذين يوصلون أنفسهم بهذه الدولة المتعالية " (٢)

وهكذا تحول توتر العلاقات بين أكبر ووكيله بيرم خان من

---

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٥٠ - ٢٥١ .

(٢) أبو الفضل علامى : أكبر نامه ، ج ٢ ، ص ١١٨ — ١١٩ .

دور القوة والخفاء إلى دور الفعل والعلن ، فعلى الرغم من أن بيرم خان بادر بالرد على رسالة أكبر مؤكدا له ولاءه ، حيث أسرع بإرسال مجموعة من معتمديه إلى أكبر ، يؤكد له «أن إخلاصه لخدمة حضرته يصل إلى الحد الذى لا يمكن أن يصدر منه ما يخالف طبعه الشريف»(١) إلا أن الوضع لم يعد إلى طبيعته ، ولم يسمح خصومه أن تفوتهم الفرصة .

« وعلى الرغم من علم بيرم خان وفطانته فانه لم يكن يصدق أن أيامه قد ولت ، فكان يستمر فى ضرب طبل الاستقلال دون أى قلق ، ولم يكن يصدق ما يسمعه ، وحتى لو كان يصدق ، لم يكن ليهتم به ، إلى أن بدأت تصل مراسيم حضرته إلى الأمراء ، وشاعت أنباء تغير طبع حضرته عنه فى القريب والبعيد ، وهنا تيقن بيرم خان أن صيد حضرة شاهنشاهى فى هذه المرة ، كان من النوع الآخر ، وتأكد أن حضرته قد انصرف عنه ، وبدأ يصرف الأمور بنفسه »(٢)

أصبح بيرم خان فى قلق وبدأ يدبر الحيلة ، فأرسل جماعة إلى السلطان فى مهمة تقديم أنواع المعاذير ولكن الوفد لم ينجح فى مهمته «فتحير بيرم خان» وأصبح فى اضطراب شديد ، وقرر أخيرا أن يذهب بنفسه إلى حضرة شاهنشاه فى اشتياق وبكاء ، فأسرع أهل الفطنة والوعى ، بإيصال هذا الخبر إلى مسامع حضرته ، وأبدى الجميع رأيهم بأن بيرم خان يريد الخداع ، فقبل أن يصل ، يجب التوجه إلى لاهور وترك اللقاء معه ، لأن وسائل الحرب

---

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٥١ .

(٢) أبو الفضل علامى : أكبر نامه ، ج ٢ ، ص ١٢٠ .

لم تعد بعد ،فاذا جاء بيرم خان إلى لاهور فيجب التوجه إلى كابل، ورأى جمع آخر أنهم مستعدون للحرب ،ولا يرون أى صلاح فى توجه حضرته إلى مكان ما ، وبعد مشاورات طويلة ،قرر حضرته البقاء ، حفاظا على الوقار والهيبة ، وصمم على الحرب والمواجهة ، وأرسل إلى بيرم خان ، ترسون محمد خان و مير حبيب الله ، يخبرانه بعدم استعداد حضرته للقاء به ولا يريده أن يحضر عنده متلبسا بزى الصداقة والاخلاص)).(١)

وهكذا نجح خصوم بيرم خان فى توسيع الشقة بينه وبين سيده أكبر ، وكان خان خانان يميل دائما إلى التجرد وزيارة الأماكن الشريفة ، وأفشى هذا الى أمرائه وخوانينه الذين لم ينفصلوا عنه ، فرخصهم للذهاب إلى خدمة البلاط ، وعزم هو للسفر إلى زيارة الحرمين الشريفين ،فتحرك من آكره الى ناكور ، ولما انتشر نبأ خروج خان خانان من دار الخلافة(٢) إلى ناكور، أذاع شهاب الدين أحمد خان و ماهم آنكه أن بيرم خان خرج من آكره بقصد أخذ پنجاب، فأرسل أكبر إليه موفدا ومعه رسالة ،يقول فيها : ((عندما كان حسن نيتك وإخلاصك يظهران لنا ، فإننا تركنا تصريف أمور الممالك على يديك ، وانشغلنا بلوازم الترفيه والتنزه ، ونريد الآن أن نباشر القيام بمهامنا ، فمن الأجدر لذلك الصادق المخلص ،أن يتوجه لزيارة مكة المكرمة ، التى كان يفكر فيها دائما ، وأن يختار من ريف الهند

---

(١) أبو الفضل علامى : أكبر نامه ،ج ٢ ،ص ١٢٠ — ١٢١ .

(٢) اصطلح فى ذلك الوقت على تسمية آكره بدار الخلافة ، كما سميت بهذا الاسم مدينة فتحپور فيط بعد .

ما يشاء ،حتى يرسل اليه عماله محاصيله))، وقبل خان خانان جميع هذه التطيمات وتوجه من ميوات إلى ناكور ومن هناك أرسل إلى أكبر بصحبة واحد من أقاربه وهو حسين قلى بيگ أسباب الامارة والجاه، فحبذ أكبر هذا العمل ومجيء حسين قلى بيگ لملازمته .(١)

وهنا نرى أن بيرم خان قد نزل عند رغبة سيده ، وعزم على التوجه إلى زيارة الحرمين الشريفين فى الحجاز ، تاركا أكبر يباشر سلطاته ، ولكن ألاعيب الانتهازيين فى أوساط الجانبين ، وإعادة مولانا پير محمد شيروانى إلى المنصب وتقريبه إلى السلطان ،قد أدت إلى إثارة بيرم خان وتوقف عما عزم عليه وهو السفر إلى الحجاز.

وكان پير محمد خان الوكيل المطلق لخان خانان وكان يراجع إليه فى جميع الأمور الملكية ، ووصل نفوذه إلى الحد الذى أصبح ملجأ لأركان الدولة وأعيان البادشاه .

وحدث أن أصبح بير محمد خان مريضا ،ولم يخرج من البيت لعدة أيام، فذهب خان خانان إلى عيادته ، وعند الوصول إلى باب منزله تقدم أحد الخدام إلى خان خانان طالبا منه عدم الدخول إلى البيت إلا بعد الاستئذان ،فانفعل خان خانان من هذا السلوك وأحس استعلاء بير محمد خان ، وعلى الرغم من اعتذار پير محمد خان لما حدث من حارس الباب الا أن خان خانان مكث لحظات فى بيته ، ثم خرج ليدبر أمره ،فكتب

---

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ،ص ٢٥١— ٢٥٢ .

إليه بعد ثلاثة أيام رسالة يقول فيها : " إننى رقيتك إلى درجة الخانية ، بعد أن أحسست فيك الإخلاص ، ولكنه يبدو أن أهليتك لا تسمح بذلك ، ويخشى أن يظهر منك الفساد ، فتقتضى المصلحة أن أنتزع منك أسباب الغرور والجاه ، حتى تعود إلى حالتك الطبيعية ، فسلم بيرم محمد خان على الفور أسباب الخانية وأصبح شخصا عاديا ".(١)

وبعد أيام أرسل بير محمد خان مقيدا إلى قلعة بيانه ومن هناك رخص له بالسفر إلى الحجاز ، فتوجه إلى كجرات ولكن فى أثناء الطريق وصلته رسالة من مرزا شرف الدين حسين و أدهم خان يطلبان فيها منه أن يتوقف حيثما وصل وينتظر سانحة غيبية ، ولكن بيرم خان اطلع على الأمر فأرسل إليه من يطارده ،وعين مكانه حاجى محمد خان سيستانى ولو أنه سمى بوكيل خان خانان إلا أن شيخ گدائى الذى رقى إلى منصب الصدارة كان وكيله المعنوى ،فلم يكن بيرم خان ليقدم على أمر بدون استصوابه ، وقد كان له دور كبير فى توسيع الشقة بين بيرم خان ووكيله السابق بير محمد خان (٢)

وبعد إعفاء بيرم خان عن مناصبه ،استدعى پير محمد خان ، وكرم من قبل البادشاه بخطاب خانى وبالعلم والنقارة وارتفاع العزة .(٣)

ولما اطلع بيرم خان على إعادة پير محمد خان إلى المنصب ، استاء كثيرا

---

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ،ص ٢٤٨ - ٢٤٩ .

(٢) أبو الفضل علامى : أكبر نامه ،ج ٢ ، ص ١٠٦ .

(٣) المصدر نفسه : ص ١٣٠ .

وانفعل ، وجاءه جمع من الانتهازيين فأثاروه ،فرفع علم المخالفة وتوجه إلى پنجاب ، ولكنه لم يلق ما كان ينتظره من الكثيرين الذين أوصلهم إلى مناصب عاليه وكانوا خداما له فيما سبق . (١)

حاول أكبر وخصوم بيرم خان أن يدفعوا خطره بشتى الوسائل بدءا بالحرب النفسية المتمثلة فى الوعد والوعيد اللذين كانت تحملهما رسائل أكبر الموجهة الى بيرم خان ،ويذكر أبو الفضل أنه قرأ نص الرسالة التى بعثها أكبر إلى بيرم خان وما جاء فيها :

" لقد شاورت الذين تسببوا فى الاستياء وعدم الرضا ،ولم تفكر فى المآل ،وبإغواء من هؤلاء وإضلالهم ،بدأت فى إثارة الأوضاع فى الولايات ،وأرسلت ابن سكندر و غازى خان ليثيرا الوضع فى مكان ما ، وكتبت إلى مهدى قاسم أنك تنوى التوجه إلى لاهور وطلبت منه أن يحافظ على القلعة ولا يتركها لأحد ، وأرسلت الاخبار إلى الأطراف والأكناف ،ليقوموا بالإخلال من كل جهة ، وتوجهت إلى ناكور لتذهب من هناك إلى لاهور .

إننا على يقين بأن كمال إخلاصكم لا يسمح إطلاقا ،أن تكونوا قد رضيتم بأى أمر من هذه الأمور ، أو تكونوا أنتم البادئ ، بل هناك جماعة سببت الضلالة وما وصلت إليه الأمور.

لكن قولوا لى : ما هذه الحالة بعد أربعين سنة من الخدمة المخلصة وتلقيكم كل أنواع الرعاية والعناية ،ووصولكم إلى قمة العزة والدولة ، واشتهاركم بالصدق

---

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٥٢ .

والإخلاص نتيجة إكرام هذه الأسرة الكريمة وإحسانها ، وماذا جرى لكم حتى أردتم البغى فى آخر العمر ، ألا تستحيى من اللـــه ؟

إننا على الرغم من كل هذا نراعى خاطركم ونريد لكم الخير ، ولأن لقاءكم معنا فى دور التأخير والتوقف ، ليس من المصلحة أن نعطيكم ولاية تذهبون إليهـــا ، لأن أرباب الغرض سوف ينقلون إلينا ما يسبب الاستياء وتكدير الخاطـــــر ، فنوافق على التماسكم بالتوجه إلى طواف الحرمين الشريفين ، وبعد أن تلتـم هذه السعادة بتوفيق من الله وهدايته ، وتوجهتم إلينا للخدمة ، فســـيتم اللقاء بيننا على أحسن وجه ، ولا نبخـل فيما تريدون ، وبالنظر إلى سوابقكم فى الخدمة ، فسوف نراعى خاطركم أكثر من السابق .

لقد وصلت الأمور الى هذا الحد باغـواء من تلك الجماعة ، التى أساءت لسمعتكم بين الناس — الأمر الذى لا نرتضيه — فأحذركم من أن يغويكم أرباب الغرض عن جادة الصواب " (١)

لم تؤثر هذه الرسالة على بيرم خان فبدأت ماهم آنكه بتصريف المهام ، وجعلت شهاب خان و خواجه جهـان مساعدين لنفسهـــا ، وأخذت تهتم بتفقد جمهور الخلائق والتحبب اليهم . ورأت من المصلحـــة أن يعين بهاور خان شقيق على قلى خان فى منصب الوكالة الرفيـع ، والتمست هذا الأمر من أكبر الذى وافق عليـــه ، نظرا لاقتضاء الظـــرف

---

(١) أبو الفضـل علامـــى : أكبرنامه ، ج ٢ ، ص ١٢٣ — ١٢٤ .

ودفعا لتمرد مرتقب من الأتراك ، الذين كانوا ضد شهاب الدين أحمد خان و خواجه جهان وأمثالهما . (١)

وفي يوم الثلاثاء الثاني عشر من رجب سنة ٩٦٧ هـ (١٥٦٠م) ، غادر بيرم خان دار الخلافة آگره متوجها الى ناگور وعند ما وصل إلى مدينة بيانه أطلق سراح شاه أبو المعالي و محمد أمين ديوانه اللذين كانا مقيدين في قلعتها دفعا لعصيانهما ، وبعد الإطلاع على تلك الأوضاع تقرر أن تتحرك الرايات من دار الملك دهلي (٢) إلى حدود ناگور حتى لا يستقر فيها بيرم خان ويقطع عليه الطريق إلى پنجاب ، وغادر موكب أكبر دهلي في يوم الجمعة الثاني والعشرين من رجب ولكنه عاد إلى دهلي في يوم الأربعاء الحادي عشر من شهر شعبان حيث تقرر أن قيادة أكبر المباشرة لتلك المسيرة لا تتناسب وهيبة الشاهنشاهية ، فأرسل أدهم خان و شرف الدين حسين مرزا وپير محمد خان وجمع كثير ، إلى ناگور لينظروا في أمر بيرم خان فاذا كان لا يريد السفر إلى الحجاز ، ويهدف الوصول إلى پنجاب ليرأس التمرد فعلى هؤلاء أن يقاوموه ويعملوا لإخراجه من

---

(١) أبو الفضل علامي : أكبر نامه ، ج٢ ، ص ١٢٤ - ١٢٥ .

(٢) اصطلح في تلك الفترة على تسمية دهلي بدار الملك ، كما اصطلح على تسمية لاهور بدار السلطنة .

"الممالك المحروسة". (١)

ولم يكتف أكبر بتقديم النصائح السابقة الذكر لبيرم خان من خلال الرسائل ، بل وفى هذه المرحلة ، أرسل اليه مير عبد اللطيف فروتني المعروف بعلمه وإخلاصه ،ليعظه ويؤكد له : أن حقوق خدماته السابقة لهذه الأسرة معروفة للجميع ،وباقتضاء صغر السن وحداثته ، كنا نصرف الأوقات فى التنزه والصيد ، مفوضين جميع مهام السلطنة لحسن كفاءاته ودرايته ، والآن بدأنا نباشر تصريف الأمور ونشر العدل ، فيليق لرجل عاقل مثله -والذى كان دائما يدعى الإخلاص - أن يعتبر هذا من أنعم الله وأن يشكره كثيرا ، وأن يتوقف لفترة من الزمن عن تولى المهام ، وأن يبادر إلى نيل سعادة الحج والتى كان دائما يتمناها فى الخلوة والملأ ، وأن يختار من ولاية هندوستان أية منطقة يختارها ، فنقرر نحن أن يجمع أفراده محاصيلها لحسابه فصلا بعد فصل وسنة بعد سنة . (٢)

لم تفد هذه المحاولات فسيرت الأفواج ضده ، وبانتشار خبر مجئ الأفواج فى جند بيرم خان ، انفصل الكثيرون عنه ،

---

(١) أبو الفضل علامى : أكبر نامه ، ج ٢ ، ص ١٣٠ - ١٣١ .

(٢) المصدر نفسه : ص ١٢٧ .

V.A. Smith : Akbar the Great Mogul, p.23.

فيادر بإرسال معروض إلى أكبر أكد فيه كل أنواع المعاذير والاستئذان لزيارة الحرمين الشريفين على الرغم مما يعانيه من ألم الفراق ، وكتب للأمراء الذين رشحوا لمقاومته أن لا يتعبوا أنفسهم؛ فهو قد قطع قلبه من الدنيا ومشاغلها ، وأرسل أسباب الرئاسة والإمارة إلى سيده ، فانخدع الأمراء ورجعوا دون القيام بأى عمل ضد بيرم خان .(١)

وعلى الرغم من هذا ، كانت هناك اليقظة والترقب ، خوفا من الخداع وقيام الفتنة فى ناحية يصعب إخمادها ؛ فوصلت الأنباء بتوجه بيرم خان إلى پنجاب ، وأنه قد كشف النقاب عن مخططاته ، فأعلن عصيانه ضد سلطة ماهم آنكه وجماعتها ، وكتب إلى أمراء الحدود : ((أنه كان ينوى التوجه إلى الحجاز ولكن قيلت عنه أقاويل ، وخاصة من قبل ماهم آنكه التى تدعى الاستقلال ، فتنسب إخراجى لنفسها ، ففى مثل هذه الأوضاع عزمت على معاقبة المسيئين ، ثم الاستئذان من جديد للسفر الميمون إلى الحجاز)) (٢)

---

(١) أبو الفضل علامى : أكبر نامة ، ج٢ ، ص ١٣١ .

(٢) المصدر نفسه : ص ١٣١ - ١٣٢ .

وبعد هذه التطورات بادر أكبر من جديد بإرسال رسالة مطولة إلى بيرم خان ، ويقول أبو الفضل أنه نقل تلك الرسالة فى كتابه حرفيا ، ونحن ننقل هنا ترجمتها كاملة ،نظرا لأهميتها فى الإشارة الى ما كانت عليه الأوضاع غداة بدء عصر أكبر من جهة ، ولتوضيحها العوامل النفسية التى أدت إلى استياء أكبر ومقربيه من بيرم خان :

" فليكن فى علمك أنك وقد نشأت وتربيت فى ظل نعمة هذه الأسرة السامية وعنايتها وعطفها ،وأن خدماتك الحسنة لهذا البلاط ثابتة ، وأن حضرة البادشاه (١) طيب الله ثراه ، قد شاهد صدق نيتك وإخلاصك فرقاك إلى قمة الرعاية والتربية ، وفوض إليك أمرنا العظيم الأتابكية وبعد أن رحل حضرته من ضيق هذه الدنيا الغانية إلى رحاب عالم الخلد ، شمرت عن ساعد الجد والإخلاص ، فتوليت زمام الحل والعقد والرتق والفتق ، وتركنا الأمور فى قبضة اختيارك الى الحد الذى لا يمكن تصوره أكثر من ذلك ، فقمت بعمل ما أردته من حسن وقبيح .
لقد ظهرت منك فى خلال هذه السنوات الخمس أمور غير لائقة ، والتى أدت إلى نفور خاطر الجمهور ، فأنت الذى ربيت ورقيت شيخ گدائى ، وعلى الرغم من ادعائك كل هذه العظمة والفهم ، اخترت ذلك الرجل لمصاحبتك من بين كل هؤلاء الأفاضل المتأهلين وذوى الحسب والنسب ، فهو قد تولى منصب الصدارة (٢) ، وكان يختم على ظهر المراسيم ، ومع كمال جهله وعدم وعيه ،

---

(١) يقصد أباه همايون .
(٢) منصب من المناصب المهمة فى دولة السلطان أكبر ،وكان متوليه يسمى بالصدر أو صدر الصدور ، والذى كان كبير العلماء والمتحدث باسمهم ،كما كان يشرف على معاشاتهم وشؤون الأوقاف .

كنا نقدمه فى المحافل على جميع السادات الصحيحى النسب والعلماء الجليلى الحسب ، والذين كنا نلاحظ عظمة شأنهم ، مقدمين لهم الاحترام والتعظيم ، وعلى الرغم من ادعاء ذلك الرجل ، المحبة والصداقة لآل البيت الطيبين الطاهرين ، تراه يتعمد ذلة هذه الطائفة الشريفة وهوانها ، ويرجح عليهم الذين رباهم وهم المطرودون من القلوب والأبصار ، ووصل به الأمر إلى الحد الذى كان يأتين راكبا ويصافحنى ، ورقى أسفل خدامه — المعروفة حالتهم وأهليتهم — بخطاب الخانية فاستعملهم فى المناطق المعمورة وولاهم الولايات الخصبة ، فى حين أصبح خوانين حضرة جهان بانى (١) وأمراؤه ومقربوه ، والذين لا تخفى أصالتهم وحالتهم واستحقاقهم على أحد ، يحتاجون إلى لقمة العيش ، بل كان بصدد دمهم وعرضهم ، وكان لا يريد للملازمين والخدام البابريين الذين كانوا يستحقون كل الرعاية والعناية بسبب خدماتهم فى سنوات طوال ، أن يكون لهم أقل درجة من وجوه العيش ، وفى كل يوم كان يقوم بقول الأكاذيب للقضاء على المقربين .

ولو قام خدامه بارتكاب مئات الجرائم ، من أمثال : القتل والسرقة وقطع الطريق والنهب وأنواع الفسق والفجور ، لعفا عنهم ، وبالعكس لو ظهر من ملازمى البلاط أقل شئ أو افترى ضدهم أحد ، وجدته لا يتأخر فى قتلهم وحبسهم ونهبهم وإيذائهم بأنواع من الظلم والهوان والإهانة .

ان البعض قد وضعوا أنفسهم بدناءة ، تحت تصرفه ، فكانوا يجاملونه ويتملقونه

---

(١) يقصد أباه همايون / أى بانى العالم .

مثـل شاه قلى نارنجى و محمد طاهر و لنگ ساربان ، وكـــان من السذاجة بحيث كان يصدق أقـوال هذه الفئة ويقويهم ؛ وظهرت من شاه قلى أمور غير لائقـة فلم يصغ للأوامر ؛ ورد محمد طاهر باللهجة التى كانت تستوجب قطع لسانه ، بـل وقتله ، فسمعه وتجاهل ؛ وصدر مـــن لنگ ساربان وأمام جماعة ، كلام غير لائق كان يوجب عقابـه أيضـا .

إنكم تعرفون ولى بيگ ولقد رجحه على الأمراء العظام لأنه صهــره ، دون أن ينظر إلى سابق خدماته وإلى أصالته وأهليته ، وقدمه حتى علـــى سيد قلى مرزا الممتاز بعلو السعادة وانتساب السلطنة ، وقدم حســين قلى الذى لم يشتبك إلى الآن مع عصفور ، واستعمله فى مناطق معمورة ، فـى حين فـرح الخوانين العظام باستعمالهم فى مناطق قاحلـــة .

لقد ظهرت منك فى أكثر المجالس أمور ،كدرت خاطرنا ، ولأنك كنت عزيـزا لدينا وكنا نعتبرك مواليا صادقا لهذه الأســرة ،ونثق فى كـل قولك وعملـك تمام الوثوق ، فكنا نغمض العين عن كل هذه الانحرافات ونعتبرها من حســن النية ؛ إلى أن عرض علينا فى الآونة الأخيرة ،بأنك تستمع لتلك الفئة الباغيـة وتريد أن تفصـل عنى المعدودين الذين بقوا معى حتى الآن لتتركنى منعزلا؛ ولدفع هذا الشر ،غادرت دار الخلافة آگره متوجها إلى دار الملك دهلى فكتبت لك بأن مسائـل قد ظهرت وأن أقاويل قد نقلت ،فلا يهدأ خاطرنـــا أن تلازمنا فى هذه الفترة ، وعلى الرغم من أننا قد رأينا منك أذى كثـــيرا نعتبرك إلى الآن خان خانان ونخاطبك به ؛ ولتسكين خاطرك حلفنا لك أحلافا غلاظا بأننا لا ندبر شيئا ضد حياتك ومالك وعرضك .

لأنك ربيب هذه الأسره العظيمة الشأن ،وطاعة حكمنا عليك واجب .

لذلك ولإتمام الحجة أمرنا أن تترك هذه الأفعال القبيحة ،وتقيد تلك الجماعة السيئة العاقبة والتى تسببت فى نقص دولتك وعزتك ، والتى تبحث عن أغراضها وتدبر للبغى والعدوان ،وترسلهم إلينا .

إننا فى خلال هذه السنوات الخمس راعينا خاطرك ولم نناقشك فى أمر ، ولم نرد لك طلبا معقولا كان أم غير معقول ، فعليك أيضا أن تنقاد لحكمنا هذا سمعا وطاعة ، دون القيام بالمخالفة ، وفى هذه الحالة سوف نصفى خاطرنا لك ، ونعفو عن جرائمك وتقصيراتك كلية ، وكلما أردت ملازمتنا واقتضت الظروف ذلك ، طلبناك ، وحتى الآن أيضا نراعى ونلاحظ خدماتك على الرغم من أنك تلقيت مقابل هذه الخدمات ألف مرة من العناية .

إننا لا نريد لك أن تشتهر بالبغى والعناد والإفساد ، فى حين كان المعروف عنك فى جميع الأمصار والبلاد ، الإخلاص والولاء ، فلا يليق بك أن تدخل فى آخر العمر فى زمرة الأشقياء .

وبالنظر إلى حقوق الخدمة نبهناك ،فحذار أن تتخيل شيئا آخر ، ولتكن على يقين أنك لو انحرفت عن الطريق جهالة وقصر نظر ، واستسلمت للنخوة والهوى ، والتحقت إلى الأشقياء ، فسوف نتوجه لدفعك بالعساكر المنصورة ، وبالعناية الإلهية سوف نجعل أيامك دمارا ، ونرجو أن نفوز بفتح عظيم ، ونحن فى عنفوان إقبال خلافتنا وبداية إدبارك ، فتصبح مقبوض عساكرنا ويقبض عليك .

إنه لأننا بدأنا نسك مهام الحكم ونباشرها ، فلتبق أنت على حالتك ،فاذا كانت لديك دعاوى ،تستطيع عرضها ، فإننا نحكم فيها بما نراه مناسبا ، وأنت كنت تتمنى أحيانا مباشرتنا لمهام السلطنة ، ولذا فان التصور هو أنك تسر من سماع هذا النبأ وتثبت فى مقام التسليم والرضا ، ولكنه عرض علينا أنك غارق فى طلب هذه الأمور بحيث تناسيت كلية حقوق النعمة والتربية لأسرتنا السامية التى تعيش فى كنفها منذ أربعين سنة ، والتى ربتك من المهد إلى العهد .

إنه ما عرض علينا أيضا أنك تستمع إلى تلك الفئة المفسدة والتى تدعو للفتنة وتريد بسبب أغراضها وهواها ،إدخالك وابتلاءك بالشقاوة الأبدية وهم قد حسنوا لك هواهم بشيطانيتهم وخساسيتهم وأنانيتهم ،وجعلوك تكاتب ابن اسكندر[1] لتدعوه إلى المخالفة والمنازعة ، وترسل إلى تتارخان پنج بهية من يدعوه للمجئ إلى سفح الجبل ،ليقوم بأعمال النهب والتخريب متقدما من تلك الحدود ، وعزمت أنت للذهاب إلى لاهور لتثير فى تلك النواحى الفتنة والفساد ، وقمت فى أطراف الممالك المحروسة ،بأعمال التشويش بقصد إطفاء نور مصباح هذه الأسرة المنور بالنور الأزلى بنفخ بارد ، وعميت بصيرتك بحجاب الغرور والهوى ،ولم تعرف أن الذى ينفخ قاصدا إطفاء المصباح الذى نوره الله ،فانه لايتحصل إلا على حرق لحيته .

إنه بالنظر إلى ما كان من الإخلاص والولاء المبيثين فى صفحة أحوالك وجبين أعمالك كان ولا يزال يستبعد منك ظهور تلك الأمور المبنية على الشرور

---

(١) من الأفغان المخالفين لسلطة المغل فى الهند .

وحذار أن يبادر إلى ذهنك بأننا فاقدى السلطة والدولة ، بدليل أنك في خلال هذه السنوات الخمس ، كونت لك أنصارا يساعدونك في يوم الحادثة ، ومن قصر النظر والجهالة لم تكن تعلم أن الدولة فائزة بالعناية الإلهية وبدونها لا يفيد الأنصار والخدام ، وكما تشاهد برأى العين ، فإن الذين كنت تخاطبهم ابنا وأخا ، ولم تكن تتصور انفصالهم عنك ، سلكوا طريق السعادة وانفصل عنك أغلبهم ، والذين بقوا معك حتى الآن ، سوف يتوجهون إلى البلاط العالى ، واحدا بعد الآخر ، إلى أن تبقى وحيدا .

وفى هذا المقام لا يفيد إلا التسليم والرضا)) (١)

وهكذا جاء خطاب أكبر هذا خير توضيح لجانب كبير من الحالة غداة بدء عصر أكبر ، لكن هذه المحاولات باءت بالفشل وحدث ما كان يخشى حدوثه ، حيث رفع بيرم خان علم المخالفة وتوجه إلى پنجاب ولكنه لم يلق ما كان ينتظره من الكثيرين الذين أوصلهم الى مناصب عالية ، فأصبح متحيرا ، فى حين أمر أكبر عددا من الأمراء أن يسيروا الأفواج لتعقبه ، واستطاعت هذه القوات أن تسد الطرق على بيرم خان الذى اضطر الى دخول المعركة فانهزم ولجأ إلى جبل سوالك تاركا الأسرى وغنائم كبيرة لقوات أكبر ، وتحركت هذه القوات لتعقب بيرم خان فى ملجئه ، ولكنه ندم على ما حدث فأرسل واحدا من خدامه إلى أكبر ، طالبا العفو متعللا بأن الذى حدث لم يكن باختياره هو ، فلما تذكر أكبر خدماته السابقة ، طلبه معززا وأرسل الأمراء

---

(١) أبو الفضل علامى : أكبرنامه ، ج ٢ ، ص ١٣٣ — ١٣٧ .

والخوانين لاستقباله ،فاستقبله أكبر وكرمه بالخلع والمكرمات الملكية[1] ثم عرض عليه أن يختار أمرا من ثلاث :

أ ــ اذا آثر أن يبقى فى القصر فإنه يسمح له بذلك وسيعامل بكل إعزاز وإكرام باعتباره صاحب فضل على البيت المالك .

ب ــ واذا آثر أن يحيا حياة دينية فستقدم له كل المنح والمساعدات التى تمكنه من الحج إلى مكة المكرمة

ج ــ واذا آثر أن يظل فى الخدمة فسيعين واليا على إقليم من الأقاليم السلطانية .

فأجاب بيرم خان بأنه ما دام قد فقد ثقة مولاه مرة ،فإنه لا يستطيع أن يستمر بعد ذلك فى خدمته للدولة[2] ، فاستأذن للذهاب إلى الحرمين الشريفين فأذن له بذلك بعد يومين ، ولكنه فى الطريق إلى الحجاز اغتيل فى بلدة پتن التابعة لگجرات ،من قبل مبارك خان أفغان الذى كان قد قتل أبوه فى إحدى المعارك بواسطة المغل ،فقتل بيرم خان بضرب الخنجر ثأرا لأبيه[3] وكان ذلك فى أوائل سنة ٩٦٨هـ / ١٥٦١م .

---

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ،ص ٢٥٢ - ٢٥٣ .

(٢) جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية فى الهند ، ص ٨٦ -- ٨٧ .

(٣) نظام الدين أحمد الهروى . : طبقات أكبرى ، ص ٢٥٣ .

V.A. Smith : Akbar the Great Mogul, P.34.

لقد فرح منافسو بيرم خان بإقصائه عن الحكم ، وبدأت مرضعة السلطان ماهم آنكه بتصريف مهام الدولة ، فجعلت شهاب خان و خواجه جهان مساعدين لها ، وأخذت تهتم بتفقد جمهور الخلائق والتحبب اليهم ، ورأت من المصلحة أن يعين بهادر خان شقيق عليقليخان فى منصب الوكالة الرفيع ،فالتمست هذا الأمر من أكبر الذى قبل ذلك العرض نظرا لاقتضاء الظروف ، ودفعا لتمرد مرتقب من الأتراك ، من أمثال قياخان كُنْك و سلطان حسين جلاير و محمد أمين ديوانه الذين كانوا يدبرون ضد شهاب الدين أحمد خان وخواجه جهان وأمثالهما .(١)

وهكذا يبدو أن أكبر لم يتول أمور الحكم مباشرة بعد إقصاء بيرم خان من الساحة ،بل كانت المهام تدار بواسطة بعض نساء القصر ذوات النفوذ ، وبعض رجال البلاط وعلى رأس الجميع ماهم آنكه ، مرضعة أكبر (٢) وكانت هذه السيدة موضع ثقة أكبر ومشورته فى شؤون الدولة والحكم ، حتى كان لا يبرم فى الغالب أمرا دون رأيها ، فأخذت ماهم آنكه تعهد بمناصب الدولة إلى أتباعها وفق هواها وتعمل لرفعة مقام ابنها أدهم خان ، ولكن أكبر لم يبعد بيرم خان ليقع ألعوبة فى أيدى الآخرين ، مهما كانت مكانتهم المعنوية عنده عالية ، فأخذ يراقب

---

(١) أبو الفضل علامى : أكبر نامه ، ج ٢ ، ص ١٢٤ — ١٢٥ .

(٢) عبد العزيز سليمان نوار : الشعوب الإسلامية ،ص ٥١٦ ،
أحمد محمود الساداتى: تاريخ الدولة الإسلامية بآسيا وحضارتها ، ص ٨٤ ،
جمال الدين الشيال :تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية فى الهند ، ص ٨٧ .
V.A. Smith : Akbar the Great Mogul, P.36.

سلوك مرضعته وعصابتها بعين اليقظة والحذر .

حدث أن أكبر بعث أدهم خان ومعه پير محمد شيروانى لفتح مالوه ، فاستطاع أن يحرز نصرا كبيرا على باز بهادر نائب شيرشاه السابق على مالوه ، وأغره هذا النصر فاستحوذ على غنائم المعركة وأخذ يوزعها بسخاء ليستزيد من الأتباع ، واستبقى لنفسه بعد هذا الرايات السلطانية وشعار الملك والنصيب الأكبر من الأموال التى كان يجب عليه أن يرسلها إلى السلطان .

كان أكبر يراقب الأوضاع ، ودفعته الريبة فى سلوك قائده هذا إلى أن يفاجئه بالذهاب إلى مالوه حتى يطلع بنفسه على مجريات الأمور وعلى ما استحوذ عليه قائده هذا من أسلاب ضخمة ، ولم يملك أدهم خان ، عند ذلك إلا أن يدعى بأنه كان فى سبيل إرسالها الى العاصمة " آكره " ، وعلى إثر هذا الحادث استدعى أدهم خان إلى آكره وعزل عن حكم مالوه وأمر بملازمة القصر (١)

ثم رأى أكبر أن يتخذ لنفسه وزيرا يساعده فى تصريف المهام والمسؤوليات ، فاختار لهذا الغرض واحدا من رجال أبيه الأكفاء المخلصين وهو شمس الدين محمد أتكه ، فرأت عصابة ماهم آنكه فى هذا الاجراء ما يحد من نفوذها ، مما دفع أدهم خان أن يثب عليه وأن يقتله فى البلاط وهو يؤدى فريضة الصلاة .

---

(١) أحمد محمود الساداتى: تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية وحضارتهم ، ج ٢ ، ص ٨٣
جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية فى الهند ، ص ٨٨ ،
إحسان حقى : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ١٤٥ .

لم يكن لأدهم خان نظير في التقرب، ولكن أغره الشباب والجاه والمال وبإغواء من شهاب الدين أحمد خان و خان خانان منعم خان وعدد آخر، قتل وكيل السلطنة خان أعظم في الديوان، وكان غروره ونخوته وإعتماده على عناية أكبر له، إلى الحد الذى جعله يقف في باب القصر بعد قتله وكيل السلطنة، ولكن أكبر، كان صارما في عقابه فخرج من داخل القصر والسيف في يده، وأسرع في ربط يديه ورجليه ثم رماه من السطح فقتل، وكان وقوع هذا الحادث في صباح يوم الاثنين الثاني عشر من رمضان سنة ٩٧٠ هـ (١٥٦٢م) واختفى الذين كان لهم ضلع في الحادث، ثم بالغ أكبر في ترضية مرضعته ما هم آنكه أم أدهم خان وأبناء خان أعظم المقتول، ولكن ماهم آنكه مرضت من الحزن على ابنها وتوفيت بعد أربعين يوما. (١)

هكذا تبدو شخصية أكبر القوية الصارمة، حيث يعترف بالجميل لمن له حق عليه، وفي نفس الوقت لا يفرط في شؤون الحكم حتى بالنسبة لأقرب المقربين إليه، وهكذا وضع حدا لتصرفات الحاشية ورجال القصر ونسائه، مباشرا تصريف مهام الدولة. (٢)

---

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى، ص ٢٥٧.
أحمد محمود الساداتي : تاريخ المسلمين في شبه القاره الهندية، ج ٢، ص ٨٤
جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أباطرة المغول الاسلامية بالهند، ص ٨٨–٨٩.

(٢) مؤلف مجهول : تاريخ هندوستان، ق ٢٣٢ أ — ق ٢٣٢ ب.
وليام لانجر : موسوعة تاريخ العالم، ج ٤، ص ١٤٠٤.
رولان موسنييه : تاريخ الحضارات العامة، ج ٤، ص ٥٨٣.
سجان راى : خلاصة التواريخ، ص ٣٤٥.

لم يكن رجال القصر ونساؤه يحاولون بسط نفوذهم والتأثير على أكبر فحسب ،بل كان هناك من بنى أعمامه من لا يريد بسط سيطرته على الدولة فحسب ، بل كانوا يرون أنفسهم أحق من أكبر فى تولى أمور الدوله ، ولم يردعهم فى ذلك ما حدث لبيرم خان وما أصاب الحاشية .

يأتى فى مقدمة هؤلاء مرزا سليمان حاكم بدخشان الذى تحرك (١) لتحقيق ما يريده ، فور أن سمع بنبأ وفاة همايون بادشاه ،حيث حرضته زوجته حرم بيكم التى كانت مسيطرة عليه وعلى تسيير مهامه المالية والمدنية ، فأعلن العصيان مستغلا الأوضاع التى أعقبت وفاة همايون وصغر سن السلطان وادعى أحقيته فى السلطنة .

حدث أن حرم بيكم تظاهرت بالغضب على زوجها وابنه إبراهيم فجاءت إلى كابل ،وفى الواقع كانت مهمتها التعرف على أحوال كابل وكيفية الاستيلاء عليها ،وبعد فترة تظاهر المرزا بالندم وأرسل فى طلبها وعندما رجعت ، سهلت عليه الاستيلاء على كابل .

أدرك منعم خان حاكم كابل نوايا مرزا سليمان وزوجته فعمل على تحصين وتصليح قلعة كابل وأبراجها ، وطلب من السلطان قوات جديدة لتقابل الكثرة العددية من قوات مرزا سليمان ، وكانت أمور كابل و غزنين ،قد فوضت الى منعم خان بعد أن توجه همايون الى هندوستان .

(١) كان ذلك فى سنة ٩٦٣هـ / ١٥٥٦م

كان مرزا سليمان بن خان مرزا بن سلطان مرزا سلطان أبو سعيد كُوركان ، واليا على بدخشان من قبل همايون ، ولم يكن في سلسلة التيموريين من هو أكبر سنا منه ،فلما اطلع على نبأ وفاة همايون رأى أن تكون سكة كابل وخطبتها باسمه ، فتوجه إلى كابل بمرافقة ابنه مرزا إبراهيم ومعهما عشرة آلاف من الجنود وأفراد القبيلة والحشم الموجودين في بدخشان وذلك في سنة ٩٦٣هـ/١٥٥٦ م، ولم يكن أحد من أخوات همايون وأبنائه وأزواجه وأزواج الأمراء قد توجه إلى الهند ، بل كان الجميع في التعزية وفي غفلة مما يدبره لهم مرزا سليمان ، وفي البداية خطر لهم أنه قد جاء للتعزية ولكن ثبت أخيرا أنه كان يتخيل شيئا آخر ، وعلى الرغم من عدم وجود الذخيرة والمدفعية في قلعة كابل قاومه منعم خان بحوالي مائة وخمسين من الجنود ، كما قاوم الحصار الذى ضربه عليه مرزا سليمان وأرسل شرحا لهذه الحادثة إلى السلطان .

كان أكبر قد أرسل جمعا من كبار الأمراء إلى كابل لإحضار الأميرات ، وحين وصل نبأ قضية مرزا سليمان ،صدرت الأوامر إلى هؤلاء الأمراء أن يستعجلوا بالذهاب إلى كابل واستخلاصها من حصار حاكم بدخشان ، وبوصول هذه الجماعات إلى كابل قويت معنويات المحاصرين ، وضعفت روح المهاجمين ، حيث أشيعت أن قوات جديدة من الهند على وشك الوصول إلى كابل ، فرأى مرزا سليمان أن الأمر لا يؤول إليه بالحرب فأرسل قاضي خان بدخشي الذى كان من كبار أمرائه ، طالبا من منعم خان

أن يذكر اسمه في الخطبة ،واذا قبل هذا العرض فهو راض بالعودة ، فقبل منعم خان هذا العرض نظرا لطول مدة الحصار على أن يذكر اسمه مرة واحدة في ذيل ألقاب أكبر ، ورحل مرزا سليمان عائدا إلى بدخشان ، ولكنه كرر هذه المحاولات الفاشلة عدة مرات ، حتى وقعت ولايته تحت سيطرة حفيده واضطر أن يلجأ الى "أكبر" الذى رحب به واستقبله استقبالا حافلا وحارا اشتركت فيه كبار رجال الدولة . (١)

وكان ذلك فى سنة ٩٧٤هـ/١٥٦٦م

كذلك كان محمد حكيم مرزا ، الأخ الأصغر لأكبر والذى أسندت إليه ولاية كابل ، مصدرا لإثارة القلق والمشاكل ، فقد أعلن هو الآخر استقلاله بكابل ، أرض الرجعة لسلاطين المسلمين بالهند وطريق الإمدادات اليهم ، والتى كانت تأتيهم من بلاد ماوراء النهر ، ولم يكتف محمد حكيم مرزا بهذا فحسب ،بل طمع فى أرض الهند نفسها وتطلع إلى الجلوس على عرشها مستغلا فى ذلك مشاكل أكبر الداخلية ،ولقد تقدم فى هذا السبيل إلى پنجاب ،ولكن أكبر أسرع اليه وتعقبه إلى كابل وكاد أن يلجأ محمد حكيم مرزا إلى دولة الأزابكة فى الشمال ولكن أكبر عفا عنه وأعاده إلى ولاية كابل من جديد . (٢)

---

(١) بايزيد بيات : تذكرة همايون وأكبر ،ص ١٩٦ — ٢١١ .
نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٤٣ — ٢٤٤ .
أبو الفضل علامى : أكبر نامه ،ج ٢ ، ص ٢٧ — ٢٩ .
إحسان حقى : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ،ص ١٤٥ .
(٢) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ،ج ١ ،ص ٢٥٦ .
أحمد الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ، ج ٢ ،ص ٧٦ .

في الوقت الذى توجه أكبر إلى پنجاب لدفع تمرد أخيه محمد حكيم مرزا وذلك في سنة ٩٧٤ هـ (١٥٦٦م) أصبح أبناء محمد سلطان مرزا وأحفاده مصدرا لاثارة الفتن ، ونسب محمد سلطان مرزا هذا من أبيه يصل إلى الأمير تيمور گوركان ، ولقد قتل ابنه ألغ مرزا في كابل وبقى له ولدان وهما سكندر سلطان و محمود سلطان ولقد سمى همايون باد شاه الولد الاول باسم ألغ مرزا والثانى أسماه شاه مرزا ، واهتم بتربيتهما ، وجاء محمد سلطان مرزا إلى الهند مرة أخرى أثناء جلوس أكبر شاه مع سائر أحفاده ، ورزق في شيخوخته أربعة أبناء في بلدة آدم پور ، من توابع سنبل التى كانت قد أقطعت له ليعيش منها وهم : محمد حسين مرزا ، ابراهيم مرزا ، مسعود حسين مرزا ، عاقل مرزا ، ورباهم الباد شاه وأصبحوا من الأمراء ، وعند ما توجه الباد شاه لدفع محمد حكيم مرزا أعلنوا العصيان باتفاق مع بنى أعمامهم : سكندر سلطان و محمود سلطان ، ولكن إقطاعيي تلك النواحى هزموهم فهربوا إلى مالوه حيث وجدوها خالية من قائد يثبت وجوده فاستولوا عليها .

وفى سنة ٩٧٥ هـ (١٥٦٧م) توجه أكبر ، إلى قلعة كاكرون الواقعة على حدود مالوه ، ولما سمع المرزاوات(١) عن مجئ الباد شاه ، أصبحوا

---

(١) مرزا : لقد سمى أبناء الامير تيمور بأمير زاده ومعناه « ابن الأمير » وهذه الكلمة كانت أعلى مرتبة من كلمة شهزاده ومعناها ابن الملك ، وحذفت من أمير زاده الهمزة والدال والهاء وأصبحت ميرزا ، ومن كثرة —

فى اضطراب وقلق ، وكان قد توفى قبل هذا بقريب ألغ مرزا فأسرع بقية المرزاوات بالهروب إلى كجرات ، فولى البادشاه على مالوه شهاب الدين أحمد خان نيشابورى (١) ، ولقد استمر هؤلاء المرزاوات فى عصيانهم إلى أن قضى عليهم بعد فتح كجرات كما سنرى فى الفصل المقبل .

ومن أخطر المخاطر التى واجهها أكبر فى بدايات حكمه كانت ثورة الأزابكة (٢) ، وكان الأزابكة من أنصار التيموريين حتى انشقوا عنهم فى عهد أميرهم شيبانى خان ، ولقد حدثت بين الفريقين معارك كثيرة ، قبل أن يدخلوا الهند ، ثم عاد الأزابكة يعطون عند التيموريين ، ولكنهم لم يكونوا يرون لأكبر ولا لأبيه من الحق بالملك أكثر مما لهم ، بل كانوا يرون أنفسهم أولى بهذا الملك من التيموريين، لأنه قام على سواعدهم و بسيوفهم ، فكانوا يذكرون على أكبر بهذا الفضل ولا يأبهون له كثيرا . (٣)

كانت بداية المجابهة مع عبدالله خان أزبك حاكم مالوه فى سنة (٩٧١هـ/ ١٥٦٣م) ، ولقد حصل على فيلة كثيرة ولم يرسل منها إلى البادشاه ، فتوجه أكبر اليه بنفسه فى موسم الأمطار (٤) ، واشتبكت

= الاستعمال حذفت الياء أيضا وأصبحت مرزا ، وكان يطلق هذا اللقب على كبار الامراء التيموريين ، كما قلدهم فى ذلك الصفويون فكانوا يلقبون أولادهم بمرزا ، كما كان فى الهند ، تضاف إلى أسماء جميع المغل كلمة مرزا (عبدالقادر : أويماق مغل ، ص ٨) .

(١) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٥٦ .

(٢) نسبة إلى أزبك خان بن طغرل خان بن توقتائى خان بن جوجى خان بن چنگيز خان .

(٣) احسان حقى : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ١٤٥ — ١٤٦ .

(٤) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٥٣ .

V.A. Smith : Akbar the Great Mogul, P.53.

معه مقدمة قوات أكبر ولكنه آثر الهروب إلى كجرات على الرغم من انتصاره الأولى على تلك القوات .

بعد قضية عبدالله خان أزبك شاع على الألسن أن الباد شاه غاضب على أمراء الأزبك ، ويريد أن يستأصلهم جميعا ، فتمرد سكندر خان أزبك و إبراهيم خان أزبك وغيرهما من الذين كانت لهم إقطاعات في بهار و جونپور ، وانضم اليهم على قلى خان ، [(١)] وعلى الرغم من أن أم على قلى خان كانت أصفهانية وأن على هذا وأخاه بهادر خان كانا من مواليد العراق ، إلا أن أجدادهما من الأزبك ، فانضما فى سلك الأزابكة وأصبحا زعيمين لعصيانهم ، وجمعوا حولهما حوالى ثلاثين ألف فارس ماهر ، ورفعوا علم المخالفة دفعة واحدة ، وتصرفوا فى الممالك التى استطاعوا الاستيلاء عليها ، منتهزين فرصة ذهاب أكبر لاخضاع ثورة البنجاب وهجوم أخيه محمد حكيم مرزا . (٢)

لم ينس أكبر استخدام الطرق الدبلوماسية فى ضرب خصومه ، إذ كان المتمرد على قلى خان تربطه علاقات متينة مع سليمان افغان حاكم

---

(١) وهو شيعى ومن القواد الذين أبلوا بلاء حسنا مع همايون فى توطيد ملكه ، ثم اشترك فى قتال هيمو وكان له الفضل فى هزيمته فى أول عهد أكبر الذى لقبه بلقب خان زمان ورقاه وولاه على جونپور ونواحيها ، ثم دب الخلاف بينه وبين أكبر مما أدى إلى قتاله وقتله سنة ٩٧٤ هـ (عبدالمنعم النمر : تاريخ الاسلام فى الهند ، ص ٢٠٣) .

(٢) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ٢٥٤ .
عبدالمنعم النمر : تاريخ الاسلام فى الهند ، ص ٢٠٢ .

بنكاله ، فرأى أن يرسل مبعوثا إليه ليمنعه من مساعدة علي قلي خان ، وفي نفس الوقت أرسل حسين خان خزانچي و مهاپاتر الذى كان مشهورا في فن الموسيقى الهندية ،في مهمة إلى راجة أوريسة في أقصى ولاية بنكاله والذى كان صاحب النفوذ الكامل في هذه النواحي ،ولقد أمر هذان المبعوثان أن يعدانه بالألطاف الملكية ، وأن يطلبا منه مراقبة سليمان أفغان ، فاذا رآه يقوم بإمداد علي قليخان ، يقوم هو بخلق المشاكل والعقبات أمامه ، بحيث لا يستطيع أن يتخيل مساعدة علي قلي خان ، فمكث المبعوثان عنده حوالي أربعة أشهر متمتعين بالإعزاز والإكرام من قبله ، ثم أرسل معهما عددا من الفيلة المشهورة مع سائر التحف والهدايا النفيسة إلى أكبر پادشاه .(١)

وهكذا يتضح لنا أن أكبر كان على معرفة تامة بالقوى المؤثرة في نواحي الهند المختلفة ، فكان يعمل لجر هذه القوى في صفه أو تحييدها على الأقل ، مستخدما في ذلك إرسال المبعوثين وتقديم الوعود ، ولقد جرت قبل هذا بين جنود أكبر وبين قوات خان زمان معارك كثيرة كان يطلب الصلح خلالها كلما ضعف ،فيصالحه أكبر ويعفو عنه ، ثم كان يعود إلى ما كان فيه ، ولكن في هذه المرة كانت الاستعدادات لمعركة حاسمة ، أعد لها أكبر عسكريا وسياسيا ، وكان لعنصر المباغتة فيها الأثر الحاسم ، حيث جمع أكبر جنده وساربهم إلى خان زمان بسرعة ،

---

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٦٧ .

في موسم الأمطار ، والسيول وفيضان الأنهار ، حتى وصل إلى شاطئ گنگ ، وكان خان زمان على الشاطئ الآخر غارقا في بحار الأمن ، مطمئنا إلى أن أكبر لا يستطيع أن يصل إليه في مثل هذه الأيام ، ولكن أكبر كانت له همة تتغلب على كل ما أمامه من صعاب ، فعندما وصل إلى الشاطئ لم يجد سفنا تنقله إلى الشاطئ الآخر ، ألقى بفيله إلى النهر وهو يركبه والأمراء والقواد يعارضونه في هذه المجازفة الخطيرة ، ولكنه لم يبال بالمعارضة ولا بالخطر ،وأخذ عددا قليلا من الجند فعبروا النهر ليلا ، وما أن أصبح الصباح وأشرقت الشمس حتى كانت طبول الحرب تدق على أبواب گره مانك پور التي كان خان زمان يتحصن فيها ،فذهل هو وجنده من هذه المفاجأة وفقد السيطرة على الموقف ، وهاجمه أكبر بجنده القليلين ،فقتل خان زمان وتغرق جنده واستولى على البلدة في سنة ٩٧٤ /١٥٦٧م.

لقد استمر تمرد الأخوين علي قلي خان و بهادرخان من بداية السنة الثالثة(١) للجلوس وحتى السنة الحادية عشرة ، وفي أوائل السنة الثانية عشرة قضى نهائيا على تمردهما .

وجدير بالذكر أن معارك السلطان مع هؤلاء القادة لم تكن معارك بسيطة أو مناوشات ، بل كانت معارك ذات شأن كبير ، اذ بلغ عدد الفيلة التي اشتركت في المعركة الأخيرة نحو ألفي فيل .

---

(١) (٩٦٥ — ٩٧٤ هـ /١٥٥٧ — ١٥٦٦م).

بعد هذه الضربة القاصمة استقامت الأمور لأكبر ، وعرف الكبير والصغير ما ينطوى عليه هذا الشاب من حزم وعزم ، وأنه لا يفرط فيما يهدد بقاء دولته ، ويسخر فى هذا السبيل كل ما أوتى من امكانيات ومن مهارات وشجاعة .(١)

هكذا واجه أكبر عندما استقل بالأمر مشكلات عديدة ، فقد كان صغير السن مما جعل القواد والحكام يستخفون به ، ويحاولون الخروج عليه والاستقلال بأمورهم ، ولكن أكبر كان برغم صغر سنه شجاعا مقداما سريع البت فى الأمور ، يعتمد على عنصر المفاجأة والاقدام فى حروبه لأعدائه فكان يلاحقهم واحدا بعد الآخر حتى قضى عليهم ،(٢) ولقد كانت المحن التى قاساها أبوه همايون وجده بابر من قبل ، خير مدرسة لأكبر تلقى فيها علومه السياسية والإدارية وتعلم منها كيف تكون معاملة الرجال وكيف تبنى العروش .(٣)

كذلك كان لعدم تماسك خصومه مع بعضهم ومحاربة المخالفين بعضهم البعض تأثيره فى انتصارات أكبر وتثبيت أقدام دولته ، فعلى سبيل المثال ، كان صدر خان بن محمد خان أحد زعماء الأفغان ، قد لقب نفسه

---

(١) سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٥٧ .
عبد المنعم النمر : تاريخ الإسلام فى الهند ، ص ٢٠٢ — ٢٠٣ .
إحسان حقى : تاريخ شبه الجزيرة الهنديه الباكستانية ، ص ١٤٥—١٤٦ .
أحمد الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهنديه ، ج ٢ ، ص ٨٤ .
جمال الدين الشيال: تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية فى الهند ، ص ٨٨ .
(٢) عبد المنعم النمر : تاريخ الإسلام فى الهند ، ص ٢٠٢ .
(٣) إحسان حقى : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ١٤٤ .

بجلال الدين وادعى العظمة ، وعزم على الأخذ بثأر أبيه الذى قتله مبارزخان في أثناء المعركة ، فحارب صدر خان هذا الأخير وانتصر عليه وقتله (١) ، في حين كان سكندر سور المتحصن في قلعة مانكوت يأمل مهاجمة مبارزخان على دهلي لتخفيف الضغط عليه ولتمكينه من الاستمرار في التمرد كما ذكرناه في حينه . " هذه هي الدولة العظمى ، وهذه هي العناية الكبرى ، اذ ترى أولياء الدولة يقومون بقمع المخالفين ، وترى المخالفين أيضا يحاربون بعضهم البعض ، ويشاركون بذلك في تدعيم هذه الدولة الخالدة " (٢)

وهكذا استطاع " جلال الدين محمد أكبر شاه غازى " أن يمكن لدولته الناشئة ثم يبدأ في توسيع رقعتها كما سنرى فيما هو آت .

ومن هذا العرض يتضح لنا التكوين التاريخي للدولة غداة بدء عصر أكبر ، فقد تكونت مملكته سنة (٩٦٩هـ/١٥٦١م) من : البنجاب ، وملتان ، وحوض الگنگ ، وجمنا بين پانى پت و إله آباد والاقليم الواقع بين كُمتى وسفوح الهماليا ، وگواليار في الهند الوسطى و أجمير في راجپوتانا وكان الإقليم الذى حول كابل في حوزة أخيه غير الشقيق محمد حكيم مرزا وكانت قندهار تابعة لإيران ، أما خارج أملاكه فقد كانت الدولتان الإسلاميتان گجرات و خانديس والسلطنات الإسلامية الدكنية الخمس : بيجاپور ،

---

(١) أبو الفضل علامى : أكبر نامه ،ج ٢ ، ص ٧٢ .

(٢) المصدر نفسه : أكبر نامه ،ج ٢ ،ص ٧٢ .

وأحمد نگر و گلكنده و برار و بيدر .

وكانت كشمير مستقلة وما راجيوتانا و گندوانا تحت حكم زعمائها المستقلين من الراجوات ، أما بهار و بنگاله فكانتا تعترفان بحكم أمير أفغاني هو سليمان كراني .

ومن ناحية أخرى فقد تمكن البرتغاليون من التمكين لأنفسهم في مراكز مهمة من الناحية الحربية على طول الساحل الغربي ، واستولوا على بعض موانئه الهامة ، وخاصة گوه وديو[1] .

---

(١) بيفردج وكولن ديفز : دائرة المعارف الإسلامية ، ج ٤ ، ص ١٤٦ .
جلال يحيى : العالم الإسلامي الحديث والمعاصر ، ص ٤٦٣ .
ول ديورانت : قصة الحضارة ، ج ٣ ، ص ١٣٤ .
جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أباطرة المغول ، ص ٨١ .
أحمد محمود الساداتي : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ، ج ٢ ، ص ٧٦ - ٧٧ .
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٧٣ .
Ishwar Prasad : A Short History of the Muslim Rule in India, P.227.

الفصل الثانی

تامین أبواب الہند وغزو الدکن

الفصل الثانی

تأمین أبواب الهند وغزو الدکن

- مالوه
- قلاع الراجپوت
- گجرات
- بنگاله
- کابل
- کشمیر
- السند
- بلوچستان
- الدکن

بعد أن استطاع أكبر أن يقضى على خصومه واحدا بعد الآخر ، وبعد أن مكن لدولته الناشئة - كما رأينا فى الفصل السابق - توجه إلى التوسع والفتح ، وسبق أن ضم ولاية مالوه [1] إلى مملكته فى سنة ٩٦٨هـ (١٥٦٠م) وكانت هذه الولاية فى زمن شيرخان [2] لأحد خواصه المسمى شجاع خان وبعد أن توفى الأخير ، صارت الولاية لابنه بازبهادر ، وأثناء حكم الأخير على مالوه جاءت التقارير إلى أكبر تفيد بأن بازبهادر يقضى أوقاته فى اللهو ، وامتدت يد الظلم والاستبداد إلى الفقراء والمستضعفين ، فاغتنمت هذه الفرصة لضم مالوه إلى دولة أكبر ، وأرسلت الأفواج مع عدد كبير من كبار القادة لتسخير تلك الولاية ، ولما وصلوا على بعد عشر كروهات من سارنكپور التى تقع فى وسط البلاد ،استيقظ بازبهادر من نوم الغفلة فجاء الى مقربة كروهين [3] من سارنكپور ، حيث أقام القلعة هناك . ولقد أرسلت طلائع الأفواج للاطلاع على أوضاع القلعة وليجبروا بازبهادر إلى الخروج منها ، فوصلت

---

(١) مالوه : هى بلاد وسيعة وولاية عامرة وفسيحة ، وكان فيها دائما حكام عظام ، كما كان فيها كبار الراجوات والرايوات ((رايان)) مثل : راجه بكه باجيت الذى يرجع تاريخ الهند إلى بداية ظهور سلطنته ، وقد ظهر الإسلام فيها منذ عصر السلطان محمود الغزنوى .

(سجان راى : خلاصة التواريخ ،ص ٣٤٧ - ٣٤٨) .

(٢) هو شيرخان أفغان المعروف بشيرشاه سورى الذى طرد همايون من الهند .

(٣) كروه : تقدر بأربعة آلاف ذراع .

هذه الوحدات إلى أطراف القلعة . ولقد استعد بازبهادر للحرب ولكن أمراء الأفغان الذين لم يكونوا راضين عنه اختاروا الهروب وتركوه وحيدا، فهرب هو الآخر أيضا ، تاركا الغنائم الكثيرة وراءه وكتب أدهم خان قائدا لحملة عن وقائع الفتح إلى أكبر ثم اقتضت[1] مصلحة الملك أن يتوجه أكبر بنفسه إلى مالوه فغادر آكره ، متوجها إلى مالوه في الواحد والعشرين من شعبان سنة ٩٦٨ (١٥٦١م) وفي الطريق استسلمت له قلعة كاكرون من قلاع مالوه المشهورة وبعد أن قضى عدة أيام في مالوه ، رجع الى عاصمة ملكه آكره .[2]

كذلك كان ضم ولاية گكهران في سنه ٩٧٠هـ (١٥٦٢م)، وكانت المنطقه الممتدة من نهر سند المعروف بنيلاب الى جبل سوالك والى حدود كشمير ، دائما في تصرف طائفة گكهران ، ومع أن طوائف أخرى من أمثال كهرى وجالويه و حرته وبهوكهال ، وحست ماربه ، ومنكرال ، كانت تتوطن في هذه المنطقة ، إلا أنهم كانوا منقادين لگكهران ، ومن أوائل سلطنة بابربادشاه أصبحت هذه الطائفة موالية للبابريين ، وعلى الأخص زعيمهم سارنگ سلطان الذى كان في مقدمة المخلصين والمضحين ، إلى أن سيطر على ممالك هندوستان ، شيرخان أفغان ، فأراد إدخال هؤلاء الى طاعته

---

(١) كانت التقارير الواصلة إلى أكبر تفيد بأن أدهم خان لم يرسل جميع الغنائم إلى العاصمة ، وأنه احتفظ بها لتوزيعها على أنصاره ، وليكون بها جماعة موالية له .

(٢) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٥٤ — ٢٥٥ .
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٥٠ — ٢٥١ .
سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٤٩ — ٣٥٠ .

فلم يفلح فى هذا ، ولكنه قبض على سارنگ سلطان وأمر بتعذيبه وحبس ابنه كمال خان فى قلعة گواليار ، فانتقلت زعامة تلك الطوائف إلى أخيه آدم خان الذى سلك هو الآخر طريق الإخلاص للبابريين ، ولما توفى شير خان وآلت أمور هندوستان إلى ابنه سليم خان ، أقدم إلى الغارة على هذه الطوائف ونهبهم وتدميرهم ، حتى أنه أمر بتجميع مسجونيهم فى بيت ملىء بالبارود حيث أحرقوا جميعا ، إلا كمال خان الذى صانه الله فى زاوية من زوايا البيت ، ولما اطلع سليم خان على هذا ، أحضر كمال خان إليه وحلفه بأن لا يخالفه مقابل إطلاق سراحه ، ثم أرسله بالاتفاق مع حاكم پنجاب إلى إخضاع ولاية گكهران .(١)

وبعد أن استقرت الأمور لأكبر أصبح كمال خان كأجداده من الموالين لهذه الأسرة ، فأقطعت له مناطق بسوه وفتحپور وغيرهما ، وعندما هجم شير خان ابن سليم خان ، على خان زمان فى تلك النواحى أسرع كمال خان بنجدته وقام بأدوار بطولية ، فصدرت أوامر من أكبر أن يلبى كل ما يلتمسه كمال خان ، فطلب ولاية أبيه ، فصدرت الأوامر بإعطائه نصف ولاية گكهران وإبقاء النصف الآخر لآدم خان ، مؤكدا أنه لو ضايق آدم خان فى هذا المجال ، فإن جميع هذه الولاية تنزع منه وتسلم إلى كمال خان

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٥٨ .
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٥٢ .
سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٥٠ — ٣٥١ .
غلام حسين طباطبائى : سير المتأخرين ، ج ١ ، ص ١٧٢ — ١٧٣ .

ولقد رفض آدم خان الإذعان بالأوامر واستعد للحرب ، فهزمته قوات أكبر وقبض عليه وعلى ابنه لشكرى ،وسلما لكمال خان الذى قتل الابن واحتفظ بالأب حتى توفى ، وبذلك أصبحت ولاية گكهران تحت تصرف أولياء الدولة الذين تركوها لكمال خان وعادوا إلى أماكن مهامهم .(١)

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٥٨ — ٢٥٩ .
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ،ج ١ ، ص ٢٥٣ .
سجان راى : خلاصة التوازيخ ، ص ٣٥١ .

لتمهيد الطريق أمام التوسع والفتح ولتأمين حدود الدولة الناشئة من الغارات وخطر الراجپوت المعروفين بالشجاعة والإقدام ، بدأ أكبر يوجه همه إلى تسخير قلاع الراجپوت الحصينة ، والتى كانت تغريهم فى استمرار العصيان والتمرد ، وكانت قلعة گوأليار من أوائل القلاع التى تم الاستيلاء عليها ، وكانت هذه القلعة تحت تصرف مبارزخان [1] عدلى وكان يحكمها من قبله بهيل خان كما كانت قلعة گواليار فى سابق عهدها تحت سيطرة أجداد راجه رام ساه الذى سير مجموعة من الراجپوت لحصار القلعه ، وفى هذه الأثناء تحرك قباخان من آكره إلى گواليار فترك رام ساه حصار القلعة واتجه لمحاربة قباخان إلا أن الأخير تمكن من القضاء على كثير من أفراد رام ساه وأقام بدوره حصارا حول القلعة بقصد إخضاعها [2] إلا أن القلعة كانت أثرا من الاستحكامات المتينة التى تركها الحكام الأقدمون ، فلم تثمر محاولات المقاتلين لفتحها بسهولة وسرعة ، فأرسل من آكره حبيب على خان ومقصود على خان مع مجموعه كبيرة من المقاتلين لمساعده قباخان ، ولم يكن بهيل خان من جانبه يغفل لحظة عن المراقبة وتجهيز وسائل الحفاظ على القلعة ،ولما طال الحصار ووصلت القوات المساعدة لقبا خان ، رأى بهيل خان ترك المخاصمة ، فترك القلعة لقواد أكبر وتوجه هو إلى البلاط فى شهر ربيع الآخر ٩٦٦ هـ(١٥٥٨م) حيث سلم مفتاح القلعة إلى البادشاه وكافأه أكبر بدوره بالخلع والمكرمات. [3]

---

(١) مبارزخان عدلى : كان من سلاطين الأفغان .
(٢) أبو الفضل علامى : أكبر نامه ،ج ٢ ،ص ٧٠ — ٧١ .
(٣) ابو الفضل علامى : أكبر نامه ،ج ٢ ،ص ٩٦ .
نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٤٩ .
شكيب أرسلان : حاضر العالم الإسلامى ،ج ٤ ، ص ٣٠٠ .

في سنة ٩٧٥ هـ (١٥٦٧ م) تم الاستيلاء على قلعه چتور المشهوره والمهمة ، وكانت تقع هذه القلعة على جبل ارتفاعه كروه واحد ، ولا تتصل معه جبال أخرى ، كما كانت تجرى فيها مياه غزيرة ، وكان طولها ثلاث كروهات وعرضها نصف كروه ، وكانت هذه القلعة تمتاز عن سائر قلاع هندستان بالرفعة والمتانة . (١)

لقد دخل الكثير من ملاك الأراضي وراجوات(٢) هندستان في طاعه أكبر إلا أن رانا أودي سنگه راجة ولاية ما روار ، أغرته قلعته المتينه وكثره أفراده وفيلته ، فلم يرض أن يكون خاضعا لأكبر ، ولما استقرت الأمور وهدأ خاطر أكبر من ناحيه على قلى خان شيباني وسائر المتمردين ، عزم على تسخير قلعة چتور بعد أن أعد للحملة عدتها ، ولما اقتربت قوات أكبر إلى القلعة واطلع رانا اودي سنگه على ذلك ، وظف جيمل الراجپوتي الذى اشتهر بالجراه والشجاعة ومعه حوالى سبعة إلى ثمانية آلاف مقاتل ، لحماية القلعه ولجأ هو مع جمع من أقاربه إلى الجبال الشاهقة والغابات الكثيفة ، وصدرت الأوامر بتوزيع أطراف القلعة على الأمراء ، فقامت الأفواج بنهب ولاية رانا (٣) ، وأرسل آصف خان إلى بهرام پور، وهي من القصبات المعمورة في تلك الولايه فاستولى على قلعتها عنوة ونهب جميع ما في تلك النواحي ، كما أرسل حسين قلى خان مع جمع من الأفواج إلى أودهيپور وكونبلمر وهما كانتا من أعاظم قلاع تلك الولاية ، فنهب هو الآخر

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٨٣ .
سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٦٩ .
غلام حسين طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ١ ، ص ١٨١ .

(٢) راجوات : جمع راجه وهو اسم للأمراء الهندوكيين .

(٣) رانا : هذه الكلمة مثل راجه كلمة هندية ، كان ينادى بها الأمراء الهندوكيين ، كما أن رانا أعلى مرتبة من راجه .

أغلب تلك القصبات والنواحي ، ولما لم يجد أثرا من رانا المذكور رجع إلى أكبر حاملا معه أنباء الفتح . (١)

لقد طالت مدة حصار قلعة چتور لعدة أشهر فصدرت الأوامر ببناء ساباطات وحفر النقب ، فجمع لهذا الغرض خمسة آلاف من المعماريين والنجارين والنحاتين الذين بدأوا من جانبي القلعة ببناء الساباطات والمورچلات(٢) ، وكان الساباط الذي رفع على المورچل الملكي يتسع لعبور عشرة من الفرسان جنبا إلى جنب ، وكان ارتفاعه على قدر يمكن الفيال الذي يحمل السهم في يده ، أن يعبر من أسفله ، وأثناء بناء الساباطات كان سكان القلعة يقصفون البنائين والعمال بالمدافع والبندقية ، إلى درجة كان يقتل يوميا أكثر من مائة شخص ، وكان توضع في الجدران أجساد القتلى بدلا من الآجر ، لتتم أعمال البناء في أقل مدة إلى أن تم توصيل الساباط إلى القلعة ، وفي نفس الوقت أنهى النقابون أعمالهم أيضا ووصلوا أنقابهم إلى القلعة(٣) ، وجوفوا البرجين اللذين كانا قريبين مع البعض وملأوهما بالباروت ، وكان جمعا من المقاتلين قد اقتربوا من المورچلات ينتظرون تفجير البرجين حتى ينفذوا داخل القلعة ، واتفق أن اشتعلت النار في النقبين في آن واحد ، وكانت فتيلة أحدهما قصيرة والأخرى طويلة ،

---

(١) نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبري ، ص ٢٨٢ — ٢٨٣ .

(٢) مورچل : النقب الذي يحفر تحت الأرض باتجاه قلاع العدو لفتحها .

(٣) نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبري ، ص ٢٨٣ .
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٥٧ .
سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٦٩ .

فانفجرت الأولى ، ورفعت البرج على الهواء وأوجدت منفذا كبيرا للدخول إلى القلعة ، فأسرع جمع من الشباب في الوصول إلى ذلك المنفذ وأرادوا أن يدخلوا منه إلى داخل القلعة ، ولكن النار وصلت إلى النقب الآخر فرفع البرج بمن فيه من الأصدقاء والأعداء ، وحتى الذين اختفوا تحت الصخور قتلوا أيضا ، وكانت قطع الأحجار التي رفعها ذلك الانفجار على الهواء ، قد انتشرت على مسافة ثلاث إلى أربع كروهات ، وفي هذه المسافات شوهدت أيضا أعضاء محروقة من جسم الإنسان ، وقتل في هذا الحادث عدد كبير من ملازمي أكبر ، كما قتل فيه حوالي خمسمائة من الجنود الممتازين بضرب الحجار ، كما هلك في الحادث كذلك جمع غفير من الطرف الآخر .(١)

بعد حادثة البرجين ازدادت عزيمة أكبر في فتح قلعة چتور ، وقد تم أيضا بناء الساباط الذي أقيم على مورچل شجاعت خان ، وأكملت استعدادات الهجوم ، وفي ليلة الثلاثاء الخامس والعشرين من شهر شعبان سنة ٩٧٥ هـ (١٥٦٧م) هاجمت الأفواج من أطراف القلعة ، واستطاعوا أن يوجدوا منفذا في إحدى جدران القلعة ، فبدأت الحرب وكان جيمل رئيس القلعة ، يحرض من بداخلها على الحرب عند المنفذ ، كما كان أكبر بنفسه يشاهد المنظر من الطابق العلوي الذي بني له على الساباط وكان قد تعرف على وجه جيمل الراجپوتي

---

(١) نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبرى ، ص ٢٨٣ ، ٢٨٤ .
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٥٨ .
سجان راى : خلاصه التواريخ ، ص ٣٦٩ .
عبد المنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٢٠٣ .

من شرارة نيران المدفع والبندقية التي كان يطلقها جيمل ، فأطلق أكبر من محله نيران بندقيته على جيمل حيث أصابه في جبينه وأرداه قتيلا ، ولما رأى أهالي القلعة رئيسهم قتيلا تركوا المعركة مسرعين الى بيوتهم ، فجمعوا عوائلهم وأموالهم فى مكان واحد ثم اشعلوا عليهم النار ، ويسمى العمل هذا فى اصطلاح الهند جوهر. (١)

وبعد هذا هاجمت الأفواج القلعة من أطرافها وأوجدوا منافذ عدة فى جدرانها ، وتقدم بعض من الراجپوت يدافعون عن القلعه بتهور ، وكان أكبر جالسا فى محل إقامته على الساباط ،يتابع أعمال مقاتليه وينظر إليهم بنظره التحسين ، واستمرت الحرب طوال الليل ، وفى الصباح فتحت القلعة ودخل أكبر فيها راكبا على الفيل ، ومعه جنده الذين دخلوها مشيا ، واستسلم السلطان للغضب ، فأصدر الأوامر بإقامة مذابح جماعية ثأرالمن قتل من أصحابه وردعا للآخرين من خصومه ، فقتل الكثير من الراجپوت الذين كانوا بداخل القلعة ، وبعد منتصف النهار توقفت المذابح ، فعاد أكبرإلى معسكره حيث توقف هناك لمده ثلاثة أيام ثم رجع إلى عاصمته آكره بعد أن عين آصف خان واليا على تلك المنطقة . (٢)

---

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٨٤ .
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ،ج ١ ، ص ٢٥٨ .
محمد عبدالقادر : أويماق مغل ، ص ٤١٦ .

(٢) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ،ص ٢٨٤ .
أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القاره الهنديه ،ج ٢ ، ص ٨٧ — ٨٨ .
وليام لانجر : موسوعه تاريخ العالم ،ج ٤ ، ص ١٤٠٨ .
جمال الدين الشيال : تاريخ دوله أباطره المغول الإسلاميه فى الهند،ص٩٦
عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام فى الهند ، ص ٢٠٣ .
Edwardes and Garrett : Mughal Rule in India, P.34.

فى أوائــل السنة الرابعة عشرة من الجلوس (٩٧٦هـ/١٥٦٨م) ، توجه أكبر إلى فتح قلعة رنتهنبور ووصل إليها فى مدة قصــيرة وقامت القوات كعادتهم فى فتح القلاع ــ بحفر المورچلات وبناء الساباطات ،ثم أوجدوا فى جدران القلعة عدة منافذ بضرب المدفع فرأى سرجن صاحــب القلعة هذه الحالة فتنازل عنـــد وساطة بهگوان داس ومان سنگ اللذين كانا فى صحبة البادشاه ، وأعلن خضوعه واستسلامه ، وأرســل ابنيه دوده وبهوج إلى خارج القلعة طالبا الأمان ،فلمـا رأى أكبر عجزهما طمأنهما وعفا عن أبيهما وأرســل حسين قلى خان خانجهـــان إلى داخل القلعة لطمأنة أبيهما ، ثم جاء به حسين قلى خان إلى أكبر حيــث سلك طريق الولاء والخدمة ، فانتظم فى سلك الملازمين لأكبر، وبذلك تم فتــح قلعة رنتهنبور فى يوم الأربعاء الثالث من شوال سنة ٩٧٦هـ(١٥٦٨م) وفـــى اليوم التالى تفقد أكبر القلعة من الداخــل ، ثم فوض حكومة هذه القلعـــة وحراستها إلى مهترخان وعاد هو إلى مستقر حكمه فى آگره .(١)

---

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ،ص ٢٨٦ — ٢٨٧ .
أحمد محمود الساداتــى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهنديــة ، ج ٢ ، ص ٨٩ .
عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام فى الهند ، ص ٢٠٣ .
Ishawri Prasad : A Short History of the Muslim Rule in India, P.236.

فى أواسط السنة الرابعة عشرة من الجلوس (٩٧٧ هـ/١٥٦٩م) تم فتح قلعة كالينجر ، وكانت هذه القلعة ، قلعة متينة للغاية كما كان السلاطين القدامى من المسلمين دائمى التفكير فى تسخيرها ، ولم تثمر محاولات شيرشاه سور فى الاستيلاء عليها ، رغم أنه أقام عليها حصارا دام سنة ، وبعد أن أذيع نبأ فتح قلعتى چتور ورنتهنبور هنا وهناك ، رأت القوات المرابطة فى حدود قلعة كالينجر أن تقوم بدورها فى فتح تلك القلعة وكانت هذه القوات تفكر دائما فى تسخير القلعة ، إلا أن صاحب القلعة راجه رامچند اتعظ بما حدث فى چتور ورنتهنبور فبادر بإعلان ولائه لأكبر ، واعتبار نفسه من الموالين لدولته ، فأرسل مفاتيح القلعة إلى أكبر مع وكلائه مصحوبة بالتحف والهدايا ومهنئا له الفتوحات، ثم فوض أكبر حراسة القلعة إلى مجنون خان قاقشال الذى كان من إقطاعيى تلك النواحى ،كما أرسل الى رام چند مرسوم الامتثال ، وبذلك دخلت هذه القلعة إلى سلطة أولياء الدولة فى شهر صفر من سنة ٩٧٧ هـ(١٥٦٩م) [1] . وباستيلاء أكبر على هذه الحصون رسخت أقدامه وتعززت حدوده ، كما أدى معاملته الحسنة مع أصحاب هذه القلاع الذين استسلموا ،وسلوك طريق المودة والرفق معهم واجتذابهم إلى البلاط ، وإسناد قدر من مناصب الدولة إليهم [2]، إلى أن

---

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ،ص ٢٨٧ — ٢٨٨ .
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٥٨ .
أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ، ج ٢ ، ص ٨٩ .

(٢) المرجع نفسه : ص ٨٩ - ٩٠ .

ركن أغلب أمراء الهنادكة إلى المسالمة مع أكبر وأخذوا يساهمون معه فى بناء دولته المغلية الهندية ، إلا أنه استمر بعض الراجوات فى التمرد والعصيان واستمر أكبر أيضا فى مطاردة هؤلاء ولم يقبل منهم إلا الانقياد لدولته ، واستخدم فى هذا السبيل أحيانا قوادا من بنى جلدتهم ؛ ففى سنة ٩٨٥ هـ (١٥٧٧ م) عين الباد شاه الهندوكى كنور مانسنگه قائدا على خمسة آلاف فارس ليقود الحملة المتوجهة لمحاربة رانا كيكا الذى كان رئيسا لسجلات الراجوات ، وارتحل بعد فتح چتور إلى منطقة هندواره الجبلية وبنا فيها بلدة كوكنده [١] ، قاضيا أوقاته فى العصيان والتمرد ، ولقد ضم فى هذه الحملة بعض الأمراء والقواد من أمثال قاضى خان بدخشى وشاه غازى خان تبريزى وسيد هاشم بارهه وغيرهم ، وعين أصفر خان فى منصب بخشى گرى [٢] ولقد كرم كنور مانسنگه وسائر الأمراء والقواد بالخلع الفاخرة والخيول العراقية والعربية [٣] ، ثم رخصهم إلى محاربة راناكيكا ، وعندما وصل كنورمانسنگه على رأس القوات الباد شاهية إلى نواحى كوكنده ، دعى كيكا راجوات هندواره لمساعدته ثم عبر مع جماعته ممر هلديو ، ناويا الحرب ، فنظم كنورمانسنگه باتفاق مع سائر الأمراء صفوف قواته ثم توجه إلى ساحة المعركة ، حيث تقارب الصفان ووقع قتال شديد ، قضى فيه على مائة وخمسين من الفرسان الباد شاهية كما قضى على

---

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٣٢ .

(٢) بخشى گرى : المشرف على النفقات والتموين والمعاشات .

(٣) تتكرر فى المصادر هذه العبارة " الخيول العراقية والعربية " مما يدل على أن الخيول العراقية لم تكن تشمل ضمن الخيول العربية .

خمسمائة فارس فى جانب الراجپوت ، وقام راناكيكا بهجمات كثيرة حتى أصيب فأدبر من المعركة ، فقام الجند البادشاهى بهجوم واسع قتلوا خلاله الكثير من الراجپوت ، وكتب كنورمانسنگه إلى أكبر بأنباء الفتح وحقيقة ما حدث ، وفى اليوم الثانى عبر ممر هلديو فدخل كوكنده ، واستقر فى منازل رانا كيكا ، وهرب رانا متحصنا فى الجبال الشامخة تاركا ولايته لقوات أكبر .

ولما اطلع أكبر على هذه الأنباء أبدى سروره وفرحته وأمر بارسال الخلع الفاخرة والخيول العراقية إلى كنور مانسنگه وسائر الأمراء(١) ، إلا أن راجه — كنورمانسنگه استدعى إلى أجمير حيث كان أكبر مقيما فيها ، وذلك بعد أن أخبر البادشاه بأن الحبوب والمؤن لم تكن تصل إلى الجند بالقدر الكافى وذلك نتيجة ضيق الطرق فتعسرت أحوال الجند ، كذلك منعهم كنورمانسنگه من أن ينهبوا ولاية كيكا ، فأمر كنورمانسنگه بالعودة فعاد ومنع لعدة أيام من الحضور ثم عفى عنه ، وعين جند آخر للغارة على ولاية كيكا وصطاردة رانا أينما كان ، وتحرك الجند فى التاسع عشر من شهر رجب سنة ٩٨٥ هـ(١٥٧٧م) من أجمير متوجها إلى كوكنده موطن رانا كيكا الذى سقط بين قوات أكبر كما أسلفناه .(٢)

---

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٣٢ — ٣٣٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٣٥ .

بعد أن تم لأكبر فتح چتور وضم راجپوتانا إلى مملكته ، أصبحت حدود دولته متاخمة مع مملكة كجرات الإسلامية ، التى كانت تسودها الفوضى بعد وفاة سلطان محمود (١) ، فأصبحت ملجأ لفلول أعدائه ، ومستقرا لخصومه من أمثال الأزابكة والمرزاوات الذين كانوا يرون لأنفسهم الأحقية فى الملك ، ولقد استولى المرزاوات على أجزاء من كجرات وعلى بعض قلاعها المهمة مثل چانبانير وسورت وبهروج ؛ إضافة الى أنها كانت ولاية خصبة وفيرة الثراء ، وكانت تجارتها البحرية المزدهرة تجذب إليها أنظار الطامعين ، وكان يحكمها فى ذلك الوقت مظفر شاه الثالث حفيد بهادر شاه وكان ملكا اسميا ، أما السلطة فكانت بيد اعتماد خان الذى كان قد دخل فى الإسلام حديثا ، وهو الذى طلب من أكبر القدوم الى كجرات ليتولى حكمها ، ويقضى على ما فيها من فتن داخلية (٢) وكان يعرض دائما فى مجلس أكبر وصف ولاية كجرات ((وكانت تأتيه شكاوى من ظلم حكامها الذين أصبحوا ملوك الطوائف وضد بعضهم البعض ، وتسببوا فى خراب البلاد والعباد)) (٣) .

---

(١) سلطان محمود : هو والد السلطان مظفر شاه .

(٢) سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٥٨ — ٣٦٣ .
عبد المنعم النمر : تاريخ الإسلام فى الهند ، ص ٢٠٣ — ٢٠٤ .
جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية فى الهند ، ص ٩٦ — ٩٧ .
أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ، ج ٢ ، ص ٩١
إحسان حقى : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ١٤٧ .

(٣) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٩٢ .

وبعد أن هدأ خاطر أكبر من ناحية المتمردين وبعد أن تم له تسخير القلاع المتينة والرفيعة الشأن ، عزم على إخضاع ولاية كَجرات وضمها إلى دولته فأصدر أوامره بإحضار الأجناد ، وفى العشرين من صفر سنة ٩٨٠هـ (١٥٧٢م) بدأ بالتوجه الى أجميرمتصيدا ولزيارة ضريحى خواجه معين الدين وسيد حسين خنك سوار — وهو من نسل الإمام زين العابدين ومدفون على سفح جبل أجمير — ولقد أرسل أكبر إلى كَجرات مقدما فرقة استطلاعية مكونة من عشرة آلاف فارس ،يقودها مير محمد المعروف بخان كلان [١] ، ثم تحركت الرايات[٢] فى الثانى والعشرين من شهر ربيع الثانى ، وفى الطريق إلى كَجرات ، وصل أكبر الى منطقة ناكَور فى التاسع من جمادى الأولى وتوقف هناك أربعة عشر يوما لتنظيم الجند ثم تابع سيره حتى وصل إلى منطقة ميرتهه ، حيث وصلت الأنباء عن محاولة اغتيال مير محمد خان قائد الفرقة الاستطلاعية بواسطة الراجبوت ، اذ لما وصل مير محمد إلى نواحى سروهى تظاهر راجتها بالطاعة فأرسل عددا من الراجبوت إلى مير محمد خان كمبعوثين من قبله ، ولما جاء السفراء إليه ، عرضوا عليه مطالبهم فسمعوا منه الجواب اللازم ،كما قدم لهم الخلع بيده على أسلوب أهل الهند ، ولكنهم كانوا قد دبروا الغدر به ، فضرب أحدهم خنجرا فى صدر الخان الذى خرج من ظهر كتفه ،فبادر حراسه بالقبض على ذلك الراجبوتى وقتله بضرب الخنجر ، ولما اطلع أكبر على هذا الحادث ، أرسل

---

(١) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ،ج ١ ، ص ٢٥٩ .
سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٥٩ .

(٢) عندما يكون أكبر شاه على رأس الحملة ، تستخدم كلمة " رايات " للتعبير عن هذه القوات .

في يومه لشكرخان مير بخشي لعيادة مير محمد خان وتحرك إليه بنفسه في اليوم التالي ، حيث وصل إلى الفرقة الاستطلاعية في العشرين من جمادى الثانية ، ووجد قائده وقد التأم جرحه الشديد في خلال خمسة عشر يوما ، وكان مساعدوه قد أحضروا له الجراحين الذين خيطوا جرحه ، وعندما وصل أكبر الى سروهي كان ثمانون نفرا من الراجپوت في بت خانه (١) وسبعون نفرا منهم في منزل راجة سروهي ، فأمر بقتلهم جميعا جزاء ما دبروه من غدر لقائده ، وتم تنفيذ أمره هذا بسرعة فائقة ، ولكن لا يتكرر ما حدث ، رأى أكبر أن يرسل واحدا من قواده إلى منطقة جودهپور الواقعة على طريق گجرات ، حتى يحكم أمور هذه المنطقة ويؤمن طريق گجرات من مزاحمة رانا كيكا فخرجت قرعة هذه المهمة باسم رايسنگه بيكانيري وضم إليه جمع كثير من ملازمي البلاط ، كما صدرت الأوامر إلى أمراء تلك النواحي وإقطاعييها ، بأن يساعدوا رايسنگه في أداء مهمته .

تابع أكبر شاه سيره حتى وصل إلى بلدة پتن من توابع گجرات في غرة شهر رجب سنة ٩٨٠هـ (١٥٧٢م) ، وتوقف هناك أسبوعا حيث فوض إدارة تلك المنطقة إلى سيد أحمد خان بارهه وهو كان من سادات هندوستان المعروف بشجاعته وكثرة أنصاره وأعوانه (٢) ، ثم تحرك من پتن متوجها إلى أحمد آباد عاصمة گجرات حيث كان شيرخان فولادى من أمراء الافغان قد ضرب حصارا على

---

(١) بت خانه : أي بيت الصنم

(٢) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٩٣ .

محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٥٩ .

اعتماد خان ، وكان قد استمر حصاره عليه لمدة ستة أشهر ، ولكنه لما اطلع على تحرك أكبر وقواته إلى أحمد آباد ، ترك الحصار وأسرع بالفرار ، ولم يكن أكبر قد بعد كثيرا عن پتن حتى جاءه سلطان مظفر بن سلطان محمود كجراتى ، سلطان كجرات معلنا ولاءه لأكبر ، وفى اليوم التالى استقبل أكبر اعتماد خان حاكم أحمد آباد ومير أبو تراب وسيد حامد بخارى واختيار الملك والغ خان الحبشى وسائر أمراء كجرات وعظمائها الذين قدموا لأكبر التحف والهدايا ، كما قدم اعتماد خان إلى أكبر مقاليد مدينة أحمد آباد وأظهر له حسن ولائه وإخلاصه (١) ، ولقد أحس المقربون من أكبر النفاق فى جبين أمراء الحبش فعرضوا الأمر إلى الباد شاه الذى وضعهم تحت المراقبة من باب الحيطة ، وتوجه هو إلى أحمد آباد حيث عسكر جيشه فى ضفة نهر أحمد آباد ، فى يوم الجمعة الرابع عشر من رجب سنة ٩٨٠ هـ (١٥٧٢م) وقرئت الخطبة باسمه .(١)

لقد سبق أن ذكرنا بأن المرزاوات استولوا على أجزاء من كجرات وقلاعها ، وكانت هذه القضية من العوامل الأساسية فى تصميم أكبر على إخضاع تلك الولاية ، فبعد أن قدمت عاصمة الولاية أحمد آباد ولاءها له ، رأى أن يقضى على وجود المرزاوات فيها ، فتحرك من ضفة نهر أحمد آباد فى يوم الاثنين الثانى من شعبان

---

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٩٣ — ٢٩٤ .
عبد المنعم النمر : تاريخ الإسلام فى الهند ، ص ٢٠٤ .
جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية فى الهند ، ص٩٧
أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ، ج ٢ ، ص ٩١ .

(٢) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٩٤ .
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٥٩ .
سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٥٩ .
محمد عبد القادر : أويماق مغل ، ص ٤١٩ .
غلام حسين طباطبائى : سير المتأخرين ، ج ١ ، ص ١٧٦ .

عام ٩٨٠ هـ (١٥٧٢ م) متوجها الى ميناء كنبهايت ، واستأذن اعتماد خان وسائر أمراء كَجرات التوقف فى أحمد آباد فرخص لهم لمدة يومين إلى ثلاثة أيام وفى هذه الفرصة هرب اختيار الملك الذى كان من أهم أمراء كَجرات إلى أحمد نكَر وبيدر[1] ، ففقدت الثقة بهؤلاء الأمراء ، مما دفع إلى وضع اعتماد خان أيضا تحت الرقابة ، ونزل أكبر فى ميناء كنبهايت فى يوم الجمعة السادس من شعبان متفرجا على البحر المالح ، ثم تحرك من كنبهايت فى الرابع عشر من الشهر المذكور إلى قصبة پروده ، حيث عمل لتنظيم الأمور ، فأعطى حكومة ولاية كَجرات عامة ودار السلطنة أحمد آباد خاصة إلى مرزا عزيز محمد كوكلتاش[2] بن خان أعظم شمس الدين محمد أتكه[3] ولقب هو كذلك بخان أعظم.[4]

كانت قلعة سورت الواقعة على ساحل كَجرات فى المحيط الهندى ملجأ للمرزاوات ، فعزم أكبر على تسخيرها[5] ، وأرسل مقدما بعض قواده من أمثال سيد محمود خان بارهه وشاه قلى خان محرم وخان عالم وراجه بكَوتيداس وكنور مانسنكَه ، وفى اليوم التالى السابع عشر من شهر شعبان وصلت التقارير الى أكبر

---

(١) أحمد نكَر وبيدر : كانتا إمارتان من الإمارات الدكنية الخمس .

(٢) كوكلتاش : كلمة تركية بمعنى الأخ من الرضاع (غياث اللغات ، ص ٤٢٠) . وكان مرزا عزيز أخا لأكبر من الرضاعة .

(٣) أتكه : كلمة تركية بمعنى زوج المرضعة (تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٥٢)

(٤) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٩٤ — ٢٩٥ .
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٥٩ .
سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٥٩ .

(٥) التسخير : استخدمت هذه الكلمة فى جميع المصادر الفارسية المتعلقة بهذا البحث ، بمعنى الإخضاع والفتح .

تفيد بأن ابراهيم حسين مرزا لما سمع فى قلعة بروج عن توجه الرايات إليــه ، عبر من بعد ثلاثى كروهات من المعسكر فى غاية الغرور والاستكبار ، ناويــا إثارة الفتن ، فثار غضب أكبر من سماع النبأ وترك جماعة لخدمة ابنه الأمير سليم ، وتوجه بنفسيــه لتعقب إبراهيم حسين مرزا ، وأخذ معه ملك الشرق گجراتــى ليدله على الطرق ، كما أرسل واحدا من أمرائه فى طلب سيد محمود خان بارهه وشاه قلى خان محرم وسائر الأمراء يأمرهم بالعودة فورا والانضمام اليه ، ووصل أكبر إلى ضفة نهر مهندرى مع أربعين فارسا ، فى حين كان خصمه ابراهيم حسين مرزا قد نزل فى الجانب الآخر من النهر(١) ، ولم يكن أفراد أكبر يتجاوزون المائة والخمسين فى حين كان يصاحب إبراهيم مرزا ألف من الفرسان ، ومع هذا عبــر أكبر النهر متحديا خصمه الذى بدأ بتنظيم قواته وتعبئتهم للمعركة ، وكــان كنورمانسنگه الهندوكى يتولى قيادة الطليعة فى قوات أكبر ، ولما كان الطريــق المؤدى من ضفة نهر مهندرى إلى القلعة وعرا وشاقا ، سلك طريقا آخر ، ولكن أكبر وصل من طريق قريب إلى الباب الذى يواجه النهر ، وعلم أن ابراهيــم حسين مرزا قد خرج من قصبة سرنال ، فأمر أكبر الجند أن يخرجوا من الجدار الخلفى متعاقبين على هيئة الصيادين ، ولما خرج الجند من الجدار الخلفــى إلى ساحة الصحراء ، تقارب الصفان ، فهاجم إبراهيم حسين مرزا وحدة الرماة بقيادة تاتارخان قاقشال وطردهم إلى مسافة بعيدة ، وقتل فى المعركة بهوپت ابن راجه بهارمل وهو من الشبان الشجعان بعد أن هاجم على قوات الخصم

---

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٩٥ .
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٥٩ .

وقتل الكثير منهم ،فتجرأ المخالفون بسماع هذا النبأ وقاموا بحملة أخرى ، ولكن
الموقع الذى اختاره أكبر لقواته قد حمتهم من هذه الهجمات(١) ، إذ كانوا قد
اتخذوا مواقعهم على أرض وعرة ولا يتمكن فيها ثلاثة من الفرسان أن يقفوا فيها
جنبا على جنب ، إضافة الى أن أطراف تلك الأرض كانت مليئة بأشجار الزقوم ،
ومن شجاعة أكبر أنه كان واقفا فى الصف الأمامى من المعركة ، ومعه راجه
بكوتيداس فهاجمهما ثلاثة من الفرسان المخالفين ، واتجه أحدهم إلى راجه
بكوتيداس ، ولما كانت شجرة الزقوم حائلة ،وقف راجه على الركاب وأطلق إليه النار
فأصابه إصابات خطيرة أجبرته على الفرار وهاجم الآخران أكبر ولكنهما أيضا لم
يقدرا على اختراق هذا الموقع فأدبرا بالفرار ، ثم قامت القوات بهجوم عام من
كل جانب أدى إلى هروب إبراهيم حسين مرزا ، فتعقبهم أكبر الى مسافة ، ولما
انتشر ظلام الليل أمر الجند بالعودة واكتفوا بالاستيلاء على قصبة سرنال التى كان
إبراهيم حسين مرزا وقواته تركتها لهم ، وهناك كرم أكبر الذين قدموا خدمات
ناجحة فى تلك الحملة بالمناصب ومزيد من الرعاية(٢) ، وبعد هروب إبراهيم
حسين مرزا ،عزم أكبر من جديد لتسخير قلعة سورت(٣) ، وهى كانت قلعة صغيرة
ولكنها كانت فى غاية المتانة والاستحكام وكانت من القلاع المستحدثة . وكانوا
يقولون بأن المسمى صفرآقا والملقب بخد اوندخان من خدام سلطان محمود

---

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ،ص ٢٩٥ .
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ،ج ١ ، ص ٢٥٩ .
محمد عبدالقادر : أويماق مغل ، ص ٤١٩ .

(٢) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ،ص ٢٩٥ — ٢٩٦ .
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ،ج ١ ، ص ٢٥٩ — ٢٦٠ .
سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٥٩ .

(٣) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ،ج ١ ، ص ٢٦٠ .

كَجراتى أحدث هذه القلعة فى شهور سنة ٩٤٩ هـ(١٥٤٢م) على ساحل بحر عمان لدفع فساد الإفرنج الذين كانوا يلحقون أنواع الخراب بالمسلمين ، وأثناء إحداث القلعة ،هاجمها الإفرنج بسفنهم عدة مرات ولكنهم لم يستطيعوا على شىء ما ،ولقد أحضر خدا وند خان المعماريين المهرة واهتم كثيرا باستحكامات القلعة وهؤلاء المعماريون الدقيقو النظر خططوا لإحداث القلعة تخطيطا يثير الإعجاب ولقد حفروا على جانبى القلعة خندقا بعرض عشرين ذراعا يوصلها الى البحر ورفعوا جدرانها من الأحجار والجص والآجر ، وكان عرض جدار القلعة يصل إلى خمسة عشر ذراعا وارتفاعه عشرين ذراعا ، ومن الغرائب أن الأحجار كانت قد استحكمت بقلاب حديدى وعبت الفتحات بالأسرب المذاب ، وبنيت فى القلعة المنكسرات وأماكن رمى الأحجار، على هيئة تحير المشاهد . (١)

بعد دخول أكبر فى كَجرات ، جمع المرزاوات جميع قواتهم فى قلعة سورت وفوضوا حراستها إلى همزبان الذى كان من أنصار همايون ولكنه هو الآخر هرب وانضم إلى خصوم أكبر . أرسل أكبر مقدما شاه قليخان محرم وصادق خان ليراقبوا أطراف القلعة ولا يسمحوا لأحد بالخروج منها ،ولما وصل هذا الخبر إلى من بداخل القلعة ، أسرعت كَلرخ بيگم (٢) بنت مرزا (٣) كامران وزوجة مرزاابراهيم مع ابنها حسين مرزا بالفرار ، وبعد عدة أيام أرسل أكبر راجه تودرمل ليبحث عن مداخل القلعة ومخارجها ، وبعد أسبوع عاد راجه الى أكبر مقدما تقريرا

---

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٩٦ — ٢٩٧ .

(٢) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ،ج ١ ، ص ٢٦٠ .

(٣) أى بنت عم أكبر .

عن حقيقة الوضع ، وفى الخامس والعشرين من شهر شعبان سنة ٩٨٠هـ(١٥٧٢م) تحرك أكبر من قصبة(١) بروده ونزل على بعد كروه واحد من القلعة فى السابع عشر من رمضان ، وفى نفس الليلة ذهب إلى قرب القلعة متفقدا مداخلها ومخارجها ، وقسم المورچلات على الأمراء ، وبعد ثلاثة أيام اقتربوا من القلعة بقدر تكون على متناول المدفع والبندقية ،وأحكم حصار القلعة الذى استمر لمدة شهرين ، وقطعوا المياه عنها ومدوا المورچلات إليها ، وقفلوا أبواب الخروج والدخول ،فاضطر همزبان حارس القلعة وسائر أهاليها إلى طلب الأمان ولم يكن الأمراء راضين بإعطائهم الأمان لأنهم قاوموا إلى آخر ما كان بوسعهم، وبعد أن أصبح موضوع الفتح مسألة يوم وليلة طلبوا الأمان(٢) ، ولكن أكبر أصدر أوامره بإعطائهم الأمان ، وصدرت التعليمات أن يرسل جمع من الكاتبين المتدينين إلى داخل القلعة ليسجلوا جميع ما فيها من الأموال الناطقة(٣) والصامتة(٤) ثم يعرض بعد الاحصاء والتسجيل الى أكبر حتى لا يقع التساهل ، وقد وقع فتح قلعة سورت فى الثالث والعشرين من شهر شوال سنة ٩٨٠هـ(١٥٧٢م) ،وفى اليوم التالى تفقد أكبر القلعة وأمر باصلاح الأماكن التى تضررت فيها ((وأثناء تفقده للقلعة رأى عددا من المدافع الكبيرة التى كانت تسمى سليمانى لأن السلطان

---

(١) قصبة : هذه الكلمة تتكرر كثيرا فى المصادر الفارسية ،وهى تعنى البلدة أو القرية الكبيرة (غياث اللغات ، ص ٣٩٠).

(٢) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ،ص ٢٩٨.
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ،ج ١ ، ص ٢٦٠.

(٣) الأموال الناطقة : العبد والأمة والخيل والفيل ،) غياث اللغات ،

(٤) الأموال الصامتة : الذهب والفضة .) ص ٢٤٦).

٩٢٦ـ٩٧٤هـ/١٥٢٠ـ١٥٦٦م

سليمان الأول ملك الروم عندما أراد أن يخضع موانئ كَجرات أرسل هذه المدافع مع قواته الكثيرة عن طريق البحر ، ولما لم يستطع الروم أن يعملوا شيئا ما بسبب بعض الموانع ، تركوا هذه المدافع فى ساحل بحر عمان وعادوا إلى بلادهم وهذه المدافع كانت ملقاة فى الساحل ، إلى أن أحدث خداوند خان قلعة سورت فأدخل جميعها إلى داخل القلعة ، ولما لم يكن يحتاج فى حراسة القلعة للمدافع السليمانية ، صدر الأمر السامى بنقلها الى دار الخلافة آكره)) (١) ، وبعد أن اطمأن أكبر عن الأوضاع فى ولاية كَجرات ترك سورت فى يوم الاثنين الرابع من ذى القعدة سنة ٩٨٠ هـ (١٥٧٢م) متوجها الى عاصمة الولاية أحمد آباد حيث وصلها فى يوم الأربعاء ، وهناك فوض حكومة كَجرات إلى أخيه من الرضاع خان أعظم ، وغادر أحمد آباد متوجها إلى عاصمة ملكه الجديدة ، فتحپور (٢) فى يوم عيد الأضحى العاشر من ذى الحجة من السنة المذكورة . (٣)

هكذا تم ضم كَجرات الى دولة أكبر ، ولكنه على الرغم من استقرار الأوضاع الذى سمح بأكبر مغادرة كَجرات ، ومع أن قلاع هذه الولاية قد أصبحت تحت سيطرة أولياء الدولة ، الا أنه لم يكد تمضى ثلاثة أشهر من عودة أكبر إلى فتحپور ، حتى تواترت الأنباء بأن الأوضاع فى تلك الولاية أصبحت متوترة ،

---

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٩٨ — ٢٩٩ .

(٢) فتحپور : كان اسم هذه المدينة سكرى ، ولكن عندما أتم أكبر شاه بناء عاصمته الجديدة ، حدث فتح الكَجرات أيضاً ، فسمى المدينة فتحپور أو فتحپور سكرى .

(٣) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٩٩ — ٣٠٠ .
سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٦٠ .

وفى نفس الوقت وصلت طلبات أعظم خان حاكم كَجرات لإرسال الإمدادات ،إذ تحالف المخالفون ضد سلطة أكبر فى هذه الولاية ، وظهروا من مخابئهم بعد مغادرة أكبر ،فخرج هناك اختيار الملك كَجراتى والأحباش وأهالى كَجرات ومحمد حسين مرزا ، معلنين عصيانهم على سلطات أكبر فى كَجرات ومحاربتها ، فتحرك اختيار الملك ومحمد حسين مرزا وسائر المخالفين مع عشرين ألف من فرسان المغل والكَجراتيين والأحباش وجماعة من الأفغان والراجپوت ، وعندما اقتربوا من أحمد آباد العاصمة تحصن خان أعظم فيها ، وكان يرسل فى كل يوم جمعا للحرب والمناوشة وفى نفس الوقت كان يرسل يوميا تقارير عن الأوضاع إلى أكبر طالبا منه المساعدات ومجىء الرايات(١) ، فرأى أكبر أن يتوجه بنفسه إلى كَجرات ثانية ، فطلب من مسؤولى الأمور أن يعدوا لهذا السفر ، حيث استمرت الحملة الأولى لمدة سنة وكان الجند قد فقد الكثير من وسائله ومؤنه نتيجة طول السفر وبعد العودة لم يجدوا فرصة كافية لإكمال النقص ، فصرف أكبر من خزانته ذهبا كثيرا ونقودا غير محصورة لحساب العلوفة وإنعام الجند ، واهتم كثيرا فى إعداد أسباب القتال ، واتجه أكثر الأمراء والجند إلى ولاية كَجرات(٢) ، وفى يوم الأحد الرابع والعشرين من ربيع الآخر سنة ٩٨١ هـ (١٥٧٣ م) ركب أكبر ناقة سريعة السير متوجها إلى كَجرات ، وفى الثانى من شهر جمادى

---

(١) نظام الدين أحمد الهروى ، طبقات أكبرى ، ص ٣٠٥.
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٠.

(٢) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٠٥.
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٠ — ٢٦١.

الأولى وصل إلى قصبة ديسة التى تقع على بعد عشرين كروها من بتن وأرسل إلى مير محمد خان كلان عامل ديسة يخبره أن ينضم إليه فى قصبة باليسانه التى تقع على بعد خمس كروهات من بتن ومعه الجند الموجود عنده فانضم إليه خان كلان بجنده كما انضم إليه جمع آخر من الأمراء وجمع من أعاظم الراجپوت من أمثال كنكار ابن شقيق راجه بكوتيداس الذى كان قد أرسل قبل هذا لمساعدة خان أعظم ، ولكنه لم يتمكن من العبور من پتن .(١)

بيدو أن هذه الحطة كانت ذات أهمية كبرى بالنسبة لسابقتها ، حيث طلب أكبر من قواته أن ينزلوا فى الميدان ويقوموا أمامه بمناورات وعرض عسكرى ، حتى يتأكد من قدراتهم القتالية وأصدر أمره هذا فى قصبة باليسانه ، وطلب من قواته النزول إلى ساحة العرض بكامل أسلحتهم وذخيرتهم ، فنظم الأمراء أفواجهم وأنزلوا إلى الساحة شبابا ذوى خبرة فى المعارك ، فتفقد أكبر من باب الحيطة الأفواج ((ولو أنه كان واثقا من العون السماوى وإمداد الملائكة له ، إلا أنه نظر إلى عالم الأسباب)) فنظم الأفواج وعين فى القلب مرزا خان ابن خان خانان بيرم خان الذى كان فى عنفوان شبابه ، ومعه سيد محمود بارهه وشجاعت خان وصادق خان وجمعا آخر ، كما عين على الميمنة مير محمد خان كلان وعلى المقدمة محمد قليخان شعبائى كما أعطى رئاسة التموين والخزانة لوزير خان وكون أكبر لنفسه مجموعة مكونة من مائة فارس اختيرت من بين آلاف الفرسان ،

---

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٠٦ — ٣٠٧ .
سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٦١ .

وتكفل أنه لو حدث أى خلل فى أى فوج يبادر هو بنفسه مع وحدته الضاربة هذه لتدارك الوضع (١) ، ولم يكن عدد القوات الحاضرين تحت الرايات يتجاوز ثلاثة آلاف فى حين قدر عدد جند المخالفين بأكثر من عشرين ألف (٢) وبعد تنظيم الأفواج أصدر أكبر أوامره بأن لا يغادر أحد الوحدة التى يرتبط إليها ، ثم تحرك من قصبة باليسانه متوجها إلى أحمد آباد عاصمة الولاية بعد أن أرسل مقدما وحدة القراول (٣) إلى خان أعظم لتبشره بوصول القوات وتابع سيره طوال الليل ووصل فى يوم الثلاثاء الثالث من جمادى الأولى إلى نواحى كرى الواقعة على بعد عشرين كروها من أحمد آباد ، حيث عادت إليه الوحدة الاستطلاعية بتقارير تفيد بأن جمعا كثيرا من المخالفين قد شاهدوا غبار نعال المواكب ، واعتبروا أن هناك قوات على وشك القيام بالهجوم من پتن فتسلحوا وخرجوا من قصبة كرى استعدادا للمعركة ، فأصدر أكبر أوامره بأن يتحرش فوج من العساكر مع هذه الفئة ويبعدها عن وسط الطريق دون أن يتقيد بتسخير القلعة ، واستطاع ذلك الفوج أن يجبر المخالفين بالتراجع إلى القلعة ، فتقدم الجند خمس كروهات بعد قصبة كرى ، حيث نزلوا هناك لقضاء الليل وراحة للجند ، وأثناء طلوع الصبح أخذوا طريقهم مسرعين إلى ثلاث

---

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٠٧ .
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦١ .
محمد عبدالقادر : أويماق مغل ، ص ٤٢٠ .

(٢) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٠٧ .
سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٦١ .
Edwardes and Garrett: Mughal Rule in India, P.38.

(٣) قَراوُل : كلمة تركية ، بمعنى الوحدة الاستطلاعية .

كروهـات[١] ، وصل أكبر فى خلال تسعة أيام من فتحپور إلى حدود أحمد آباد على النحو الذى ذكر ، فى حين تقطع هذه المسافة عادة فى خلال شهرين ، وبارتفاع أصوات الشَبور والأبواق ، ارتبك المخالفون فجروا فى اضطراب إلى خيولهم ، وجاء محمد حسين مرزا مع ثلاث من فرسانه إلى ضفة النهر ليتحقق فى الأمر ، واتفق أن سبحان قلى ترك واحدا من قواد أكبر كان قد ذهب إلى ضفة النهر من هذا الجانب ، فصرخ محمد حسين مرزا قائلا : ((يا أخى ما هذا الفوج ؟ فأجابه سبحان قلى : إنها كوكبة[٢] دولة خليفة إلهى ، جاءت من فتحپور لاستئصال الذين لا يحسنون الرد للجميل)) فقال[٣] محمد حسين مرزا: إن جواسيسى أخبرونى قبل أربعة عشر يوما من الآن ،أن الباد شاه موجود فى فتحپور ،ولو كان هذا الفوج فوجا پادشاهيا فأين الفيلة البادشاهية التى لم تكن تنفصل عن الركاب ؟ فقال سبحان قلى : كيف يمكن للفيلة العملاقة اجتياز مسافة أربعمائة كروه فى خلال تسعة أيام ؟ فرجع محمد حسين مرزا متحيرا إلى جنده ونظم الأفواج واتجه الى الساحة وأرسل اختيار الملك مع خمسة آلاف فارس إلى خان أعظم حتى لا يسمح له بالخروج من القلعة[٤].

---

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ،ص ٣٠٧ — ٣٠٨ .
سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٦١ .

(٢) كوكبة : مجموعة فرسان .

(٣) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ،ج ١ ،ص ٢٦١ .
نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ،ص ٣٠٨ .
محمد هادى : توزك جهانگيرى ، ص ١٩ .
P. Spear : A History of India, V.II, P.30.

(٤) نظام الدين احمد الهروى : طبقات أكبرى ،ص ٣٠٨ .
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ،ص ٢٦١ .
سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٦٢ .

ولما امتدت فترة التوقف ،صدرت الأوامر للمقدمة بعبور النهر ، وأمر وزير خان أن يعبر مع الميسرة ، وبعده عبر أكبر النهر ومعه حراسه ، وأثناء العبور اختل نظام الجند ، حيث دخل الجميع فى النهر دفعة واحدة ، ولم يتقدموا قليلا حتى ظهر فوج كبير من جند المخالفين وفى مقدمتهم محمد حسين مرزا مع ألف وخمسمائة فدائى مغلى ، فهاجم المقدمة وانضم اليهم أيضا الأحباش والأفغانيون ورأى أكبر الفتور فى المقدمة فهجم على ((فوج العدو كالأسد الغاضب ، ورفع جمع من الخدام الفدائيين نعرات يا معين (١) وهاجموا صف الأعداء)) فأدبر محمد حسين مرزا وشاه مرزا بالفرار ، وتعقبهم الجند ،وكان محمد حسين مرزا مصابا بالجراح ، وأثناء الفرار أدركته شجرة الزقوم فأراد تخليص حصانه منها ولكنه سقط على الأرض ،فقبض عليه گدا على بدخش، وكان وزير خان على رأس الميسرة ، وكان يقوم بحملات فدائية شجاعة ، وكان فوج الأحباش والگجراتيين يثبتون ويقومون بحملات متتالية ،إلى أن سمعوا عن هزيمة محمد حسين مرزا وشاه مرزا ، فأدبروا من المعركة ، كما كان على رأس الميمنة مير محمد خان كلان الذى أتعب أبناء شيرخان فولادى حتى ولوا الأدبار، فبدأت علائم النصر تظهر، وصعد أكبر على الهضبة التى كانت تشرف على ساحة المعركة مؤديا الشكر، فدخل عليه گدا على بدخش وواحد من خدام خان كلان ومعهما الجريح محمد حسين مرزا ،وكان كل واحد منهما يدعى القبض عليه ، فسأله راجه بيربل عن الذى قبض عليه ، فأجاب بأن إحسان أكبر لى

---

(١) تكررت كثيرا هذه النعرة ، بلسان أكبر وعندما يريد إثارة حماس جنوده وأن يحسم الموقف مع خصمه ، وربما تكون لهذه النعرة صلة بمعين الدين چشتى المدفون فى أجمير ،والذى كان أكبر مولعا بزيارة ضريحه وفى كل سنة تقريبا .

هو الـذي (١) أسكنى ، فعاتبه أكبر برفق ثم سلمه إلى رأى سنگ الذى قتلـه فيما بعد ، وبعد ساعة من هذا النصر ظهر فوج منظم من الخصم ، فأخبرت الوحدة الاستطلاعية (قراول) بأنه اختيار الملك گجراتى الذى كان يسد الطريق أمام خان أعظم ، فلما علم أنباء هزيمة محمد حسين مرزا ، غير اتجاه سير قواته إلى الصحراء مرتبكين إلى درجة كان جنود أكبر يأخذون سهامهم ثم يضربونهم بها ، كما حالت أشجار الزقوم أمام هروب اختيار الملك فقبض عليه شراب بيـگ تركمانى وقطع رأسه بخنجر (٢) ، وبعد هذا النصر جاء إلى أكبر أعظم خان والأمراء ، الذين كانوا متحصنين فى المدينة ، فاحتضن أكبر أخاه من الرضاعة ولم يكد ينتهى من لقاء الأمراء حتى وصل شراب بيگ تركمانى راميا رأس اختيار الملك أمامه ، وأمر أكبر شاه أن تجمع رؤوس القتلى من خصومه والبالغ عددها ألفا رأس ، وترفع منها منارة تكون عبرة للناظرين ، كما أرسل رأسا محمد حسين مرزا واختيار الملك إلى آگره وفتحپور ليعلقا هناك (٣) ، ثم دخل أكبر دار السلطنة أحمد آباد واستقر بعض الوقت فى منازل السلاطين الواقعة فى أرگ (٤) أحمد آباد ، حيث جاءه الأكابر والأعيان وطبقات الأهالى وأهل الحرف

---

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٠٨ — ٣٠٩ .
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦١ .
سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٦٣ .

(٢) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٠٩ .
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ص ٢٦١ .
سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٦٣ .

(٣) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٠٩ — ٣١٠ .
سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٦٣ .

(٤) أرگ : القلعة التى يسكنها الملك .

مهنئين ومقدمين له الهدايا ، وتفقد الذين قدموا خدماتهم فى الحملة وأثناء المعركة ، ورقى كل واحد منهم حسب حالته فى المنصب والعلوفة ، وتفقد كذلك أحوال الرعية وعموم المتوطنين فى أحمد آباد وأمر المحررين بأن يكتبوا وقائع الفتح " فتحنامه "(١) .

هكذا أعيد الاستقرار إلى ولاية گجرات ، وبعد أن اطمأن أكبر شاه عن الأوضاع فى تلك الولاية ، غادر عاصمتها فى يوم الأحد السادس عشر من جمادى الأولى سنة ٩٨١ هـ (١٥٧٣ م) متوجها إلى عاصمة ملكه فى فتحپور ، حيث وصلها فى عصر يوم الاثنين السابع من جمادى الأخرى من السنة المذكورة ، وكان مجموع أيام الذهاب فى هذه الحملة ثلاثة وأربعون يوما (٢) ، ولكن على الرغم من هذا كله فقد كان يبدو أن الأمور لم تستقر تماما فى گجرات ، اذ تجددت الاضطرابات حينا بعد حين ، ففى سنة ٩٨٦ هـ (١٥٧٨ م) حدثت الاضطرابات بقيادة المرزاوات ، وسبق أن ذكرنا بأن گلرخ بيگم بنت كامران مرزا وزوجة إبراهيم حسين مرزا استطاعت أن تهرب بابنها الصغير مظفر حسين مرزا إلى دكن بمرافقة مهر على أحد خدام زوجها ، وذلك أثناء حصار قلعة سورت فى سنة ٩٨٠ هـ (١٥٧٢ م) ، وفى هذه الأيام بلغ مظفر حسين مرزا السادسة عشرة من عمره ، فجعل منه مهر على رأس التمرد ، حيث أخرجه من دكن وسيره إلى گجرات

---

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣١٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣١٠ — ٣١١ .

محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦١ .

سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٦٣ .

بقصد الاستيلاء عليها ، واستغل هذا الوضع خصوم الدولة المختبئين ، فظهروا هنا وهناك معلنين العصيان ،((فحدثت فتن وأعمال شغب عجيبة)) [١] .

كان وزير خان حاكما على گجرات ، وعلى الرغم من أنه كان تحت إمرته حوالى ثلاثة آلاف من الفرسان ، إلا أنه لم يكن يثق فى الكثيرين منهم ، فقرر التحصن وكتب عن الأوضاع إلى راجه تودرمل الذى كان موجودا فى پتن ومنهمكا فى ضبط أمور گجرات وتشخيصها ، وقبل وصول الراجه ومدده ، حدثت فى قصبة ندربار معركة بين عاملها بازبهادر بن شريف خان ومظفر حسين مرزا ، انتهت بهزيمة الأول ، فذهب مظفر حسين مرزا إلى كنبايت حيث مكث هناك عدة أيام ثم توجه إلى عاصمة الولاية أحمد آباد ، وفى هذا الوقت كان راجه تودرمل قد وصل إلى أحمد آباد ففادرها المتمردون متوجهين إلى دولقة حيث تعقبهم إلى هناك الراجه ووزير خان ، وحدثت فى دولقة معركة شديدة انتهت بانتصار الموالين للدولة وانسحاب المخالفين إلى چونه كڈه الواقعة على الساحل ، ثم عاد راجه تودرمل إلى أكبر ، ولما اطلع مظفر حسين مرزا على نبأ عودة الراجة ، رجع إلى أحمد آباد وحاصر وزير خان حاكم گجرات ،((وعلى الرغم من أن وزير خان كان محاطا بجماعة غفيرة ، إلا أنه لم يكن يثق فى أنصاره ، فتحصن راعيا الحيطة والحذر)) فوضع مهر على ، مساعد مظفر حسين مرزا السلالم على جدار القلعة ناويا الصعود إليها ، ولكنه أصيب برصاص من داخل القلعة أرداه قتيلا ، فأدبر مظفر مرزا هاربا إلى ندربار فى خاندس ((وخمدت الفتنة وأعمال الشغب)) [٢]

---

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٣٧ .
سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٦٣ .

(٢) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٣٨ .
محمد عبدالقادر : أويماق مغل ، ص ٤٢١ .

ثم قبض على مظفر حسين مرزا بواسطة راجى عليخان حاكم خانديس وأرسل إلى أكبر مقيدا حيث وضعه فى السجن ، وبذلك قضى على تمرد المرزاوات الذى استمر ثلاثة عشر عاما ابتداء من بداية السنة الحادية عشرة للجلوس وحتى نهاية السنة الثالثة والعشرين منه ٩٧٣ — ٩٨٦هـ (١٥٦٥ — ١٥٧٨م) [١].

سبق أن ذكرنا أن أكبر لم يكن يثق فى أمراء كَجرات السابقين فوضع الكثيرين منهم تحت الرقابة ، وكان سلطانها السابق مظفر شاه يعيش فى كنف أكبر مدة ، حتى زين له بعض أمراء كَجرات أن يفر ويعود إليها ليسترجع ملكه ، فاستجاب لهم وفر من آكره ، وحين وصل إلى هناك التف حوله حوالى أربعين ألفا من الأفراد ، فهجم على اعتماد خان الذى كان حاكما على كَجرات وغلبه ونهب مدينة أحمد آباد واستولى على تلك الولاية فى سنة ٩٩١هـ (١٥٨٣م) ، وجعل السكة والخطبة باسمه ، وبذلك أعلن نفسه ملكا على كَجرات ، ولما اطلع أكبر على هذه التطورات عين مرزا خان بن بيرم خان على تلك الولاية ، فحارب مظفر شاه وهزمه وطارده إلى دكن ونال على إثرها لقب خان خانان وكذلك رقى بسبب هذا النصر إلى منصب پنجهزارى [٢] الذى لم يكن يوجد فى ذلك الوقت منصب أعلى منه [٣] ، وبعد ثمانى سنوات ظهر السلطان مظفر من جديد وجمع

---

(١) سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٦٣.
غلام حسين طباطبائى : سير المتأخرين ، ج ١ ، ص ١٧٨.

(٢) پنجهزارى : قائد الوحدة المكونة من خمسة آلاف.
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٥ — ٢٦٦.

(٣) سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٦٣ — ٣٦٤.
غلام حسين طباطبائى : سير المتأخرين ، ج ١ ، ص ١٧٨ — ١٧٩.
عبد المنعم النمر : تاريخ الإسلام فى الهند ، ص ٢٠٤ — ٢٠٥.
إحسان حقى : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ١٤٧ — ١٤٨.

حوله ثلاثين ألفا من الفرسان بمساعدة من كبار ملاك الأراضي فى تلك الولاية ، فهاجم أحمد آباد ، وكان فى ذلك الوقت قد عين خان أعظم كوكلتاش واليا على كجرات للمرة الثانية ، فدافع عن عاصمة ولايته وحدثت معركة شديدة قتل فيها ألف من المخالفين ، كما قتل فيها مائتان من أفراد كوكلتاش وجرح خمسمائة منهم ، وانتهت المعركة بهروب السلطان مظفر إلى أن قبض عليه فى السنة التالية فأرسل إلى أكبر ، إلا أنه انتحر فى الطريق إلى آگره بموس كان يخفيها فى ثيابه [1] وذلك فى سنة ١٠٠١ هـ/١٥٩٣م فقطع خان أعظم رأسه وأرسله إلى أكبر وعاد هو إلى أحمد آباد .

هكذا كان دخول البلاد الكجراتية فى طاعة أكبر وهكذا كانت الاضطرابات والمعارك تحدث فى تلك البلاد حينا بعد حين ، وكانت كجرات خارجة عن سلطة سلاطين دهلى حوالى مائة سنة من سنة ٨٨١ — ٩٨٣ هـ (١٤٧٦ — ١٥٧٥م) إلى أن ضمها أكبر فى دولته بالطريقة التى ذكرناها . [2]

---

(١) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٨ .
غلام حسين طباطبائى : سير المتأخرين ، ج ١ ، ص ١٧٩ .
عبد الصمد : مكاتبات علامى ، ص ١٠ .
إحسان حقى : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ١٤٨ .
عبد المنعم النمر : تاريخ الإسلام فى الهند ، ص ٢٠٥ .

(٢) غلام حسين طباطبائى : سير المتأخرين ، ج ١ ، ص ١٨٠ .

بعد الكَجرات اهتم أكبر باخضاع بنكَاله وضمها إلى ملكه ، حيث كان يحكمها الأفغان خصومه التقليديون ، ولقد اتخذ شير شاه سور من بنكاله وما جاورها قاعدة لحملاته التى انتهت بطرد همايون والد أكبر من الهند .

بينما كان أكبر فى كَجرات يحاصر قلعة سورت الواقعة على الساحل الغربى للهند ، اذ جاءته التقارير بأن سليمان كررانى حاكم ولاية بنكَاله وبهار قد توفى فى سنة ٩٨٠ هـ(١٥٧٢م) فخلفه ابنه الأكبر بايزيد الذى قتل بتدبير من الأمراء ، ثم خلفه ابنه الأصغر داود ، وكان سليمان كررانى على صلات حسنة مع أكبر وكان يعترف اسميا بسيادة الدولة المغلية على بنكَاله ، فاستطاع بهذه السياسة أن يجنب حكمه فى بنكَاله من خطر المغل (١) ، ولكنه لما تولى ابنه داود السلطة فى تلك الولاية ، أغراه مابخزائنه من أموال كثيرة وما تهيأ له من جند كثيف ، فترك سياسة أبيه المسالمة تجاه المغل واختار سياسة هجومية عنيدة ، وأقدم على تخريب قلعة زمانية التى بناها على قلى خان زمان أثناء حكمه فى جونپور ، فأصدر أكبر أوامره الى خان خانان منعم خان الذى خلف بيرم خان فى لقب خان خانان (٢) ، ليقوم بتأديب داود وبإخضاع ولاية بهار (٣) .

---

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣١٣ .
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦١ .
أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ج ٢ ص ٩٣
جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أباطرة المغول ، ص ٩٨ .
إحسان حقى : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ١٤٨ .

(٢) خان خانان : أمير الأمراء .

(٣) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣١٣ .
سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٧٩ .
غلام حسين طباطبائى : سير المتأخرين ، ج ١ ، ص ١٨٨ .
Ishwari Prasad: A Short History of Muslim Rule in India, P.241.

كان داود فى حاجى پور وكان لودى أمير أمرائه يخالفه ويدعى الاستقلال فى قلعة رهتاس ، وعندما وصل خان خانان منعم خان على رأس الأفواج البادشاهية إلى نواحى پتنه وحاجى پور ،آثر لودى اتباع سياسة سليمان كررانى فعرض الصلح على خان خانان ، مذكرا خان خانان بالصداقة التى كانت بينه وبين سليمان ، فتقرر أن تقدم له هدايا بمقدار مائتى ألف روپية نقدا ومائة ألف روپية قماشا (١) ، ويعود بالمقابل الأفواج البادشاهية ،وأرسل لودى أحد رجاله إلى داود فاتحا له طريق الصلح ، ولكن داود استمع إلى خصمى لودى والمقربين عنده وهما قتلولوحانى وسرمدهربنكالى ، فقبض على لودى ووضع فى السجن ،ويبدو أن لودى نفسه لم يكن صادقا فى مصالحته مع المغل ، بل قبل المصالحة كسبا للوقت ، ويعرف هذا من رسالته التى أرسلها إلى داود من سجنه ويقول فيها : ((لو يرى صلاح الملك فى قتله فليبادر إلى تنفيذ ذلك ،على الرغم من أنه سوف يندم بعد قتله كثيرا ، ومع أننى لم أجدكم تستمعون إلى النصح والخير ، أنصحكم هذه المرة أيضا ، وآمل أن تعملوا به لأنه فى صالحكم وهو : أن تحاربوا المغل بعد قتلى حتى النصر ،ولو لم تفعلوا سيستولون عليكم وفى هذه الحالة لن تقدروا على معالجة الوضع ، لا تغرنكم مصالحة المغل ، لأنهم لا يتركون الفرصة تفوت من أيديهم)) (٢) ، ولكن قتلولوحانى وسرمدهربنكالى

---

(١) قماش : الثوب الحريرى (غياث اللغات ، ص ٣٩٦) .

(٢) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣١٤ .
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ،ج ١ ،ص ٢٦١-٢٦٢ .

رأيا أنه لو قضى على لودى فإن أمر الوكالة والوزارة سينقل إليهما ، فاغتنما الفرصة وتظاهرا لدى داود بالنزاهة والبعد عن الأغراض ، وقدما إليه تقارير مكررة تمهد قتل لودى ، إلى أن باشر داود قتله فاستولى على فيلته وخزانته وسائر حشمه ، ومع هذا اعتمد داود على ذلك الصلح الناقص الذى كان قد طرحه لودى ولم يعد نفسه للمعركة ، ولما ذكر نبأ قتل لودى فى مجلس خان خانان عزم على التوجه إلى پتنه وحاجى پور ، فوصل إلى تلك النواحى ، وندم داود من قتل لودى الذى تذكر حسن تدبيره وإصابة رأيه ، فتحرك إلى پتنه محزونا مغمورا ، وفى الوهلة الأولى عزم على الحرب ولكنه انصرف عن القتال وقرر التحصن ، فلجأ إلى قلعة پتنه دون أن يطلق سهما أو أن يخرج سيفا من غلافه ، وتوجه خان خانان باستصواب من كبار الأمراء إلى محاصرة القلعة .(١)

كتب خان خانان منعم خان إلى أكبر بأن فتح پتنه على وشك الوقوع ، ولأن فتوح هندوستان قد تمت باسمه ، يريد أن يتم فتح پتنة باسمه أيضا ، فيأمل أن يركب السفينة متوجها إلى پتنه (٢) ، فاجتمعت سفن البيوت والمعامل من قورخانه (٣) ، ونقارخانه (٤) ، وخزانه خانه (٥) ، وفراشخانه (٦) ،

---

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣١٤ — ٣١٥ .
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ص ٢٦٢ .

(٢) بايزيد بيات : تذكرة همايون وأكبر ، ص ٣٣٨ .
محمد عبدالقادر : أويماق مغل ، ص ٤٢٢ .

(٣) محل ذخيرة الأسلحة .

(٤) المحل الذى تضرب فيه الطبول والأبواق .

(٥) بيت الخزانة .

(٦) إدارة الفراشين .

وچيته خانــــه (١) والمطبخ والطوائـل وسفن سائر المعامـل ، حول السفـن الكبيرة المعدة للجلوس الخاص ، وكذلك أخذت طريقها إلى النهر السفـــن الشراعية وغيرها من السفن ، ثم استراح أكبر عدة أيام فى عاصمته الجديـــدة فتحپور ، وأرسـل الجيش والفيلـــة عن طريق البر وعلى رأسهم مرزا يوسف خـان ـ رضوى وهو من كبار الأمراء ، وركب أكبر السفينة متوجها إلى پتنـه فى سـلخ (٢) صفر عام ٩٨٢ هـ(١٥٧٤م) (٣) ، وفى العاشر من شهر ربيع الثانى وصل فـــى منطقة د ومنى من أعمال بوفور فأرسل من هناك قاسم خان إلى منعم خان ليخبره بوصوله إلى تلك المنطقة ويسأله عما يراه مناسبا بعد هذا ،فعرض خان خانـــان أن تتابع الرايات سيرها عن طريق النهر ، ويتوجه المعسكر عن طريق البـــر ، وطلب خان خانان تزويد جنوده بالأسلحة من القورخانة الخاصة (٤) حيث ضـــاع معظم أسلحتهم بسبب موسم الأمطار ، فبادر أكبر بإرسال أسلحة كثيرة وبأنواعهـا المختلفة (٥) ، ثم تابع أكبر سيره حتى وصـل على بعد كروهين من پتنـة حيـث التقى فيه مع خان خانان وسائر أمرائه ، وفى السادس عشر من ربيع الثانى وصـل على مقربة من قلعـة پتنة ونزل فى منزل منعم خان ، وبعد يوم من نزوله أمـــر بإحضار الأمراء للتشاور ، فخاطبهم قائلا : ((إن مدة الحصار قد طالـــت ولا بأس من تأخير التسخير حتى الآن ، ولكن بعد أن توجهت الهمة الشاهنشاهية

---

(١) محل تربية وحفظ فهود الصيـــد .
(٢) سلخ : آخر يوم من أيام الشهر القمرى والذى يرى فى مغربه الهلال .
(٣) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ،ص ٣١٥ .
(٤) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ،ص ٢٦٢ .
(٤) مخزن الأسلحة الخاص .
(٥) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣١٧ .

لتسخير القلعة ، فلا تسمح غيرة السلطنة أن تبقى هذه الطائفة فى هذه القلعة بل وفى هذه المملكة ، ويخطر لنا حاليا أن قلعة حاجى بور هى محور الإمدادات لهؤلاء الناس ،فلنبادر بالاستيلاء عليها أولا لنمهد للقضاء عليهم نهائيا)) (١)

وحسنت الفكرة من قبل مجلس الأمراء والخوانين ، ثم قام المجلس بتوزيع الأدوار ، فعين خان عالم على رأس ثلاثة آلاف فارس للهجوم على قلعة حاجى پوره وركبوا السفن الرياحية المشحونة بوسائل فتح القلاع ، ورشح لمساعدة خان عالم أيضا راجة كجى من زميندارات(٢) هذه المنطقة والذى كان يتبعه أناس كثيرون وذهب أكبر إلى مورچل أحد قواده المقام على ضفة عالية من نهر گنگ حيث كان باستطاعته أن يشاهد من هناك قلعة حاجى پورو أن يتابع سير المعركة ، ونظرا لبعد المسافة وتصاعد الدخان والأتربة تعذرت الرؤية والتشخيص ، فأركب فى عصر يوم الثامن عشر من شهر ربيع الأول عام ٩٨٢ هـ (١٥٧٤م) ، مجموعة من الشبان على غراب(٣) وأرسلهم إلى حاجى بور ليعودوا إليه بالأخبار الموثقة عن كيفية سير المعركة ،ولما رأى الأفغانيون هؤلاء الشبان هجموا عليهم ، ولكنهم استطاعوا أن ينجوا من قبضتهم بالسباحة ، فالتحقوا بقوات خان عالم ورأوا أن قائد قوات القلعة فتح خان بارهه وكثير من الأفغانيين قد لقوا مصرعهم ، وأصبحت

---

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣١٨ .
سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٧٩ .
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ،ج ١ ،ص ٢٦٢ .
V.A. Smith : Akbar the Great Mogule, PP. 90 - 91.

(٢) زميندار : مالك الأرض .

(٣) غراب : سفينة رياحية .

القلعة بتصرف خان عالم الذى شحن رؤوس القتلى فى السفن وأرسلها إلى أكبر الذى أرسلها بدوره إلى داود أفغان ((ليرى بعين العبرة رؤوس قواده فيتفكر ويتأمل فى مآله ومصيره)) [١].

فى الثامن عشر من شهر ربيع الثانى ركب أكبر على فيله وجال به حول مدينة پتنه وقلعتها ، وصعد على پنج [٢] بهارى المكان الذى كان يحازى القلعة ، فلاحظ القلعة وجوانبها بنظر الحيطة وشاهده الأفغانيون من بروج القلعة ، فأطلقوا إلى جهة پنج بهارى عدة طلقات ولكنها لم تصب أحدا بسوء ((ولقد ضاقت الصحراء من الأفواج والعساكر الباد شاهية والتى طوقت أطراف القلعة)) كما وصلت أخبار فتح حاجى پور إلى داود الذى لم يجد طريقا غير الهروب ، فركب السفينة هاربا فى منتصف ليلة الأحد الواحد والعشرين من شهر ربيع الثانى عام ٩٨٢هـ (١٥٧٤م) ((وكانت تلك الليلة نموذجا ليوم الحشر)) ؟ جماعات غفيرة من الناس تتجه نحو مضايق النهر للعبور ، فيغرق الكثيرون نتيجة الازدحام ، والجماعات التى حاولت الفرار عن طريق البر ، وقع الكثيرون منهم تحت أقدام الفيلة والفرسان فى الشوارع الضيقة ، والبعض الآخر ألقوا بأنفسهم فى الخنادق نتيجة هول المشاهد ، واستطاع گجرخان الملقب بركن الدولة أن يقيم جسرا على نهر پتن، فعبر منه هو ومجموعة من فيلته ، فتعاقبه جماعات هاربة

---

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣١٨.

(٢) پنج بهارى : عبارة عن خمس قباب كانت بنيت فى سابق أيام الكفره (طبقات أكبرى ، ص ٣١٩).

من الأفغان ليغروا عن طريق الجسر هذا ، ولكن الجسر لم يتحمل هذه الكثرة فانكسر وسقط الكثيرون فى النهر.(١)

فى أواخر الليل نقل إلى أكبر خبر هروب داود ، وفى الفجر عين أكبر ، خان خانان منعم خان فى القلب ، وتولى بنفسه المقدمة فد خلوا پتنه واستولوا على كثير من الفيلة التى لم يستطع الهاربون سوقها معهم ، وبذلك تم فتح هذه المدينة التى كانت فى حقيقتها فتحا لبنگاله حيث لم يستطع الأفغانيون بعدها أن ينظموا مقاومة تصل إلى هذا المستوى(٢).

مكث أكبر الساعات الأولى من النهار فى پتنه ونادى بالأمن والأمان للأقاصى والأدانى ، ثم ترك خان خانان لحراسة المعسكر وأسرع هو مع الجند فى تعقب گجرخان الذى اصطحب معه فيلة داود ، ولقد طارده أكبر حتى منطقة درياپور الواقعة على نهر گنگ والتى تبعد عن پتنه ستة وعشرين كروها ، واستولى على حوالى أربعمائة فيل من الفيلة العملاقة ، وتوقف أكبر فى دريا پور لمدة ستة أيام ثم فوض تصريف أمور بنگاله لخان خانان منعم خان ، وترك لمساعدته عشرة آلاف فارس آخر ، كما أضاف فى علوفة الجند المصاحب

---

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣١٩.
سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٧٩ — ٣٨٠.
غلام حسين طباطبائى : سير المتأخرين ، ج ١ ، ص ١٨٨.
محمد عبدالقادر : أويماق مغل ، ص ٤٢٢.

(٢) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣١٩.
محمد قاسم فرشته ، تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٢.
سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٨٠.

لخان خانان بنسبة ثلاثين إلى أربعين فى العشرة ، وترك لخان خانان أيضا جميع السفن التى جلبها من آكره ((وسلم ليد اقتداره زمام الحل والعقد وعنان العزل والنصب)) ثم عاد من دريا پور إلى عاصمته .(١)

لقد تابع خان خانان مطاردة الأفغان بعد عودة أكبر فهجم على بلدة تانده التى لجأ إليها داود ، وحصن فيها قلعة كرهى إلى درجة كان يعتقد بأنها تمكنه من مقاومة المغل خلال سنة ، وكانت وحدة القراول (٢) تقدم إلى خان خانان تقارير عن الأوضاع فى تانده ، وعلم منعم خان أن داود يستعد للقتال ، فأحضر الأمراء الكبار للتشاور ثم قام بتعبئة الأفواج ، ولما اطلع داود بأن خان خانان عازم على محاربته تذكر ما جرى فى پتنه فترك تانده ، حيث دخلها خان خانان فى الرابع من جمادى الثانية سنة ٩٨٢هـ(١٥٧٤م) ، رافعا نداء الأمن والأمان ، ولجأ داود إلى ولاية أوريسة التى تقع على الساحل فى أقصى البلاد الشرقية للهند ، وعين خان خانان راجه تودرمل مع جمع من الأمراء ليتوجهوا الى أوريسة بغرض تعقب داود (٣) ، واطلع راجه أن داود موجود فى قلعة كَنگ بنارس مركز تلك الولاية ويعد نفسه للقتال ، فأرسل راجه إلى خان خانان من يخبره على حقيقة الوضع ، فتحرك منعم خان بلدة

---

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣١٩ — ٣٢٠ .
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ج ١ ، ص ٢٦٢ .
سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٨٠ .

(٢) قراول : الوحدة الاستطلاعية .

(٣) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٢١ — ٣٢٣ .
سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٨٠ .

تانــده والتحق براجــه تودرمــل ، ونزل داود قواته أمامهم وحفر الأفغــان حول معسكرهم الخندق وبنوا القلعة ،وفى اليوم الثامن من ذى الحجــة سنــة ٩٨٢ هـ(١٥٧٥م) نظم خان خانان صفوف قواته وتولى بنفسه قيادة القلــب ومعه سائر أمراء الألتمــش[١] ، وعين خان عالم على رأس هراول [٢] ، وجعــل على برنغار[٣] قباخان كَنْگ كما وضع أشرف خان ميربخشى وراجه تودرمــل فى جرنغار[٤] ، كما كان ينــظم صفوف قوات الأفغانيين على النحو التالى : القــول[٥] وعلى رأسه داود ، والميمنة وعلى رأسها جهان خان حاكم أوريسة ، والميســرة وعليها اسماعيــل خان آبدار الملقب بخان خانان ، والمقدمة وعليها گجرخــان ((ولقد تزلزلت أركان الأرض من الأسلحة المحمولة على الفيلة الطائشة العملاقة ، وانتشرت الأتربة من حركة الخيــول)) [٦] ، وبدأت المعركة وأمر خان خانان أن تطلق نيران المدافع الثقيلــة والخفيفة والمقامة على العربات فى مقدمة الصفوف فأدبر عدد من الفيلــة الطائشــة الموجودة فى مقدمة صفوف الأفغانيين وقتل عدد من الشبان الأفغان بنيران البنادق ، واستطاع گجرخان قائد مقدمـــة

---

(١) أَلتَمِشْ : كلمة تركية تعنى الفوج الذى يكون بين المقدمة والقلب .
(غياث اللغات ، ص ٤٥) .

(٢) هراول : كلمة تركية تعنى مقدمة الجيش فى المعركة .

(٣) بُرَنغار : كلمة تركية تعنى الميمنــة .

(٤) جُرَنغار : كلمة تركية تعنى الميسرة .

(٥) قُــوْلْ : كلمة تركية تعنى القلب .

(٦) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٢٥ ،
سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٨٠ .

الأفغان أن يهجم على مقدمة قوات منعم خان ويقتل قائدها خان عالم ، كما انهزم الألتمش أيضا فدخل على القلب ، وباءت محاولات خان خانان بالفشل في المحافظة على النظم ، حتى أن كَجرخان استطاع الوصول إلى خان خانان نفسه وأصابه بجروح ، ثم تمكن قباخان كَنك قائد الميمنة من أن يلتف على طرفي الأفغانيين وأن يفرقهم شيئا فشيئا حتى شلت حركتهم ، فاستطاع خان خانان أن يعيد النظام إلى قواته ،وفي نفس الوقت أصيب كَجرخان بسهم قتل على إثره ،فأثر قتله على معنويات جند الأفغان [1] ، وكذلك هاجم فوج الميسرة ميمنة الأفغان هجوما مربكا ، وعلم داود زعيم الأفغان بنبأ قتل كَجرخان فرجح الانسحاب إلى داخل القلعة تاركا غنائم كثيرة ، كما قتل جميع أسرى الأفغانيين ، ومكث منعم خان عدة أيام لمعالجة جروحه ، وأرسل تقريرا عن الأوضاع إلى أكبر ، ثم عقد مجلس الأمراء للتشاور ، فتقرر إرسال راجه تودرمل وغيره من الذين لهم سبق في المعارك ، ليتعقبوا داود أفغان ، ثم ينضم إليهم خان خانان أيضا بعد التئام جروحه ، وعندما وصل راجه تودرمل ومرافقيه الأمراء على مقربة من القلعة ، أخبرهم الجواسيس بأن داود وسائر الأفغانيين قد تحصنوا في قلعة كَنك بنارس مع عوائلهم وأطفالهم ، وأنهم يئسوا من أن يجدوا مفرا لهم فقرروا أن يحاربوا الى آخر من بقي منهم في الحياة [2] ، بعد

---

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ،ص ٣٢٥ • ٣٢٦•
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ،ج ١ ، ص ٢٦٢•

(٢) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٢٦•
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ،ج ١ ، ص ٢٦٢•

أن يقتلوا نساءهم وأطفالهم ، حيث كان على جانبهم البحر وفى طرف آخر راجـة أوريسـة وفى الجانب الرابع جند المغـل (١) ، فبعث راجـه تود رمـل تقريرا عن هذه الحالات إلى خان خانان منعم خان ،فتوجـه خان خانان إلـى كنگ بنارس ولم يتوقف الا على بعد كروهين منها حيث أجرى مشاورات مـع الأمـراء ، وباستصواب منهم ، عسكر فى ضفة نهر مهندرى على بعد نصـف كروه من بنارس ، وبدأ فى الإعداد والتنظـيم لعمليات فتح القلاع(٢) ، وفـى نفـس الوقت رأى رأيـه إلى الأفغانيين بأنهم إخوة فى الإسـلام ، فأرسل إلى داود من يبلغـه بأنه لا داعى بأن تتحمـل دماء هؤلاء المستضعفين ، ثم قال له : وإن كنت تركت السلطنة فأرسـل الأسباب الباد شاهية لأرسلهـا إلى أكـبر ، وفى هذه الحالة سوف أطلب منه أن يقطعك ولاية أوريسـة وضواحيها ، فقبـل داود هذا العرض وأعرب عن استعداده لعقد الصلح ؛ وفى نفس الوقت كان موسم الأمطار على الأبواب ويستمر البرسـات(٣) فى تلـك الولايـة لمدة ستة أشهر ،ويؤدى إلى اختلال ولاية بنكاله التى يكثر فيهـا الطين والمياه ، فينقطع فى خلاله تردد التجار والبضائـع(٤) ، ولقد اشـترط خان خانان على داود أن يحضر إليه بنفسه للتأكيد على عهد الصلح ، وقبـل داود هذا الشرط ، فأقام خان خانان محفلا كبيرا ،خصص فيه أماكن خاصـة

---

(١) بايزيد بيـات : تذكرة همايون وأكبر ،ص ٣٤٥ .

(٢) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ،ص ٣٢٦ .
سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٨٠ .

(٣) برسـات : كلمة هندية تعنى موسم الأمطـار .

(٤) بيـات : تذكرة همايون وأكبر ، ص ٣٤٥ .

للأمراء والملازمين الذين اشتركوا فى الحملة كل حسب حالته ورتبته ، وأقام أمام مدخل المعسكر صفوفا منظمة جميلة ، ثم خرج داود من قلعة كنك بنارس وبرفقته أمراء الأفاغنة وكبار رجاله ، ولما اقترب الى المعسكر ،رحب به خان خانان واستقبله استقبالا حارا وصاحبه الى وسط المعسكر وأجلسه على جنبه (١) ، وبعد الانتهاء من حفل الطعام بدأ الكلام فى العهد والميثاق ، وتعهد داود أن لا ينحرف طوال حياته ، وأكد هذا الشرط بأحلاف غليظة ، وبعد الانتهاء من كتابة العهد ، قدم خان خانان إلى داود سيفا مرصعا غاليا ووعده بأن يلتمس من أكبر أن يقطع له ولاية أوريسة ، ثم عاد خان خانان إلى تانده فى العاشر من صفر سنة ٩٨٣هـ(١٥٧٥م) وكتب عن هذه التطورات إلى أكبر الذى استحسن تصرفاته وقبل جميع ما التمسه خان خانان منعم خان. (٢)

لقد توفى منعم خان فى شهر رجب من عام ٩٨٣ هـ(١٥٧٥م) إثر إصابته بمرض وبائى قضى عليه وعلى خلق كثير ، إلى درجة أن أصبح الناس عاجزين عن دفن الموتى ، فكانوا يلقونهم فى النهر ، وتركت وفاته فراغا كبيرا فى إدارة البلدان الشرقية من الهند (٣) ، فاستغل داود أفغان هذا الوضع وتناسى العهد الذى قطعه لخان خانان فهاجم تانده واستولى عليها ((وعمت الفوضى))

---

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ،ص ٣٢٦ — ٣٢٧.
(٢) المصدر نفسه : ط ص ٣٢٧.
غلام حسين طباطبائى : سير المتأخرين ،ج ١ ،ص ١٨٨.
(٣) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٣١.
سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٨٠.
محمد عبدالقادر : أويماق مغل ، ص ٤٢٢.

فأصدر أكبر أوامره إلى حاكم پنجاب حسين قلى خان تركمانى المخاطب بخان جهان بالتوجه إلى بنگاله لتدارك الوضع ، فوصل خانجهان إلى بنگاله واسترد من الأفغانيين قلعة كهرى التى كانت تقع فى الطريق إلى تانده ، ثم واصل تقدمه إلى حدود تانده التى انسحب عنها داود إلى مكان يحيطه النهر من جانب والجبل من جانب آخر وبنى فيه قلعة لجنده .

كان أكبر يتابع الأوضاع من عاصمته فتحپور ، وأحس أن قوات خانجهان تحتاج لمزيد من القوات المساعدة ، فأمر لمظفر خان حاكم پتنه وبهار ،أن يجمع جميع الأفواج العاملة فى تلك النواحى ويتوجه معهم لمساعدة خانجهان [1] ،وأمر أيضا بارسال خمسمائة ألف روپية لامداد الجند ، كما أمر بشحن الحبوب على السفن من آكره وإرسالها الى الجند الذين يحاربون الأفغانيين .

التحق مظفر خان بخانجهان مع حوالى خمسة آلاف من جند بهار وحاجى پور وپتنه ، وبدأ بتنظيم الصفوف استعدادا للحرب ، وفى الجانب الآخر أيضا قام داود باتفاق مع جنيد وسائر زعماء الأفغان ، بتنظيم صفوف قواتهم ، ثم بدأت المعركة بين الجانبين ، انتهت إلى هزيمة الأفغانيين ، وأسر داود نفسه فقطع رأسه خانجهان وأرسله إلى أكبر ، كما حصلوا على غنائم

---

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٣٢ — ٣٣٣ .
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ،ج ١ ، ص ٢٦٣ .
سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٨٠ .

كبـــــيرة .(١)

هكذا قضى على حكم الأفغان فى بنگاله ، إلا أنه بقى لهم نفوذهم فــى ولاية أوريســـة ، حتى حاربهم فيها راجه مانسنگه بن راجه بهگوانداس فى سنة ١٠٠١ هـ وغلب عليهم بعد معركة شديدة ، وأصبحت تلك الولاية أيضا فى تصرف أولياء دولـــة أكبر ، وهى بلاد وسيعة تقع على الساحـل فى أقصى بلاد بنگاله ، وبذلك أصبحت حدود الدولة تمتد الى البحر شرقا وغربـــا .(٢)

وعلى الرغم من أن بلاد بنگاله ضمت إلى دولة أكبر وانتهى فيها حكم الأفغان إلا أن هذه البلاد شهدت اضطرابات وحوادث تمرد بعد وفاة منعم خان ثم وفـاة خان جهان ، استمرت لعدة سنوات ، فبعد أن أرسـل مظفر خان إلى بنگالـه خلفا لخانجهان ، أخذ يتشدد فى معاملته ومحاسبته مع الأمراء ، وأخذ يعزل كثيرا من أمراء بنگاله وعامليها ، وأعاد المعاملات القديمة إلى التحقيـــق ، وأمر

---

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٣٤.
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٣.
أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ، ج ٢ ، ص ٩٤.
جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أباطرة المغول ، ص ٩٨.
إحسان حقى : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ١٤٩.

(٢) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٨.
عبدالصمـــــــد : مكاتبات علامى ، ص ١٠.
نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٧٨.
سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٨٠ — ٣٨١.

بتقييد بعض الأمراء وضربهم بالشلاق فى سبيل تحصيل مبالغ كانت عليهم ولم يهتم الى التماس باباخان قاقشال زعيم القاقشاليين (١) فى إعادته إلى منصبه وعدم اجراء التحقيق معه ، إضافة إلى أنه خرجت من لسانه كلمات مجرحة ضد باباخان قاقشال ، فقرر القاقشاليون التمرد وقاموا بنهب أموال مظفر خان فى عدة أماكن وذلك فى سنة ٩٨٩هـ (١٥٨١م) (٢) ، وعندما اطلع أكبر شاه على هذه التطورات ، أصدر أوامره إلى مظفر خان بأن طائفة القاقشاليين لهم سبق الخدمة ولا يستحسن إزعاجهم ، فلتبادر إلى استمالتهم وإرجاعهم إلى مناصبهم ، ووصل هذا المرسوم فى الوقت الذى كان مظفر خان فى مواجهة تلك الجماعة ، وتظاهر باباخان قاقشال بالطاعة وطلب من مظفر خان أن يرسل إليه رضوى خان وتيرداس ليطمئن من جانبه ، فأرسل مظفر خان ، رضوى خان ومير أبو اسحاق وراى تيرداس ، ولكن باباخان قيد هؤلاء الثلاثة ، وفى نفس الوقت اتفق أن حدث فى ولاية بهار ما حدث فى ولاية بنگاله ، إذ تشدد ملاطيب وپركهوتم بخشى متوليا مهام تلك الولاية ، وأبعدا محمد معصوم كابلى وعرب بهادر وسائر أمراء بهار من أعطالهم وأساءا معاملتهم ، فلجأ معصوم كابلى الى التمرد باتفاق مع عرب بهادر وغيره وقصدوا قتل ملاطيب وپركهوتم اللذين اضطرا للفرار تاركين أموالهما نهبا ، وبعد عدة أيام جمع پركهوتم حوله مجموعة

---

(١) القاقشاليون : هم فرع من المغل ، ولقد أبلوا بلاءا حسنا فى توطيد حكم السلطان فى الهند ، وخاصة فى معارك الدولة ضد الأزابكة وضد الأفغانيين فى الأقاليم الشرقية ، ووصل بعض أفراد هذه الأسرة الى مناصب عالية فى حكم الأقاليم وقيادة الجند .

(٢) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٤٤ — ٣٤٥ .
محمد عبدالقادر : أويماق مغل ، ص ٩٨ .

من القـوات فعـبر نهر جوسـا لمواجهة المتمردين ، الا أنهم باغتوه فقتلـوه ٥ (١)

لما وصلت أنباء تمرد معصوم كابلى إلى القاقشاليين ، تبودلت بين الجانبين الرسائل والرسـل ، فاتجه معصوم إلى مساعدة القاقشاليين ، وأرسل مظفرخان فوجا بقيادة خواجه شمس الدين ، ليقوم بسد الطريق أمام معصوم ، إلا أن معصوم كان يصاحبه جمع غفير فحارب شمس الدين وغلب عليه وانضم إلى القاقشاليين الذين قويت شوكتهم به ، فعبروا النهر معا لمحاربة مظفر خان ، الذى تحصن فى قلعة تانده التى لم تكن أكثر من جدران أربعة ، فاستولى المتمردون على تانده وقلعتها وأخرجوا منها مظفر خان وقتلوه ، وبذلك أصبحت ولايتى بنكاله وبهار فى قبضـة المتمردين الذين جمعوا حولهم حوالى ثلاثين ألف فارس ، كما أخرجوا شـرف الدين حسين مرزا من سجن مظفر خان وعينوه قائدا لهم (٢) ٥

بعد أن اطلع أكبر على هذه التطورات ، بادر بإرسال مجموعة من أمرائـه وفى مقدمتهم راجه تودرمل ، ليقوموا بإخماد الاضطرابات فى ولايتى بنكالـه وبهار ، واعادة سلطة الدولة فيهما ، كما أصدر أوامره إلى حكام المناطـق القريبة من هاتين الولايتين ، ليقوموا بمساعدة راجه تودرمل فى أداء مهمته ٥

---

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٤٥.
سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٨٤ ٥
غلام حسين طباطبائى : سير المتأخرين ، ج ١ ، ص ١٩٠ ٥

(٢) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٤٥-٣٤٦ ٥
سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٨٤ ٥
محمد عبدالقادر : أويماق مغـل ، ص ٩٨ ٥

لما وصل راجه تودرمل وكبار الأمراء الى جونپور ، التقوا بمحمد معصوم فرنخودى حاكم جونپور ، ولاحظوا وجود تحركات تشتم منها رائحة عدم الاخلاص والولاء ، ولكن راجه تودرمل كان يداريه ويسعى لتسليته واستمالته ، فقدم للأمراء ثلاثة آلاف فارس بكامل أسلحتهم ، ثم تقدموا إلى قصبة مونگير حيث جمع المتمردون حولهم حوالى ثلاثين ألف فارس وخمسمائة فيل ومدافع وسفن حربية ، ولم يستحسن راجه تودرمل أن يدخل المعركة بجنود بنگاله ، حيث لم يكن يثق فيهم فتحصن فى قلعة مونگير وبنى حول القلعة القديمة قلعة أخرى ، وطالت الاشتباكات بين الجانبين لأربعة أشهر ، حتى وقف بعض ملاك الأراضى [1] فى تلك النواحى إلى جانب الموالين للدولة ، فسدوا طريق إمداد المخالفين بالغلال ، فظهرت فيهم عسرة شديدة ، كما مرض باباخان قاقشال فى تانده وأصبح ينتظر الموت ، فترك المتمردون حصار راجه تودرمل ، وانسحب معصوم كابلى إلى بهار كما اتجه عرب بهادر الى پتنه للاستيلاء عليها ، إلا أن حاكمها ثبت فى مقاومته حتى وصلته إمدادات من راجه تودرمل أجبرت عرب بهادر على ترك الحصار .

لما طالت حوادث بنگاله ، استعان أكبر بخان أعظم الذى كان يعيش تحت الرقابة فى ناحية من آگره ، فأرسله إلى بهار ومعه خمسة آلاف فارس .[2]

---

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٤٦ .
سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٨٥ .

(٢) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٤٦-٣٤٧ .
سجان راى : خلاصة التواريخ : ص ٣٨٥ .

لقد استمر اتساع دائرة التمرد في البلدان الشرقية هنا وهناك ، حتى استطاع مرزا عزيز كوكه الملقب بخان أعظم[1] أن يضع حدا لها في سنة ٩٩٢هـ (١٥٨٤م) ، حيث تمكن من استمالة الكثير من المتمردين وخاصة القاقشاليين فأعيدت إلى سلطة الدولة الأراضي التي كان قد استولى عليها المتمردون ، ولم يرغب خان أعظم أن يستمر في تصريف أمور بنگاله ، ولكنه عاد إلى منزله في آگره بعد أن أعاد النظام في بنگاله ، وعين أكبر شهبازخان حاكما على تلك الولاية ، وأمره أن يقطع جميع الأراضي السلطانية للجند ، فتوجه شهبازخان إلى تولى مهامه في السابع عشر من جمادى الثانية سنة ٩٩٢هـ (١٥٨٤م)[2] .

---

(١) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٤ .

(٢) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٥٤ .
سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٨٥ — ٣٨٦ .
غلام حسين طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ١ ، ص ١٩٠ .

كانت لحوادث التمرد فى الأقاليم الشرقية انعكاساتها فى كابـــل ، وسبق أن قام مرزا محمد حكيم، حاكم كابـل والأخ الأصغر لأكبر ، بمهاجمة بنجاب فى أوائـل أيام أكبر ، ولكن حملتهـا باءت بالفشـل ، وفى هذه المرة اتصـل به المتمردون من الأقالـيم الشرقية وأغروه بالـهجوم على هندوستـــان ، والاستيلاء عليها مستغلا فى ذلك انشغال أكبر بحوادث الاضطرابات والتمرد فى ولايتى بنگاله وبهار وما جاورها ،فلبى مرزا محمد حكيم هذا الطلب وأرسل مقدما خادمه المسمى شادمان الذى عبر نهر نيلاب الذى كان يفصل بين ولايتى پنجاب وكابـل ، ولكن كنورمانسنگ هاجمه وقتله ، وعلى إثر سماع هذا النبـــأ، عبر مرزا محمد حكيم بنفســه النهر ونزل فى قصبــة سيدپور ، ثم وصل إلى لاهور ونزل فى حديقة مهندى قاسم[1] .

كانت لولاية كابـل أهميتها الإستراتيجية الخاصة ولم يكن أكبر ليفـرط فى أمنها وحفظ ولائها لدولتــه ، وذلك على الرغم من مشاكلها الداخليـــة ، وعلى الرغم من استيلاء المتمردين على الأقاليم الشرقية من دولته ؛ وصحيـــح أنه ليست لهذه الولايـــة محاصيل تذكر ، إلا أن القدر جعلها بوابة الهند ، فمن هنا كان يرسل حاكم هندوستان مبالغ هائلـة إلى هناك لنفقات الجنـــد ، حتى تقوم بحراسة حدود الدولة مع توران[2] وايران ، وفى الأزمنـة السابقـــة

---

(١) نظام الدين أحمد الهروى ، طبقات أكبرى ، ص ٣٤٢ .
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ،ج ١ ، ص ٢٦٤ .
سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٨٦ — ٣٨٧ .

(٢) تـوران : مـــا وراء النهـــر .

لما كانت كابل خارجة عن سلطة حاكم الهند ، كان التورانيون يقومون بغارات على أطراف هندوستان ، فكانت نتيجتها خراب ولاية پنجاب المجاورة لكابل ، وكلما كانت الهند وكابل فى سلطة حاكم واحد ، كلما كانت پنجاب معمورة ، وكانت الهند آمنة(١) ، ومن هنا لما سمع أكبر على نبأ عبور مرزا محمد حكيم من نهر نيلاب ، تحرك إلى پنجاب وترك ابنه الأمير دانيال ليقوم بتصريف مهام الدولة فى العاصمة أثناء غيابه ، ووصل أكبر إلى قصبة پانى بت ، ولما سمع مرزا محمد حكيم بأن أكبر بنفسه فى الطريق اليه على رأس قواته ، عاد من لاهور إلى كابل ، إلا أن أكبر تعقبه وأرسل مقدما ابنه الأمير مراد وأكثر الأمراء الكبار ليخضعوا كابل ، ولما وصل الأمير مراد على بعد سبع كروهات من كابل هاجمه عمه مرزا محمد حكيم(٢) فى منطقة خورد كابل الواقعة على الجنوب الشرقى من كابل ، ولكنه انهزم وتولى هاربا ، فدخل الأمير مراد كابل ، التى وصلها أكبر أيضا فى يوم الجمعة العاشر من رجب عام ٩٩٠ هـ (١٥٨٢م) واطلع أكبر أن أخاه موجود فى غوربند الواقعة فى شمال كابل والقريبة من حدود الأزابكة حكام ما وراء النهر ، فبادر أكبر إلى إرجاعه

---

(١) سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٨٨.
أبو الفضل علامى : آئين أكبرى ، ج ٢ ، ص ٣٨٥.

(٢) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٤٩ — ٣٥٠.
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٤.
أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية وحضارتهم ، ج ٢ ، ص ٩٥.
جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية فى الهند ، ص ٩٩
عبد المنعم النمر : تاريخ الإسلام فى الهند ، ص ٢٠٥.

وتسليته خوفا من أن يلجأ للأزبك ، فأرسل فى طلبه لطيف خواجه ، فعاد مرزا محمد حكيم وعفا عنه أكبر وترك له حكم كابل ، ثم عاد إلى هندوستان بعد أن تنزه لمدة سبعة أيام فى حدائق كابل ، وبعد الاطمئنان على الأوضاع فى كابل ، أرسل قسما كبيرا من الأمراء والجند الذين اشتركوا فى حملة كابل ، إلى الأقاليم الشرقية ليساعدوا خان أعظم فى اعادة النظم إلى تلك المناطق (١) .

توفى مرزا محمد حكيم حاكم كابل فى سنة ٩٩٤ هـ(١٥٨٥م) ، ومرة أخرى نرى اهتمام أكبر الفائق بكابل ، إذ فور سماعه نبأ وفاة أخيه ، أصدر أوامره إلى حاكم پنجاب راجه بهكوان داس وابنه كنورمانسنگه أن يتوجها إلى كابل ويستوليا عليها ، وتوجه أكبر بنفسه أيضا إلى پنجاب(٢) ليراقب الأوضاع عن قرب ، وكان أكبر يريد أن يبقى كابل فى أيدى أبناء محمد حكيم مرزا ، إلا أن الأمراء الكبار عرضوا عليه أن أبناء أخيه ما زالوا فى الصغر وحداثة السن ،فلم يتأهلوا بعد لتحمل مسؤوليات الحكم ، وأن الأزابكة قد استولوا على بدخشان الواقعة فى الشمال الشرقى لكابل ، وهم بالمرصاد ، فاستصوب أكبر هذا الرأى وعين كنورمانسنگه واليا على كابل ، وطلب أبناء

---

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٥١ — ٣٥٢ .
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ،ج ١ ،ص ٢٦٤ .
سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٨٩ .

(٢) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٦ .

أخيــــه إلى الهند خوفا من أن يلجأوا إلى حاكم تــوران عبدالله خان أزبــــك

وفى الثامن والعشرين من شهر ذى الحجة سنة ٩٩٤هـ(١٥٨٦م) كان أكــبر

فى طريقه إلى بنجاب ، إذ جاءه تقرير من كنورمانسنكه يطمئنه فيه عن إخــــلاص

أهالى كابــل وولائهم للدولة، وأن الأوضاع مستقـــرة (١) .

---

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٦٧ — ٣٦٨ .
سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٨٩ .
Ishwari Prasad : A Short History of the Muslim Rule in India, P.249.

بعد الاطمئنان على الأوضاع فى كابـل تم فتح كشمـير سنة ٩٩٥ هـ (١٥٨٧م) ، وكانت قبـل هذا تحت حكم الملوك المسلمين ، إلا أن الفساد والفتن والمنازعات كانت تسودها ، فانتهز أكبر أثناء وجوده فى لاهور وهو يتابع تطورات كابـل ، فرصة الفوضى الضاربة فى كشمـير ، فأرسل مرزا شاه رخ وراجه بهكوانداس وشاه قلى خان محرم وغيرهم من الأمراء الكبار ليقوموا بتسخير تلك الولاية ومعهم حوالى خمسة آلاف فارس ، ولما وصلت القوات إلى ممر بهولپاس الجبلى الواقع على حدود كشمير ، رأوا أن حاكم كشمير يوسف خان قد سبقهم إلى هناك فوجدوا الطريق قد سد أمامهم ، وفى نفس الوقت بدأت السماء تمطر الأمطار والثلوج ، وانقطع وصول الغلال من الأطراف ، فمال الأمراء للصلح(١)، واغتنم يوسف خان هذه المصالحة فجاء إلى لقاء الأمراء ليصحبهم إلى أكبر الذى لم يؤيد المصالحة فمنع الأمراء من اللقاء به لعدة أيام تعبيرا عن استيائه لما قاموا بـه .

فى أوائـل شهر شعبان سنة ٩٩٥ هـ (١٥٨٧م) أرسل أكبر مجددا قوات لإخضاع كشمـير ، وكان يقود القوات فى هذه المرة محمد قاسم خان

---

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٦٨ — ٣٦٩ .
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٦ .
جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أباطرة المغول ، ص ١٠٠ — ١٠١
عبد المنعم النمـر : تاريخ الإسلام فى الهند ، ص ٢٠٦ .
إحسان حقـى : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ١٥١ — ١٥٢ .

أمير البحر والبر(١) ، كما كان يصحب هذه الحملة عدة آلاف من النحاتين الذين كانوا يتقدمون منزلا بعد منزل ويقطعون الأحجار ويقطعون الأشجار ويوسعون الطرق والمسالك(٢) ، وعندما وصلت القوات إلى حدود كشمير وجدوا أن يعقوب بن يوسف خان قد سد أمامهم ممر كرتل الجبلي ، إلا أن عددا من الأمراء الكشميريين انضموا إلى محمد قاسم خان قائد قوات أكبر ، كما رفع جمع آخر لواء المخالفة في سرى نگر عاصمة كشمير ، فاضطر يعقوب أن يعود إلى العاصمة ليقوم بإخماد الاضطرابات ، فدخلت قوات أكبر إلى كشمير دون مقاومة تذكر ، وهرب يعقوب إلى المناطق الجبلية واستولى محمد قاسم خان على سرى نگر ، كما أرسل العاملين إلى القصبات ليقوموا بإقرار النظم ، وجمع يعقوب قواته مرة أخرى وحارب محمد قاسم خان ، إلا أنه انهزم ، كما قام في المرة التالية بهجوم ليلى مباغت ، ولكنه لم ينجح ، وتعقبه الجند إلى الجبال المليئة بالأشجار والوديان الضيقة ، وكاد أن يقبض عليه ، إلا أنه أعلن ولاءه فالتقى بمحمد قاسم خان وأصبح من الموالين لدولة أكبر ، وبذلك تم إخضاع كشمير وإدخالها إلى سلطة آگره ، وأصبحت مصيفا للبادشاه وحاشيته(٣) ، ثم

---

(١) أمير البحر والبر " مير بحر وبر " كان يطلق هذا اللقب على رئيس الجمارك .

(٢) عبدالصمد : مكاتبات علامى ، ص ٢٨ .
نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٧٠ .
سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٩٥–٣٩٦ .

(٣) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٧٠ — ٣٧١ .
جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أباطرة المغول ، ص ١٠١ .

عين يوسف خان حاكما على كشمير وتمكن من إقرار النظام هناك ، كما كافأ أكبر شاه قائده محمد قاسم خان بتعيينه حاكما على كابل [١] .

في سنة ٩٩٧ هـ (١٥٨٩م) زار أكبر هذه الولاية الفاتنة وقام بالتنزه في أرض الورود — كما يسميها في رسالته إلى ملك إيران — وتابع سيره إلى أقاصي جبال كشمير وتبت ، وقضى أفراح أيام عيد الفطر هناك ، ثم توجه إلى كابل ومن هناك إلى غزنة عائدا إلى هندوستان . [٢]

---

(١) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٧ .
غلام حسين طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ١ ، ص ١٩٨ — ١٩٩ .

(٢) عبد الصمد : مكاتبات علامي ، ص ٨ ، ٢٨ .
غلام حسين طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ١ ، ص ١٩٩ .

في الوقت الذى كان لأكبر قوات تقوم بإخضاع كشمير ، كانت قوات أخرى تحارب الأفغانيين في مواطنهم الأصلية على الحدود الشمالية الغربية للهند ، وهذه منطقة تفصل ما بين ولاية كابل وغزنه من جهة والهند من جهة أخرى ، كما يقع فيها ممر خيبر ، البوابة الرئيسية لدخول الغزاة القادمين من الشمال وبعد ضم كابل ضما مباشرا إلى سلطة أكره ،عزم أكبر على إخضاع قبائل الأفغان الساكنين في هذه المنطقة ، ليؤمن دولته من غاراتهم من جهة وليؤمن الطريق إلى كابل من جهة أخرى ، خاصة أن دولة الأزابكة فيما وراء جبال هندوكوه قد استطاعت أن تقضى على حكم مرزا سليمان في بدخشان وتستولى عليها ،وبالتالى أصبح خطرهم أكثر تهديدا لسلطة أكبر في كابل .(١)

كان قد ظهر في وسط الأفغانيين شخص هندوستانى سمى نفسه پير روشنائى (٢) ، وجعل الأفغانيين مريدين له ، ولما توفى پير روشنائى في سنة ٩٨٩ هـ (١٥٨١م) ترك ابنا في الرابعة عشرة من عمره يسمى جلاله ، وعندما عاد أكبر من كابل أخذ معه جلاله المذكور ليعيش في البلاط ، ولكنه هرب بعد فترة إلى الأفغانيين ، وأصبح على رأس التمرد فيهم ،إذ جمع حوله خلقا كثيرا وسد طريق هندوستان ــ كابل ، ولما اطلع أكبر على هذه الأحداث أمر الهندوكى كنورمانسنگه في سنة ٩٩٥ هـ (١٥٨٧م) ليقوم بمحاربة هذه الطائفة

---

(١) جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أباطرة المغول ، ص ١٠٠ .
أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ، ح ٢ ، ص ٩٦ — ٩٧ .

(٢) بير روشنائى : المرشد النير .

التى سمت نفسها بالطائفة المنورة[1] ، كما كان زين خان كوكه يقود قوات أخرى لمحاربة الأفغانيين فى منطقة سواد ، وكانت أعدادهم غفيرة ، فأرسل أكبر فى الثانى من شهر صفر عام ٩٩٥ هـ (١٥٨٧م) قوات مساعدة لزين خان ، وكان فى هذه القوات راجه بيربل وشيخ فيضى وغيرهما من كبار رجالات الدولة ، وبعد أيام أرسل كذلك قوات جديدة أخرى وفيها حكيم أبو الفتح وجمع آخر من الأمراء فالتحقت هذه القوات بزين خان كوكه الذى قوى عضده بهذه القوات ، فهاجمت الأفغانيين ، وحصلت منهم على غنائم كبيرة ، إلا أنه حدث ما لم يكن يتوقع نتيجة عدم التنسيق بين زين خان كوكه والقوات الجديدة ، إذ قال قائل لراجه بيربل بأن الأفاغنة يريدون مباغتتكم فى أثناء الليل ، فلو عبرتم من الجبال الثلاثة أو الأربعة التى أمامكم ستكونون فى مأمن من مباغتتهم ، فعبر راجه بيربل الجبال مع الجند دون اتفاق وتنسيق مع زين خان ، وانتهى النهار وجاء ظلام الليل فضل الجند الطريق ووقع الكثيرون فى الوديان والخنادق فهلكوا ، كما كان الأفاغنة أيضا بالمرصاد ، فحدثت هزيمة نكراء[2] ، وهلك حوالى ثمانية آلاف شخص كما قتل أيضا راجه بيربل وجمع كثير من الأعيان ، وانهزم نتيجة ذلك أيضا زين خان كوكه وحكيم أبو الفتح فى الخامس من ربيع الأول سنة ٩٩٥هـ (١٥٨٧م) ، وانسحبوا بصعوبة إلى قلعة أتك[3] ، وغضب عليهم أكبر فحرمهم من الحضور

---

(١) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٦ .
نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٦٨ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٦٨–٣٦٩ .
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٦ .

(٣) قلعة أتك : بناها أكبر من الجص والحجر فى سنة ٩٩٠هـ بعد عودته من كابل ، لضبط الأمور فى نواحى نيلاب ، ويرى الهندوس أن العبور من نهر نيلاب ممنوع ، فسميت القلعة بأتك لأن هذه الكلمة تعنى فى اللغة الهندية المنع . (تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٤) .

لعدة أيام ، ثم عين راجه تودرمل على رأس جيش كبير ليقوم بتدارك الوضع ، فأقدم راجه ، من واقع خبرته ، إلى إحداث عدد من القلاع فى المناطق الجبلية واستطاع أن يضيق الساحة على الأفغانيين ، كما حدثت معركة أخرى بين كنورمانسنگه وأتباع جلاله فى ممر خيبر الإستراتيجى ، حيث هددوا طريق القافلة ، وانتهت المعركة بهزيمة الأفغان وقتل الكثيرين منهم[1] ، وهرب جلاله لاجئا إلى عبد الله خان أزبك زعيم الأزابكة وخصوم أكبر التقليديين ، ثم عاد من هناك فى سنة ١٠٠٠ هـ (١٥٩٢م) عازما على إثارة الاضطرابات من جديد ، وقام بسد ممر خيبر الذى يوصل الهند بكابل ، فعين أكبر أحد قواده وهو جعفر بيگ آصف خان ليقوم بمحاربته باتفاق مع محمد قاسم خان حاكم كابل ، كما كان نظام الدين أحمد الهروى[2] يتولى منصب رئاسة النفقات والخزانة فى هذه الحملة ، كما ودع زين خان كوكه أيضا فى أواخر شهر شعبان من تلك السنة ليقوم بإقرار النظام فى ولاية سواد وبجوروتيراه[3] ، ويساعد فى القضاء على تمرد جلاله وأتباعه[4] ، وفى الرابع عشر من ذى القعدة سنة ١٠٠١ هـ (١٥٩٣م) عاد زين خان كوكه وآصف خان إلى أكبر بعد أن قتلوا الكثيرين من أتباع جلاله ، كما قبضوا على حوالى

---

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٦٩ .
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٦ .

(٢) هو مؤلف كتاب " طبقات أكبرى " .

(٣) هذه المناطق من المواطن الأصلية للأفاغنة ، وهى مناطق جبلية متحصنة ، وإلى الآن يعيشون عيشة عشائرية .

(٤) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٧٥-٣٧٦ .
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٩ .

أربعمائة شخص من أهله وعياله وأقاربه وأتباعه وجاءوا بهم إلى أكبر ، وفي النهاية استطاع أكبر بحملاته المتتالية على الأفغانيين ، أن يحد من خطرهم ، حيث انقاد له أغلبهم كما قتل الكثير منهم تحت أقدام الفيلة العملاقة ، وكذلك أسر جمع آخر من هؤلاء الذين بيعوا في أسواق سمرقند وبخارى وتركستان .[1]

---

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٧٩ .
عبد الصمد : مكاتبات علامى ، ص ٩ ، ٧١ .

فى الوقت الذى كانت هناك قوات تحارب الأفغانيين فى مواطنهم الجبلية ، كانت قوات أخرى يقودها خان خانان مرزا خان ، لإخضاع السند وبلوچستان وقندهار .

استقر أكبر بمدينة لاهور ببنجاب لعدة سنوات ، وفى خلال هذه المدة لم يقم جانى بيگ حاكم تهتهه (١) بزيارة أكبر حتى يظهر خضوعه له ، فقرر أكبر إخضاعه بالقوة ، وعين لإجراء هذا الأمر خان خانان مرزا خان فى شهر ربيع الثانى سنة ٩٩٩ هـ (١٥٩١م) ومعه جمع من الأمراء الكبار من أمثال شاه بيگ خان كابلى وفريدون برلاس وسيد بهاء الدين بخارى ، يصاحبهم أعداد كبيرة من الفيلة وعدد من المدفعية (٢) ، ووصل خان خانان إلى قلعة سهوان فحاصرها ، ثم علم أن جانى بيگ ومعه ملاك الأراضى فى تلك الولاية فى طريقهم إليه بسفن كثيرة ، كما توجد عندهم المدفعية ، فترك الحصار وتقدم إلى الأمام حتى وصل إلى نصير پور على بعد سبع كروهات بين الفريقين ، فأرسل جانى بيگ جميع سفنها التى كان يتجاوز عددها المائة ، كما كانت هناك حوالى مائتا سفينة مشحونة بالرماة والمدفعيين ، وعلى الرغم من أن خان خانان لم يكن يملك أكثر من خمس وعشرين سفينة ، إلا أنه استمر فى الاشتباكات مع قوات جانى بيگ ، ولقد

---

(١) تهتهه : اسم آخر لولاية السند .

(٢) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٧٤ .

محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٧ .

سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٤١٤ .

Ishwari Prasad : A Short History of the Muslim Rule in India, P. 250.

تعسرت أحوال جند خان خانان بسبب قلة المؤن والغلال وإطالة مدة الحصار فكتب عن الأوضاع إلى أكبر الذى أسرع بإرسال الغلال والمؤن من لاهور إلى ملتان على ظهر السفن ، كما أرسل قوات جديدة ، وإمدادات نقدية وعينية ومدافع ثقيلة (١) ، وبعد وصول هذه القوات شدد خان خانان على حملاته المتوالية على قوات جانى بيگ الذى اضطر إلى الانسحاب ، فاستولى خان خانان على قلعته التى كان قد بناها فى موقع تحيطه المياه ، كما قتل حوالى مائتى شخص من جنود جانى بيگ المحمولين على السفن ، واستولى خان خانان كذلك على سبع سفن منها ، وهدم القلعة ، وحدث هذا النصر فى ربيع الثانى من عام ١٠٠٠ هـ (١٥٩٢م) ، ثم لم يتمكن جانى بيگ من الاستمرار فى المقاومة إذ حدث وسط جنوده ضيق شديد ، بحيث كان أنصاره يقومون بأكل خيولهم وجمالهم ، كما كان يقتل منهم فى كل يوم الكثيرون بضرب المدفع والبندقية ، وفى نفس الوقت كان مرض الوباء قد انتشر بينهم ، فاضطر جانى بيگ إلى الصلح . (٢)

---

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٧٥ .
غلام حسين طبا طبائى : سير المتأخرين ، ج ١ ، ص ٢٠٢ .
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٨ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٦٨ .
نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٧٧ .
غلام حسين طباطبائى : سير المتأخرين ، ج ١ ، ص ٢٠٢ .

يبدو أن أكبر كان موفقا في نشر الإشاعات والدعايات لصالحه ، إذ في الوقت الذى أصيب الناس في ولاية تهتهه بوباء عظيم ، أشيع في أوساط الأهالى بأن هذا الوباء جاء نتيجة لسوء نيات حكام الولاية وسوء أعمالهم ، فلو خضعت الولاية لسلطة أكبر وراجت فيها سكته سيزول الوباء عن الناس، وباشتهار هذه الشائعة أصبح الناس يدعون لجنود أكبر بالظفر ، وعلى أية حال لقد قبل خان خانان المصالحة مع جانى بيگ الذى تعهد بالولاء لدولة أكبر ، كما زوج بنته لابن خان خانان الأكبر ، ثم جاء في سنة ١٠٠١هـ(١٥٩٣م) إلى ملازمة أكبر الذى رقاه إلى منصب سه هزارى (١) ، كما أعاده إلى تلك الولاية ليقوم بتصريف أمورها (٢) ، وبذلك تم إخضاع ولاية السند ، كما سهل فتح هذه الولاية الاستيلاء على بلوچستان وإعادة قندهار إلى سلطة الدولة ، اذ أمر خان خانان أن يسرع للاستيلاء على قندهار التى تعتبر بوابة أخرى للدخول إلى الهند من حدود إيران ، وكانت بلوچستان على طريق الوصول إلى قندهار فنصح أكبر قائده الكبير خان خانان بأن يحاول استمالة زعماء البلوچ ، فان أبوا الطاعة يحاربهم أولا ثم يوالى سيره إلى قندهار، إلا أن خان خانان نجح في

---

(١) سه هزارى : قائد الوحدة التى تتكون من ثلاثة آلاف جندى .
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ،ج ١ ، ص ٢٦٨ .

(٢) غلام حسين طباطبائى : سير المتأخرين ،ج ١ ، ص ٢٠٢ — ٢٠٣ .
عبد الصمد : مكاتبات علامى ، ص ٨ — ٩ .
جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أباطرة المغول ،ص ١٠١ .
عبد المنعم النمر : تاريخ الإسلام فى الهند ، ص ٢٠٦ .

السيطرة على بلوچستان دون معارك تذكر ، ثم تقدم إلى قندهار حيث كـــان حاكمها مظفر حسين مرزا (١) بانتظاره ، إذ تولى عرش ايران شاه عباس الأول ، فخاف من سطوته كما لم يكن مطمئن البال من ناحية الأزابكة الذين كانـــوا يواصلون معاركهم ضد الصفويين ،فاستنجد بأكبر(٢) ، الذى أنجده ليســترجع قندهار إلى ملكه من جديد وليقطع امتداد نفوذ خصومه الأزابكة إليها أيضـــا ، وهكذا أعيدت قندهار إلى حوزة الممالك الهندية دون قتال ، مستغلا فى ذلـك المنازعات الموجودة داخل الحكام الصفويين .

هكذا تم لأكبر إخضاع الهند الشمالية والوسطى ، وأصبحت دولته قبـــل أن ينصرم القرن العاشر الهجرى ، دولة متسعة الأرجاء ، امتدت من أوريسة آخر حدود بنگاله شرقا وإلى گجرات والسند وقندهار غربا ، ومن جبال هطاليا فى الشمال إلى نهر نربدة فى الجنوب ، كما اتسعت فى الشمال الغربى إلـــى كابل وجبال هندوكوه (٣) واطمأن أكبر بعد ذلك على دولته بعد أن أمن أبواب الهند ، فترك لاهور متوجها إلى حدود الدكن فى الجنوب ليحاول إدخاله أيضا الى دولته .

---

(١) مظفر حسين مرزا : هو ابن بهرام مرزا شقيق شاه طهماسب الصفوى .

(٢) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ،ج ١ ، ص ٢٦٩ .
عبدالصمـــــد : مكاتبات علامى ،ص ٩—١٠ .
جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أباطرة المغول ،ص ١٠١—١٠٢ .
أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ، ج ٢ ،ص٩٧

(٣) المصدر نفســـه : ج ٢ ،ص ٩٧ .
عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام فى الهند ،ص ٢٠٦ .

كانت السلطنة البهمنيـة (١) تحكم دكن منذ منتصف القرن الثامن الهجـرى (الرابع عشرالميلادى) إلى أن ضعفت فى أواخر القرن التاسع للهجرة (الخامس عشر للميلاد) وقام على أنقاضها خمس إمارات يرأس كل واحدة منها أمير من أمراء السلطنة المتغلبون ، ومنها الإمارة البريدية التى كانت سباقة فى اغتصاب السلطة والتغلب على السلطان البهمنى ، وفى سنة ٩٣٢ هـ(١٥٢٦م) ولما علم شاه كليم الله البهمنى ، آخر سلاطين الأسرة البهمنية بأن بابر شاه قد استولى على دهلى ، أرسل إليه أحد مقربيه يستنجد به فى استخلاصه من أمرائه المتغلبين ، الذين سيطروا على أطراف دكن وجوانبها ولم يتركوا له من السلطنة إلا الاسم ،ووعد كليم الله البهمنى لبابر شاه ، بأنه لو أنقذه من هذه الحالة ،فسيقدم له إمارة برار من الإمارات الدكنية ، ولكن بابر شاه لم يعط لهذا العرض أى اهتمام لأنه لم يكن قد فرغ من تمكين دولته فى الهند بعد ، ولأن گجرات وغيرها من الإمارات كانت تحول بينه وبين ما أراده السلطان كليم الله ، الذى توفى فى أحمد نگر فى سنة ٩٣٤هـ(١٥٢٨م) وبوفاته انتهت السلطنة البهمنية من الوجود وخلفتها إمارات خمس هـى :

العادلشاهية نسبة إلى مؤسسها يوسف عادلشاه وعاصمتها بيجاپور ، والنظام شاهية نسبة إلى مؤسسها نظام الملك بحرى وعاصمتها أحمد نگر ، وقطب شاهية نسبة إلى مؤسسها سلطان قلى قطب الملك وعاصمتها گلكنده ، وعماد شاهية نسبة إلى مؤسسها فتح الله عماد الملك وعاصمتها برار ، وبريد شاهية نسبة إلى مؤسسها قاسم بريد وعاصمتها بيدره (٢)

---

(١) نسبة إلى مؤسسها السلطان علاؤالدين حسن كانكوى بهمنى (٧٤٨-٧٥٩هـ)

(٢) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ،ج ١ ، ص ٣٧٦.

إحسان حقى : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ١٥٣.

باستيلاء أكبر على كابل وكشمير والسند وبلوچستان وقندهار، تم إخضاع الهند الشمالية، وأصبحت دولته دولة قوية مترابطة، سمحت له بأن يولى اهتمامه إلى الجنوب ليضم إلى دولته الدويلات الحاكمة فى دكن، ولكن قبل هذا وأثناء انشغال أكبر بفتوحاته فى گجرات وبنگاله وغيرها، كانت هناك اتصالات بينه وبين حكام دكن، وكان يحاول من خلال تبادل الرسل والرسائل أن يستطلع عن الأوضاع فى دكن وأن يكسب ولاء حكامها بالطرق السلمية (١).

ففى سنة ٩٨١هـ (١٥٧٣م) رجع مبعوثه مير محسن رضوى من دكن حاملا معه الهدايا التى أرسلها إليه هؤلاء الحكام (٢)، وفى سنة ٩٨٦ هـ (١٥٧٨م) عاد حكيم عين الملك من دكن الذى كان مبعوثا إلى على عادلشاه حاكم بيجاپور، وقد ضمه فيلة ممتازة وتحفا وهدايا نفيسة إلى أكبر شاه (٣)، كما كان حكام دكن يرسلون إلى أكبر هدايا وتحفا بصحبة مبعوثيهم وفى كل سنة (٤).

فى سنة ٩٩٢هـ (١٥٨٤م) حدث تطور مهم فى العلاقات بين دولة أكبر وبين دكن إذ أصبحت دولته ملجأ للخارجين على سلطة أحمد نگر، ففى هذه السنة لجأ إلى أكبر برهان الملك شقيق مرتضى نظام الملك حاكم أحمد نگر، بعد أن جمع حوله عدة آلاف من الأنصار وحارب بهم قوات أخيه، إلا أنه انهزم وبقى لمدة سنتين فى أحمد نگر متنكرا فى هيئة الدراويش، ومخططا لاغتيال صلابت خان قائد قوات أخيه ولكن خطته فشلت إذ قبض على أنصاره فاضطر إلى اللجوء إلى گجرات عند قطب الدين خان أحد أمراء أكبر، ومن هناك استدعى إلى العاصمة (٥)
وفى هذه السنة لجأ إلى أكبر أيضا بعض من كبار الأمراء فى إمارة

(١) جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أباطرة المغول، ص ١٠٢.
(٢) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى، ص ٣١٢.
(٣) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته، ج٢، ص ٤٧.
(٤) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى، ص ٣٤٢- ٣٤٤.
(٥) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته، ج٢، ص ١٥٢.
إحسان حقى : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية، ص ١٦١.

أحمد نكَر وفي مقدمتهم سيد مرتضى وخداوند خان ، اللذين ثارا على صلابت خان قائد قوات أحمد نكَر فحارباه ولكنهما انهزما وهربا إلى أكبر عن طريق كَجرات فأصدر أكبر أوامره إلى خان أعظم عزيز كوكه الذى كان فى ذلك الوقت حاكما على مالوه ، بأن يقوم لمساعدة هؤلاء فيخضع إمارة برار لهم ثم يقوم بإخضاع الممالك الدكنية لبرار ، ولقد صاحب هذه الحملة سيد مرتضى وخداوند خان وبرهان الملك وسائر الأمراء الدكنيين اللاجئين إلى أكبر ، كما اشترك فى الحملة جند مالوه ومعهم المدفعية وثلاثمائة فيل ، ولقب مير فتح الله شيرازى بعضد الدولة وأرسل ليدبر الأمور فى دكن (١) ، ولما وصلت القوات إلى هندية الواقعة على حدود دكن ، عقد اجتماع بين الأمراء المشاركين فى الحملة ، ولكن الاجتماع باء بالفشل ، نتيجة خصومات بين أعظم خان وشهاب الدين أحمد خان ، وحاول عضد الدولة مير فتح الله شيرازى أن يزيل الاختلافات ولكنه لم يفلح ، فتوقفت القوات فى هندية لمدة ستة شهور حتى ترك شهاب الدين الاشتراك فى الحملة وعاد إلى إقطاعيته فى راى سين (٢) ، ولما شاهد راجى عليخان حاكم أسير وبرهانپور الخلاف الموجود فى قوات أكبر ، انضم الى جند دكن واستعدوا للمواجهة وحاول عضد الدولة كثيرا أن يكسب ولاء راجى عليخان ولكنه لم يتمكن من ذلك ، فرجع وتوجه إلى كَجرات للاستمداد بخان خانان (٣) ، إلا أن موسم الأمطار قد قرب ، فكتب أعظم خان إلى خان خانان يشعره بإيقاف العمليات فى هذه

---

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٦١ – ٣٦٢ .
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٥ ، ج ٢ ، ص ١٤٤ .

(٢) هى ولاية خانديس الواقعة على حدود دكن ، التى تشكل الطريق الى أحمد نكَر .

(٣) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٥ .

السنة ، وأن يتوجها إلى دكن فى السنة القادمة ، فرجع أعظم خان إلى ولايته فى مالوه كما رجع راجى عليخان والد كنيون إلى أماكنهم ، وهكذا فشلت أولى حملة مسلحة على دكن ، نتيجة الخلاف بين أمراء أكبر من جهة ونتيجة استعداد الدكنيين لدفع الحملة من جهة أخرى .[١]

بعد فشل هذه المحاولة حدثت تطورات فى إمارة أحمد نگر ، استدعت التدخل من جانب أكبر فى شؤونها ،إذ قتل مرتضى نظام شاه حاكم أحمد نگر بواسطة ابنه ميران حسين فى الثامن عشر من شهر رجب سنة ٩٩٦هـ(١٥٨٨م) وخلفه على عرش أحمد نگر ذلك الابن القاتل[٢] الذى قتل هو أيضا بعد شهرين وثلاثة أيام بواسطة قواده المتغلبين ، وخلفه على عرش أحمد نگر إسماعيل بن برهان الملك الذى كان فى الثانية عشرة من عمره[٣] ، ولما اطلع أكبر على هذه التطورات أحضر إليه برهان الملك الذى كان فى إقطاعيته فى بنكش الواقعة على حدود ولاية كابل ، وأبلغه بأنه هو الوارث الحقيقى لعرش أحمد نگر ، فليبادر إلى عزل ابنه ، ووعده بأن يضع تحت تصرفه القوات اللازمة لإنجاح هذا العمل ، وعرض عليه برهان الملك بأنه لو صاحبه الجيش البادشاهى إلى دكن فسيتوحش أهالى دكن منه ، ويتمردون عليه ، وطلب أن يتوجه إلى هناك بمفرده ويحاول استمالتهم

---

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٦٢.
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ١٤٥.
إحسان حقى : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ١٦١.

(٢) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ١٤٧.

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٤٨ — ١٥٠.

باللاطفة واللـــين ، فقبـل أكبر هذا العرض على شرط أن يتنازل له برهان الملك عن ولاية برار ، بعد أن تمكن من الاستيلاء على عرش آبائه ، فقبل برهان الملـك هذا العرض ، وتحرك إلى دكن ونزل فى بلدة هندية الواقعة على حدود دكـن والتى أقطعت له من قبـل أكبر ، كما كتب الباد شاه إلى راجى عليخان حاكـم خانديس ،بأن لا يقصر فى مساعدة برهان الملك (١) ، وبعد اتصالات ، تعهـد ملاك الأراضى فى ولاية نظام شاه (٢) وزعماؤها بالطاعة والانقياد لبرهان الملـك طالبين قدومه إليهم ، فدخل برهان الملك إلى ولاية برار مع جمع معدود مـن الغرسان والمشاة ، ولكن جهانگير خان حبشى الذى كان من أمراء الحـدود ، ندم من عهده لبرهان الملك فقام بمحاربته حيث هزمه وأجبره إلى العودة إلى بلدة هندية ، فكتب إلى راجى عليخان يستشيره فيما استجد من الأمر ، فرد عليه حاكم خانديس بأنه ليس بمقدوره أن يجهز جيشا يتمكن من محاربة جمال خان الذى كانت بيده السلطة الفعلية فى أحمد نگر ، وكذلك لا يستحسن الاستنجاد بأكبر شـاه ، خوفا من غضب حكام الدكن عليه وانضمامهم إلى جمال خان ،وفى مثل هذه الحالة يطول الأمر فلا يتصور انتهاؤه خلال عشر سنوات وأكثر ، ونصحه حاكم خانديـس بأن يطلب فى هذا الأمر مساعدة إبراهيم عادلشاه الثانى حاكم بيجاپور ، وعمـل برهان الملك بهذه النصيحة ، وفى النهاية استطاع (٣) بمساعدة من حاكم بيجاپور

---

(١) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ١٥١ .

(٢) هى ولاية أحمد نگـــر .

(٣) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ،ج ٢ ، ص ١٥١ .
سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٤٢٣ .

وحاكم خانديس ، أن يقتل جمال خان في معركة وقعت بين الجانبين في شهر رجب من عام ٩٩٩هـ (١٥٩١م) كما اعتقل فيها ابنه اسماعيل فجيء به إليه ، وبذلك تمكن برهان الملك من الجلوس على عرش أحمد نكَر ، إلا أنه تناسى سابق عهده مع أكبر شاه فلم يلتزم بما وعده .

بعد أن اطمأن أكبر على الأوضاع في الشمال ، بدأ يهتم في التوجه إلى الجنوب ، وحاول من جديد أن يكسب له ولاء حكام دكن بالطرق الدبلوماسية فعين في سنة ٩٩٩هـ (١٥٩١م) أربعة مبعوثين إلى حكام دكن الأربعة : ملك الشعراء الشيخ فيضي إلى راجي عليخان حاكم أسيروبرهانپور ، وخواجه أمين الدين إلى برهان الملك حاكم أحمد نكَر ، وميرمحمد أمين مشهدي إلى ابراهيم عادلشاه الثاني حاكم بيجاپور ، ومرزا مسعود إلى قطب الملك حاكم كَلكَنده ، وأمر الشيخ فيضي أيضا بأن يتقابل مع برهان الملك بعد أداء مهمته مبعوثا لدى راجي عليخان (١) ، وأتبع أكبر بعد هذا بارسال ابنه الأمير مراد حاكما على ولاية مالوه المتاخمة لدكن ، وكان هؤلاء المبعوثون يحملون رسائل من أكبر إلى حكام دكن المذكورين ، تحتوي على الوعد والوعيد في سبيل كسب ولائهم ويشير أكبر في رسائله إلى فتوحاته التي تمت بالنجاح ثم أبقى بعدها على الحكام الذين سلكوا في النهاية طريق الولاء والطاعة ، كما يؤكد في رسائله بأن

---

(١) نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبري ، ص ٣٧٤ .
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٧ .
سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٤٢٤ .

((السلاطين العظام الذين يسعون لتسخير العالم والعالمين ، لا يريدون من حكام الديار وولاة الأمصار إلا الإخلاص والطاعة)) (١) ، وأخذ أكبر في رسالته إلى برهان الملك حاكم أحمد نگر يذكره بسابق أيامه حيث كان لاجئا إليه ،ويخاطبه في رسالته إليه كأنه يخاطب أحد ولاته ، ويطلب منه أن يعمل لانتظام الأمور في ولايته ، وأن يقوم بترويج قوانين أكبر هناك كما هي سارية في دولته ، وكذلك أخذ أكبر يذكر له بأنه لو لم يسلك حكام دكن الآخرون طريق الطاعة والولاء له ، ((وتخيلوا بعد المسافة حصنا حصينا)) (٢) فسيكون جميع بلادهم من نصيبه هو.

لم تنجح الرسائل الطويلة التي أرسلها أكبر إلى حكام دكن بصحبة مبعوثيه في التأثير على هؤلاء الحكام وكسب ولائهم ، فرجع المبعوثون إلى أكبر معلنين له فشلهم في مهماتهم ومقدمين له تقارير عن الأوضاع في دكن ، فعزم أكبر على إخضاع دكن بالقوة (٢) ، وعين في الواحد والعشرين من شهر محرم سنة ١٠٠٢هـ(١٥٩٣م) ابنه الأمير دانيال على رأس قوة قوامها حوالي سبعين ألفا من الفرسان ، وكان يصاحب الأمير أيضا أمراء كبار من أمثال خان خانان مرزا عبدالرحيم وراى رايسنگه وحكيم عين الملك وأمراء مالوه

(١) عبدالصمد : مكاتبات علامى ، ص ٧٢ ، ٧٦.

(٢) المصدر نفسه ، ص ٧٧.

(٢) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٧٩.

محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٩.

وإقطاعيي ولايتي أجمير ودهلي ، وبعد أن تحرك الجند من لاهور ووصل إلى سلطانپور على بعد خمسة وثلاثين كروها من لاهور ، تغير رأى أكبر فى من يتولى قيادة هذه القوات ،فاستدعى ابنه وكلف بهذه المهمة خان خانان.(١)

فى نفس الوقت حدثت تطورات فى داخل دكن ،إذ توفى برهان الملك حاكم أحمد نگر فى شهر شعبان سنة ١٠٠٣ هـ(١٥٩٥م) وأصبح بعده عرش أحمد نگر محل نزاع بين أمرائها الذين تنازعوا حول من يجلسونه على العرش، ولقد خلف برهان الملك ابنه ابراهيم نظام شاه الذى قتل بعد أربعة أشهر ، فى معركة وقعت بينه وبين حاكم بيجاپور ، ثم أجلس ميان منجو(٢) على عرش أحمد نگر المسمى أحمد شاه الذى كان فى الثانية عشرة من عمره وأشاع بين الأهالى بأنه من أسرة نظام شاه ، ولكن الأمراء الكبار رأوا أن أحمد شاه أجنبى وليس من سلالة الملوك ، وحوصر ميان منجو وأنصاره فى قلعة أحمد نگر بواسطة المولدين والأحباش ، فساءت أوضاعهم ، واستنجد ميان منجو بسلطان مراد بن أكبر شاه الذى كان حاكما على گجرات ، ثم عين على مالوه القريبة من دكن ، ولما كان سلطان مراد مأمورا بتسخير أحمد نگر من قبل أبيه وكان يتحين الفرص لبى ذلك النداء دون تريث ، فتحرك بجيشه ومعه خان خانان إلى أحمد نگر(٣) ،

---

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٧٩ — ٣٨٠.
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٩.

(٢) هو كبير أمراء أحمد نگر والوصى على عرشها.

(٣) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ،ج ٢ ، ص ٩٠ ، ١٥٩.
جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أباطرة المغول ، ص ١٠٣

وبعد أن وصل إلى تلك الحدود طلب من ميان منجو أن يلتقى به وأن يسلم له القلعة ، ولكن ميان منجو حارب مخالفيه فى يوم السبت الخامس والعشرين من شهر المحرم عام ١٠٠٤هـ وقبل قدوم الأمير وغلب عليهم ، وندم لاستنجاده بالأمير مراد ، وامتنع عن تلبية مطالبه ، وملأ القلعة حسب طاقته بالغلال والمؤن والخيل والحشم وأعطى حراستها لأنصار خان الدكنى ، وبدأ هو فى تجميع الجند والإمدادات ولكن كان قد فات الأوان حيث لم يكن أحد يستمع لأحد ، وكان رعايا إمارة نظام شاه قد تفرقوا إلى ثلاث فرق ، كل واحدة منها تنادى بأن يكون عرش أحمد نكر لرجلها المفضل ، وكان زعماؤهم يرون تصفية بعضهم البعض أولا ومحاربة جيش المغل ثانيا (١) ، وتدخل حاكم بيجاپور إبراهيم عادلشاه الثانى وعمل لإزالة الخلافات الموجودة بين أمراء أحمد نكر ، وقال لهم ان ما يريدونه من تصفية بعضهم البعض أولا ، لا يمكن أن يتيسر فى وقت قصير ، وهناك خوف من أن يستنجد المغلوب بجيش المغل ، فيستحسن أن تتحدوا وتطردوا جيش المغل أولا ، ثم يبدأ البحث عمن يكون أهلا لتولى العرش ، فوافق الجميع على هذا الاقتراح ، وأرسلوا متفقين رجالهم إلى بيجاپور طالبين المساعدة ، وفى نفس الوقت كانت چاند بى بى شقيقة برهان الملك وزوجة على عادلشاه حاكم بيجاپور السابق موجودة فى قلعة أحمد نكر ، وأرسلت هى الأخرى تطلب مساعدة حاكم بيجاپور فى محاربة المغل (٢) ، وقد وافق إبراهيم عادلشاه على هذا الطلب

---

(١) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ٩٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٩١ ، ١٦٠ .

وأمر قائد جيشه سهيل خان ، أن يتوجه لمساعدة أمراء أحمد نكَر على رأس جيش قوامه ثلاثون ألفا من الفرسان ، كما كتب إلى أمراء أحمد نكر ، أن يعدوا قواتهم وأن يلتقوا بسهيل خان فى شاه درك الواقعة بين أحمد نگر وبيجاپور ، وأن يتحركوا من هناك إلى الجهة المقصودة بكامل الاتفاق والوفاق فالتحقت الجيوش فى شاه درك كما انضم اليهم أيضا مهدى قلى سلطان على رأس جيش تلنگ (١) بأمر من محمد قلى قطب شاه حاكمها ، وهكذا أصبح الدكنيون يقاومون المغل بجيش موحد ((وأصبحت الجبال والصحراء لا تتسع لكثرة جيوشهم)) (٢)

بعد أن علم الأمير مراد توحيد جيوش دكن واجتماعهم فى شاه درك وأنهم فى الطريق اليهم ، استشار مع أتابكه صادق محمد خان وكبار أمرائه ، فاتفقوا أن يعملوا للفتح قلعة أحمد نكَر قبل وصول جيش دكن إليها ، فبدأوا بحفر النقب وكان الأمير مراد وأتابكه فى خلاف مع خان خانان ، فلم يطلعاه على هذه الإجراءات ، ولم يستشيراه حتى يكون الفتح باسمهما ، فتم تمديد خمسة أنقاب إلى جدران القلعة ، وجوفوا جدران القلعة فى خمسة مواضع وملأوها بالباروت والمتفجرات ، وذلك فى ليلة الجمعة غرة شهر رجب سنة ١٠٠٤هـ (١٥٩٦م)

---

(١) هى الإمارة التى أسسها سلطان قلى قطب الملك أحد أمراء السلطنة البهمنية فى سنة ٩١٨هـ ، كما يسمى حكامها باسم حكام گلكنده عاصمة الإمارة .

(٢) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ١٩١ ، ١٦٠ .

وتقرر أن يفجروها بعد صلاة الجمعة (١) ، ولكن خواجه محمد خان شيرازى الذى كان فى جيش الأمير مراد أشفق على سكان القلعة فأسرع إليهم فى ظلام الليل وعرفهم عن مواضع الأنقاب وما يدبره ضدهم جيش المغل ، فأمرت چاند بى بى الصغار والكبار بأن يبحثوا عن مواضع النقب فى أركان القلعة ، واستطاعوا أن يكتشفوا النقبين حتى ظهر الجمعة ، فأخرجوا البارود منهما ، واستمروا فى البحث عن الأنقاب الأخرى ، وفى نفس الوقت قام الأمير مراد وصادق محمد خان بتعبئة القوات بانتظار ارتفاع صوت المتفجرات ثم الهجوم إلى القلعة عن طريق الفتحات التى سوف تتركها الانفجارات وكل ذلك بدون علم من خان خانان حتى لا يتم الفتح باسمه . (٢)

وصلت قوات المغل بأمر من الأمير مراد إلى مقربة من القلعة بالخيل والحشم والطبل والعلم ، ثم أمر الأمير مراد بإشعال النار فى الأنقاب ، وكان أهالى القلعة قد وجدوا النقب الثالث الذى كان أكبر الأنقاب ، وكانوا يخرجون البارود منه ، إذ فجرت الأنقاب المتبقية وتصاعدت على إثره أعمدة من الدخان والأتربة ، ودمرت جدران القلعة بقدر خمسين ذراعا ، وهلك تحت الأنقاض جمع من الذين كانوا يقومون بحفر الأنقاب ، وهرع الآخرون باحثين عن أماكن ، يختبؤون فيها ، إلا أن چاند بى بى فور أن اطلعت على هذه الحادثة

---

(١) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ١٦٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٦١ .

جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أباطرة المغول ، ص ١٠٣ .

المروعة ، لبست البرقع وتسلحت وحملت سيفها حافية ، وتوجهت مع جمع من أعوانها إلى الفتحة التى تركها الانفجار ،ولما رأى الآخرون شجاعتها خرجوا من مخابئهم والتحقوا بها للدفاع عن الفتحة .(١)

لم يكن الأمير مراد وصادق محمد خان وسائر أمراء المغل يعرفون حقيقة تخلية الأنقاب الأخرى من المتفجرات ،فكانوا ينتظرون تفجير سائر الجدران فسنحت الفرصة للمحاصرين بداخل القلعة أن يقوموا بنصب المدفعية وسائر وسائل الدفاع على الفتحة ،ولم يسمحوا للمغل أن يترددوا حول القلعة حتى جاء الليل واستطاعوا فى ظلامه أن يعيدوا بناء الجدران من جديد ، حيث رفعوها إلى ثلاثة أذرع ، وكانت چاند بى بى تثير الحماس فى أهالى القلعة ولما يئس المغل من اشتعال النار فى الأنقاب المتبقية ، هاجموا القلعة بأمر من الأمير مراد ، وحدثت بين الطرفين معركة شديدة ، وكانت چاند بى بى تتفقد الأبراج والفتحة التى تركها الانفجار ، محرضة الجنود بأن يستبسلوا فى الدفاع عن قلعتهم ، ولقد دامت المعركة من الثلث الأخير من النهار وحتى غروب الشمس ، ولم يستطع المغل تسخير القلعة ، إضافة الى أنهم تكبدوا خسائر جسيمة فى الأرواح ، فانسحبوا فى الليل إلى أماكنهم مشيدين بشجاعة چاند بى بى التى اشتهرت بعد ذلك بچاند سلطان (٢) .

---

(١) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ،ج ٢ ، ص ٩٢ ، ١٦١ .
جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أباطرة المغول ، ص ١٠٣ .

(٢) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ،ج ٢ ، ص ١٦١ .
عبد المنعم النمر : تاريخ الإسلام فى الهند ، ص ٢٠٨ .
أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ،ج ٢ ، ص ٩٨ — ٩٩ .
جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أباطرة المغول ، ص ١٠٣ .

بعد أن لم تثمر محاولات الأمير مراد فى الاستيلاء على القلعة وبعد أن عرف الأمير أن جيش دكن الموحد فى طريقه إلى أحمد نكر بقيادة سهيل خان قائد قوات بيجاپور ، وخاصة بعد أن طلبت چاند سلطان قدوم هذه القوات على وجه السرعة ، وكذلك بعد أن تجاوز القحط حدوده فى جيش المغل ، عقد أمراء أكبر شاه مجلس الاستشارة ، فاقترح خان خانان مرزا عبد الرحيم التوجه إلى برار والعمل لتسخيرها ، ثم يتحينوا الفرص لفتح قلعة أحمد نكر ، فوافقه على هذا الرأى الأمير مراد وجميع الناس الذين كانوا يعانون من فقدان ضروريات المعاش، وقبل أن يعطوا لإخضاع برار عنوة ، طرقوا مع چاند سلطان باب المذاكرة والمصالحة ، بتدبير من مرتضى خان الذى كان قائدا لجيش برار فى عهد مرتضى نظام شاه ، ثم لجأ إلى أكبر وأصبح منتظما فى سلك أمرائه (١) ، ورأت چاند سلطان بادئ الأمر اضطرار جيش المغل فأبت الصلح ، ولكن تغير رأيها بعد ذلك ولم تر حلا فى الحرب ، ورضيت بالصلح بدون علم من أمراء دكن ،بل وبدون علم من أمرائها هى ، وعين فريق من الجانبين لعقد العهد ، فتقرر أن يكون من

---

(١) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ٩٢ ؛ ١٦٢ .
عبد المنعم النمر : تاريخ الإسلام فى الهند ، ص ٢٠٨ .
جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أباطرة المغول ، ص ١٠٣ .

نصيب الأمير مراد ما كان تحت تصرف تغالخـــان (١) فى ولاية برار، وتكون بقية الممالك من قلعة مهور الى ميناء چپول ومن پرنده إلى دولت آباد وحدود كجرات لحاكم أحمد نكَر ، وأكد الجانبان هذا العهد بأحلاف غلاظ كما كتبوه وختموه بالخواتـم.

لما وصل سهيل خان مع جيش دكن على بعد ست كروهات من أحمد نكَر علموا بنبأ مغادرة جيش المغل بعد أن تم بينهم وبين چاند سلطان الصلح كما استدعت چاند سلطان ،بهادر شاه بن إبراهيم شاه الذى كان قد وضع فى السجن بأمر من ميان منجو ، فأجلسته على عرش أحمد نكَر وهو فى السنة الرابعة من عمره ، وأراد ميان منجو أن يصر على أن يكون عرش أحمد نكَر من نصيب أحمد شاه

---

(١) كان تغالخان من كبار أمراء ولاية برار الذى تغلب على حاكمها الطفل برهان عماد الملك ، وحبسه فى بيته ، وقام بتصريف أمور الولاية بكامل الحرية وكأنه هو الحاكم لها ، وفى سنة ٩٩٨هـ هاجم مرتضى نظام شاه حاكم أحمد نكَر على ولاية برار لضمها إلى ولايته وبحجة أنه يعمل لإنقاذ أميرها برهان عماد الملك من قبضة تغالخان ، ولقد انهزم تغالخان واستنجد بأكبر شاه قائلا له : بأنه من الموالين له وأنه قرر تقديم ولاية برار هدية له ، فليبادر إلى الاستيلاء عليها قبل أن يستولى عليها حكام دكن ، الا أن أكبر شاه كان مشغولا بأوضاع بنكَاله فلم يتمكن من تلبية دعوة تغالخان الذى قبض عليه حاكم أحمد نكَر وقتله وضم منذ ذلك الوقت ولاية برار إلى ولاية أحمد نكَر ،ومن هنا كان أكبر شاه يدعى فى المذاكرات وتبادل الرسائل بأن له حق تاريخى فى ولاية برار.

(تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ١٣٥ — ١٣٧).

إلا أن حاكم بيجاپور منعه من ذلك واستدعاهما إلى عاصمته وأقطعهما هناك ، كما عادت جيوش دكن إلى أماكنها ، كما توجه إلى برار الأمير مراد وخان خانان في أوائل شهر شعبان سنة ١٠٠٤هـ(١٥٩٦م) .(١)

لم تشهد أحمد نكر الاستقرار ، إذ بدأت المنازعات بين أمرائها ، فاستغلها خان خانان واستولى على بعض المناطق في خارج ولاية برار ، وبذلك نقض العهد الذي تم بينهم وبين چاند سلطان التي استنجدت مرة أخرى بحاكم بيجاپور ، فكلف سهيل خان من جديد ليقود قوات دكن ضد المغل ، كما اشتركت معهم أيضا قوات من إمارة تلنگ بقيادة مهدي قلي سلطان ، ووصل جيش دكن إلى برار في شهر جمادى الثانية سنة ١٠٠٥ هـ(١٥٩٧م) ، ووقعت معركة شديدة بين الجانبين انتهت بهزيمة جيش دكن تاركين غنائم كبيرة لقوات خان خانان ، كما قتل فيها راجي عليخان حاكم خانديس الذي كان قد أعلن ولاءه لأكبر ، وعمل خان خانان لتقوية استحكاماته في برار وفتح قلاعها ، إلا أن الأمير مراد وصادق محمد خان أصرا بأن تتوجه القوات لفتح أحمد نكر ، ولكن خان خانان أصر بأن يقضوا هذه السنة في برار ، ثم يتوجهوا إلى أحمد نكر في السنة القادمة ، فأرسل الأمير إلى أبيه عرائض تشكو فيها عن خان خانان الذي استدعاه أكبر في سنة ١٠٠٦هـ(١٥٩٨م) وأرسل الشيخ أبا الفضل خلفا له في قيادة القوات الموجودة في دكن ، إلا أنه لم يوفق فيما وفق فيه خان خانان ، وفي نفس الوقت

---

(١) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ٩٢ ، ١٦١ .
أحمد محمود الساداتي : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ، ج ٢ ، ص ٩٨ .

توفى الأمير مراد فى شوال سنة ١٠٠٧ هـ(١٥٩٩م) نتيجة إدمانه الخمر [1] ، فقرر أكبر شاه تعيين خان خانان ، قائدا على القوات العاملة فى دكن ، كما زوج بنته جانان بيكم إلى الأمير دانيال أصغر أبناء السلطان ، وأرسلهما لإكمال تسخير أحمد نكر ، كما غادر هو أيضا عاصمته آكره متوجها إلى دكن فى منتصف سنة ١٠٠٨ هـ(١٥٩٩م) وفوض تصريف مهام الحكم فى غيابه إلى ابنه الأكبر الأمير سليم [1] .

دخل الأمير دانيال وخان خانان إلى دكن ووجدوا أن بهادر خان بن راجى عليخان ، حاكم خانديس غير مطيع لدولة أكبر ، وأنه تحصن فى قلعة أسير ، فتوقفا لاستمالته ، وفى هذا الوقت وصل أكبر إلى مندو وأرسل إلى الأمير وخان خانان يبلغهم أن يتقدما إلى أحمد نكر ويقوما بتسخير قلعتها وأن البادشاه بنفسه يتولى إخضاع قلعة أسير ، ونصح أكبر فى الأول بهادرخان بالطاعة والانقياد ، ولما لم يترتب على ذلك أثر ، جاء من مندو إلى برهانپور وعمل إلى تسخير قلعة أسير بالقوة ، وبعد أن طالت أيام الحصار وبدأت العفونة داخل القلعة من كثرة الخلائق وبدأ الناس يموتون ، اضطرب بهادر خان على الرغم من كثرة ذخيرته واستحكامات القلعة .

---

(١) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٧١ .
سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٤٢٥ .
عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام فى الهند ، ص ٢٠٨ .
أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ، ج ٢ ، ص ٩٩ .

ولما فتحت قلعة أحمد نكَر فى أوائل سنة ١٠٠٩ هـ(١٦٠٠م) أصبح بهادر خان فى قلق أكثر من ذى قبل فطلب الأمان و ((سلم القلعة التى لا نظير لها إلى ديوانيى البادشاه فى السنة المذكورة وحصل أولياء الدولة البادشاهية على خزائن ودفائن وأسلحة وأمتعة نفيسة يعجز القلم عن إحصائها))(١) ،

وأما عن كيفية الاستيلاء على قلعة أحمد نكَر فان الأمير دانيال وخان خانان وصلا إلى القلعة دون معارض ، حيث هرب آهنگ خان قائد قوات أحمد نكَر الذى كان فى خلاف ونزاع مع چاند سلطان ، فضرب جيش المغل الحصار حول القلعة ، وقسموا المورچلات على الجنود وبدأوا بحفر الأنقاب ، كما أقاموا السركوبات(٢) وأصبحت القلعة على وشك السقوط فى أيدى المغل ، ورأت چاند سلطان التنازل عن القلعة للأمير دانيال للحفاظ على الأرواح والأعراض ، ثم يتحينوا الفرص للانقضاض على الجيش المغلى ، إلا أن خصومها أشاعوا بأنها اتحدت مع أمراء أكبر وتريد أن تسلم القلعة لهم ،فهاجمها الدكنيون وقتلوها (٣) ، وفى نفس الوقت تمكنت

---

(١) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ،ج ١ ، ص ٢٧١ .
سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٤٢٧ .
إحسان حقى : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ١٦٣ .
جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أباطرة المغول ، ص ١٠٤ .
عبد المنعم النمر : تاريخ الإسلام فى الهند ، ص ٢٠٩ .
وليام لانجر : موسوعة تاريخ العالم ، ج ٤ ،ص ١٤٠٨ .

(٢) سركوب : بناية على هيئة البرج ، كانت تقام فى محاذاة قلعة العدو ، ثم كانوا يقومون بنصب المدفعية عليها ، لتطلق نيرانها إلى داخل القلعة .

(٣) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ١٦٤ .
جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أباطرة المغول ،ص ١٠٣—١٠٤ .
إحسان حقى : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ١٦٣—١٦٤ .

قوات أكبر شاه من توصيل الأنقاب تحت جدران القلعة وأوجدوا فيها فتحات ودخلوا منها إلى القلعة، حيث قاموا بأعمال القتل والنهب، كما أسروا بهادر شاه الأمير الطفل وأرسلوه إلى برهانپور عند أكبر شاه.

هكذا تم إخضاع خانديس والاستيلاء على قلعة أحمد نكَر، واكتفى أكبر شاه بهذا القدر من الفتوح داخل دكن، فدخل في مفاوضات مع حاكم بيجاپور، انتهت بالصلح بين الجانبين، وتعهد حاكم بيجاپور بموجبه أن يدفع إلى أكبر الإتاوة، كما طلب أكبر شاه صبية إبراهيم عادلشاه المسماة بيكَم سلطان زوجة للأمير دانيال، وأرسل الى بيجاپور مير جمال الدين أنجو وهو من كبار الأمراء ليعود بالعروس والهدايا، ثم عين أكبر ابنه الأمير دانيال حاكما على ممالكه الدكنية وهي أسير وبرهانپور وأحمد نكَر وبرار، كما عين خان خانان أتا بكا على ابنه، ورجع هو إلى آكَره حيث وصلها في أوائل سنة ١٠١٠ هـ (١٦٠١م) ليعالج تمرد ابنه الأمير سليم عليه. (١)

وهكذا كانت نهاية المطاف بالنسبة لفتوحات أكبر، ولم يتمكن بعد هذا أن يوسع رقعة دولته أكثر من ذلك، نظرا للظروف الداخلية والنفسية

---

(١) محمد قاسم فرشته: تاريخ فرشته، ج ١، ص ٢٧١.
سجان راى: خلاصة التواريخ، ص ٤٣٦ — ٤٣٨.
أحمد السعيد سليمان: تاريخ الدولة الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، جـ ٢، ص ٦٤١.
جمال الدين الشيال: تاريخ دولة أباطرة المغول، ص ١٠٤.
إحسان حقى: تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية، ص ١٦٤.

التي مرت بأكبر ، حيث تمرد عليه ولي عهده الأمير سليم ، كما توفي ابنه الأصغر الأمير دانيال في ذي الحجة سنة ١٠١٣هـ نتيجة إدمانه الخمر [١].

وهكذا ، ونتيجة لهذه الجهود الجبارة ، وعلى الرغم من اتساع الهند وحدة تضاريسها فقد أصبحت الممالك الشرقية في الهند من بتنه وبهار وكور وبنگاله وأوريسة إلى المحيط ، خاضعة لدولته ، وفي الجنوب أصبحت خانديس وبرار وقسم كبير من أحمد نگر وبيدر تابعة له ، وفي الحدود الغربية ضمت إلى الدولة كل من تهتهه وملتان وقندهار وزمين داور [٢] وكابل وغزنه وغوربند ، وباميان [٣] إلى جبال هندوكوه ، وفي الشمال أصبحت في قبضة أولياء الدولة جبال سوالك إلى كشمير ومن الجهات الأربعة كانت مسافة ستة أشهر داخلة في ملكه . [٤]

---

(١) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٧١ .
سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٤٣٩ - ٤٤٠ .
V.A. Smith : Akbar the Great Mugul, P. 228.

(٢) زمين داور : ولاية واسعة بين سجستان والغور . (معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ١٥١) .

(٣) باميان : كورة في الجبال بين بلخ وهرات وغزنة (معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٣٣٠) .

(٤) بهگوانداس : تاريخ آبا وأجداد شاه جهان ، ق ١٠٥ أ — ق ١٠٥ ب
بيفردج : دائرة المعارف الإسلامية ، ج ٤ ، ص ١٤٦ — ١٤٧ .
جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أباطرة المغول ، ص ١٠٤ — ١٠٦ .

الفصل الثالث

الأحوال الداخلية

الفصل الثالث

الأحوال الداخلية

- الإدارة
- الجيش
- الدستور
- الاقتصاد
- الثقافة والفنون
- قافلة الحجيج الهندية
- أكبر والهنادكة
- مذهب " دين إلهي "

كان السلطان أكبر هو المسيطر على شؤون دولته ، وعلى الرغم من هذا فإنه كان يأخذ بمشورة رجالات دولته وكبار أمرائه ، وكان الوكيل (١) في مقدمة كبار رجالاته ، ومنزلته تأتي بعد الأمراء أبناء البادشاه ، وكان يراعى فيه أن يكون قد وصل في قمة الفهم ومراتب الإخلاص ، وهو ينوب السلطان في الأمور الملكية والمالية ، كما كان كبيرا للمستشارين ، وتنتظم به جلائل أمور الحكم ، وتكون باستصوابه الترقية والتنزيل والنصب والعزل ، ومع أنه ليس صاحب المكتب إلا أن رؤساء المكاتب يراجعون إليه ويسترشدون ببعد نظره (٢) .

كان يساعد الوكيل في أداء مهامه كل من رئيس المالية (٣) ، وصاحب الختم البادشاهي (٤) ورئيس الجمال (٥) ورئيس البلاط (٦) ورئيس الترسانة (٧) ورئيس تنظيمات الجيش (٨) ورئيس المعابر النهرية (٩) ورئيس المعابر البرية والغابات (١٠) ورئيس القصور الملكية (١١) ورئيس المائدة والمطبخ (١٢)

---

(١) الوكيل : يشبه منصب رئاسة الوزراء .

(٢) أبو الفضل علامي : آئين أكبرى ، ج ١ ، ص ٦ .

(٣) ميرمال (٤) مهردار (٥) ميربخشي

(٦) ياربيگي (٧) قوربيگي (٨) ميرتزك

(٩) ميربحر (١٠) ميربر (١١) ميرمنزل

(١٢) خوان سالار .

ورئيس التحريرات السلطانية [١] ورئيس الصيد والصيادين [٢] ورئيس [٣] الإصطبل [٤]
كما كان مجلس السلطان يتكون من الوكيل ومساعديه ومن الوزراء ، وكان
المجلس يقدم المشورة للسلطان الذى كان يحتفظ لنفسه باتخاذ القرار
اللازم فى نهاية الأمر ، ولم تكن لسلطات الملك حدود ولا قيود ، وكان يقضى
فى يومه فى الأمور العارضة له ، ويستقبل فى ديوانه وفى جلسات عامة كل ملتمس
أو مطالب بحق مهضوم ، أو متظلم من ظلامة واقعة عليه ، فيجزم السلطان
بالقضايا المختلف عليها ، كما كان كتبة السر يحرصون على قراراته هذه [٥] .

لقد تولى منصب الوكالة فى أول عهد أكبر بالحكم ، أتابكه بيرم خان
الذى كان يباشر مهام الملك دون الاستئذان من أكبر نظرا لحداثة سنه آنذاك ،
إلا أن هذه السلطات الواسعة لم يشهدها أى وكيل بعد بيرم خان ، ومن
الذين تولوا هذا المنصب بعد بيرم خان ، الخان الأعظم مرزا عزيز كوكه [٦] ،
الذى تولى هذا المنصب فى سنة ١٠٠٣هـ(١٥٩٤م) وهى
السنة الأربعون من جلوس أكبر على العرش . [٧]

---

(١) منشى (٢) قوش بيگى (٣) آخته بيگى .
(٤) أبو الفضل علامى : آئين أكبرى ، ج ١ ، ص ٦٠ .
(٥) رولان موسنييه : تاريخ الحضارات العامة ، ج ٤ ، ص ٥٨٥ .
جلال يحيى : العالم الإسلامى الحديث والمعاصر ، ص ٤٦٤ .
(٦) كوكه : كلمة تركية بمعنى الأخ الرضاعى ، وكان مرزا عزيز أخا لأكبر من الرضاعة .
(٧) أبو الفضل علامى : أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ٧١١ ، ٧١٦ .
أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية وحضارتهم ، ج ٢ ، ص ١١٣ .
بيفردج وديغز : دائرة المعارف الإسلامية ، ج ٤ ، ص ١٤٧ .

كذلك كان هناك منصب الإشرافية على الديوان ، فإذا لم يوجد من يتأهل لتولي منصب الوكالة ، يعين من يكون عنده بعض من صفات الوكيل ، مشرفا على الديوان ، فتكون رتبته أعلى من رتبة الوزير وأقل من رتبة الوكيل[1] ، ويأتي راجه تودرمل في مقدمة الذين تولوا الإشرافية على الديوان ، وذلك في سنة ٩٩٠هـ (١٥٨٢م) وفي هذه السنة أهتم السلطان بالتجديد في انتظام أمور الملك والمال ، ففوض إلى راجه تودرمل إشرافية الديوان التي كانت في المعنى تقوم بمهام الوكالة ، وأصبح تصريف المهام الملكية والمالية راجعا إلى استصواب المشرف على الديوان راجه تودرمل الهندوكي[2] ، حيث أصبح الوكيل المطلق والوزير الأعظم ، وكذلك فان الضوابط والقوانين التي وضعها للوزارة كانت بقدر من الاستحكام ، بحيث كلما حاول الوزراء العظام والديوان الأعظم استهلاكها واختراع الجديد مكانها ، لم يفلحوا في ذلك[3]

---

(١) ابو الفضل علامي : أئين أكبرى ، ج ١ ، ص ٧ .

(٢) راجه تودرمل : كان صغيرا عندما توفي والده ، فربته أمه مع كمال إفلاسها ، وكان تبدو في ناصيته منذ الصغر آثار الرشد والوعي ، ومن الاتفاقات الحسنة أنه دخل في الخدمة الرسمية في زمرة المحررين ، وبمقتضى وفور علمه ومهارته كان يتزايد قدره يوما بعد يوم ، وكذلك اشترك في كثير من المعارك التي أبدى فيها بلاء حسنا ، وحارب في ولايتي گجرات وبنگاله وخرج منها منصورا ، واستمر ارتقاؤه الى أن وصل الى منصب الوزارة العامة " وزارت كل " .

(سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٤٠٨ — ٤٠٩) .

(٣) أبو الفضل علامي : آئين أكبرى ، ج ١ ، ص ٧ .

سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٤٠٩ — ٤١٠ .

Ibn Hasan : The Central Structure of the Mughal Empire, P. 161

يأتى الوزير بعد المشرف على الديوان ، وكان يعبر عنه بديوان ، وهو نائب مالى يحرس الخزائن ويرعى المحاسبات ، وكل عقدة يعجز المستوفى عن حلها ، تحل ببعد نظر الديوان ، وإن عجز هو أيضا عن حلها ، يكون الحل بيد الوكيل ، وكان يتبع الوزير كل من رئيس المحاسبات وهو المستوفى ، وكبير المحاسبين أو آوارجه نويس وميرسامان (١) وناظر بيوتات (٢) والمشرف على الخزائن و واقعه نويس (٣) وعامل الخالصة (٤) . (٥)

لقد تعلم السلطان أكبر من الماضى الخطر الذى ينجم عن قيام وزارة لا حدود لسلطانها ، فأعاد تنظيم حكومته المركزية سنة ٩٧١هـ (١٥٦٤م) ، وعهد بالمهام المالية إلى الديوان أو الوزير ، ومن يومها انطفأ البريق الذى كان لسلطة الوكيل (٦) . ومن الذين تولوا منصب الوزارة خواجه شاه منصور شيرازى الذى كان خبيرا فى المحاسبة ، ولقد تولى الوزارة فى سنة ٩٨٤ هـ (١٥٧٦م) وهى السنة الواحدة والعشرون من جلوس أكبر على عرش الحكم (٧) .

---

(١) المشرف على ما فى البيوتات من أوانى وغيرها .

(٢) المشرف على المبانى الحكومية .

(٣) المشرف على المخابرات .

(٤) الذى كان يتولى شؤون الأراضى السلطانية .

(٥) أبو الفضل علامى : آئين أكبرى ، ج ١ ، ص ٦ — ٧ .

(٦) بيفردج وديغز : دائرة المعارف الإسلامية ، ج ٤ ، ص ١٤٧ .

(٧) أبو الفضل علامى : أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ١٦٧ .
Ibn Hasan : The Central Structure of the Mughal Empire, P. 153

كما كانت هناك عدة إدارات لخدمة البلاط ، منها إدارة المطبخ وإدارة الفراشين وإدارة فهود الصيد وإدارة المرطبات وإدارة مياه الشرب ، وكان السلطان أكبر يشرب من مياه نهر كنگ في السفر والحضر ، فكان يقيم في ساحله عدد من المؤتمنين ، فيأخذون من مياهه بالحيطة ، ويملأون منها الأباريق ثم يختمونها ، كما كان يستفاد في الأكل والطبخ من مياه نهري جمنه وچناب[1] ومياه الأمطار[2].

وفي خارج المدينة والمعسكر كان يقام المسلخ وفي جوار النهر والأحواض ، لذبح وتسليخ الأغنام والمعز والدجاج وغيرها ، وبعد الغسل والتسليخ كانت اللحوم تغسل ، ثم تملأ في الأكياس فتختم الأكياس بختم سيلا نچي [3] ، ثم ترسل إلى المطبخ حيث كانت تغسل من جديد ثم إلى القدور والطهي [4] .

من الإدارات المهمة التي أحدثها السلطان أكبر في البلاط ، هي إدارة هفت چوكي [5] وإدارة استقبال العرائض ، لقد قسم السلطان جميع منسوبي البلاط إلى سبعة أقسام ، وجعل كل قسم مسؤولا عن كرسي يوم وليلة ، وعين واحدا من الرجالات الكبار رئيسا على ذلك الكرسي ، حتى يطلع على جميع معاملات ذلك اليوم والليلة وينظمها ، وكذلك عين واحدا من رجالاته على منصب

---

(١) نهر من أنهار پنجاب .

(٢) أبو الفضل علامي : آئين أكبرى ، ج ١ ، ص ٨، ٥٥ .
نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣١٥ .

(٣) سيلانچي : هو المشرف على الذبح والسلخ .

(٤) أبو الفضل علامي : آئين أكبرى ، ج ١ ، ص ٥٧ .

(٥) هفت چوكي : الكراسي السبعة .

مير عرض (١) ، حتى يقوم فى أثناء كرسيه بتقديم عرائض الناس وملتمساتهم إلى السلطان ، دون أية ملاحظة أو أغراض نفسانية ، وحتى يقطع عن الناس محنة الانتظار والتعب ، ولقد تأسست هذه الإدارة فى سنة ٩٨٣هـ (١٥٧٥م) ، وهى السنة العشرون من حكم السلطان أكبر (٢) .

ومن المناصب الهامة فى دولة أكبر منصب الصدارة وكان ينادى متوليها العام بصدر الصدور وهو كبير العلماء والمشرف على القضاة ورجال العدل وأئمة المساجد وخطبائها ، وكان فى العادة من العلماء أصحاب المهابة ، وفى سنة ٩٧١هـ (١٥٦٤م) أصبح المحدث شيخ عبد النبى (٣) صدرا للصدور ، وكان له سلطات واسعة ، كما كان السلطان يوقره ، وكان له أيضا حق الرعاية بالنسبة لتوصيته على الحالات المستحقة للمعونات من الملك ، ولكن هذه السلطات لم تستمر أكثر من خمس عشرة سنة ، إذ رأى أكبر فى سنة ٩٨٥هـ (١٥٧٧م) أن المسؤوليات والمهام الملقاة على عاتق صدر الصدور أكبر بكثير من أن يتحملها شخص واحد ، فقرر أن يكون هناك صدر لكل صوبة أو ولاية ، وعين عبد الله سلطانپورى فى صدارة ولاية پنجاب ، وطلب من رجالاته أن يبحثوا عن عدد من المتدينين المجدين ، ليتولوا مناصب الصدارة فى الولايات ، وفى سنة

---

(١) مير عرض : هو المسؤول عن العرائض الواردة إلى السلطان .

(٢) أبو الفضل علامى : أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ١٢٦ .

(٣) شيخ : هذه الكلمة كانت تطلق فى الهند على من بقى من سلالة الصحابة رضى الله عنهم أجمعين .

(أويماق مغل ، ص ٣٣٠) .

٩٨٩ هـ (١٥٨١م) عين حكيم أبو الفتح[1] على صدارة ولايات دهلى ومالوه وكجرات كما عين شيخ أبو الغيض فيضى على صدارة آكره وكالبى وكالنجر ، وعين حكيم همام على صدارة حاجى پور وعين حكيم على، على صدارة بهار وحكيم عين الملك، على بنكاله والقاضى على بدخشى على پنجاب ، وكذلك عين السلطان أكبر على كل مدينة كبيرة مشرفا على القضاة .(٢)

وهكذا أصبح منصب الصدارة من المناصب الهامة فى الولايات ، وبعد شيخ عبدالنبى وحتى قبله أيضا لم يرد فى المصادر المتوفرة لدينا ذكر لصدر الصدور ولكن كلمة الصدارة والصدر استمر ذكرها ، ويبدو أن تحديد صلاحيات صدر الصدور وتوزيعها على صدور الولايات ، راجع إلى التحولات التى طرأت فى مواقف أكبر من العلماء الذين لم يوافقوه فى اجتهاداته ، وهذا ما سنراه أثناء دراستنا لمذهب " دين إلهى " الذى اخترعه أكبر وخالفه فى ذلك معظم العلماء ، وعلى رأسهم كبيرهم والمتحدث باسمهم وهو صدر الصدور ، هذا ولقد عين الشيعى ميرفتح الله شيرازى على منصب الصدارة فى سنة ٩٩٢هـ (١٥٨٤م) وهى

---

(١) حكيم : هذه الكلمة كانت تطلق على الطبيب .

(٢) أبو الفضل علامى : أكبرنامه ، ج ٣ ، ص ٢٠٢ ، ٣٥٧ .
عبدالقادر بدايونى : منتخب التواريخ ، ص ١٥٤ .
أبو الفضل علامى : آئين أكبرى ، ج ١ ، ص ٧ .
بيفردج وديفز : دائرة المعارف الإسلامية ، ج ٤ ، ص ١٤٧ .
أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية وحضارتهم ، ج ٢ ، ص ١١٤ .
Ibn Hasan : The Central Structure of the Mughal Empire, P. 269

السـنة التاسعة والعشرون من حكم أكبر ، ولكنه لم يلقب بصدر الصـدور ، بـل قيـل إنه عين على منصب الصدارة الرفيـع[١] .

ومما يذكر لأكبر تقسيماته الإدارية لدولته المترامية الأطراف ، ففى سنة ١٠٠٣ هـ (١٥٩٥م) وهى السنة الأربعون من حكمه ، قسم دولته إلى اثنتى عشرة ولايـة أو صوبـة واشتهرت كل صوبة باسم أهم معمورة فيها ، وبعد فتح خانديـس ودكن أصبحت الولايات خمس عشرة ولاية وهى : إله آباد وآكره وأَوْدهْ وأجمير وأحمد آباد وبهار وبنكاله ودهلى وكابـل ولاهور وملتـان ومالوه وبرار وخانديس وأحمد نكر ، وكانت هذه الولايات تضم ألفين وسبعمائة وسبع وثلاثين قصبـة من مائة وخمس سركار[٢] ، وعين على رأس كل ولاية سـپه سالارا ، وهو القائـد العام ونائب السلطان فى الولاية ، ولم يكن له أن يدخل فى حرب أو يـبرم التحالف والصلح دون مشورة السلطان ورأيه ،وله أن يعين صغار العمـال ويقيلهم ، ولم يكن له أن يتدخل فى الأمور الشرعية التى هى من اختصاص الصدر وحده ، أو يصدر الحكم بالإعدام دون إذن السلطان نفسـه[٣] .

---

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٥٤ .

(٢) سركار : الوحدة الإدارية التى كانت تتكون من عدة قصبات .

(٣) أبو الفضـل علامى: آئين أكبرى ، ج ٢ ، ص ٧٣ .

" " : أكبرنامه ، ج ٣ ، ص ٢٤٠ — ٢٤١ .

غلام حسين طباطبائى : سير المتأخرين ، ص ١١ .

محمد عبدالله خان : تذكره فى سير آكره ، ق ٣٨ ب .

أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهنديـة وحضارتهم ، ج ٢ ، ص ١١٤ .

V.A. Smith : Akbar the Great Mogul, P. 241

وكان يدير الحكومة الإقليمية طبقات من العمال تناظر أولئك الذين يديرون الحكومة المركزية ، وكانت الولايات مقسمة إلى مراكز باسم سركار وكل سركار مقسم إلى محلات ، وكان على كل سركار رئيس تنفيذى يسمى فوجدار ، كما كان يسمى رأس كل محله باسم مير محلة ، كما كان فى كل ولاية ديوان أو وزير وبخشى [١] ، وناظر العدل ، وصدر ، وكوتوال [٢] ، وأمين للصندوق ، وواقعه — نويس[٣] ، وكان هؤلاء الموظفون الإقليميون المهمون ، يعينون على يد الحكومة المركزية [٤] .

ونظرا لاتساع رقعة الدولة وزحمة المعاملات ، قرر السلطان أكبر فى سنة ١٠٠٣هـ(١٥٩٥م) أن يكون فى كل ولاية وزير ، فعين اثنى عشر وزيرا أو ديوانا على الولايات الاثنتى عشرة كالتالى :

حسين بيگ على إله آباد وبهارتى چند على أجمير وراى رامداس على أحمد آباد وكهتور على أَوَدْهْ ، وكشنداس على بنگاله ، ورامداس على بهار ، ورام راى على دهلى ، وخواجه غياث بيگ على كابل ، ومتهراداس على لاهور ، وخواجه محب على على مالوه ، وكيشوداس على آگره ، وخواجه مقيم على ملتان ، وكان وزير

---

(١) رئيس شؤون تموين الجيش ونفقاته ومعاشات منسوبيه .

(٢) كوتوال : كان له مسؤوليات متعددة وفى مقدمتها حفظ الأمن أو الشرطية .

(٣) واقعه نويس : كان يقوم بعمل الاستخبارات .

(٤) أبو الفضل علامى : أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ٢٤١ .
محمد عبدالله خان : تذكره فى سير آگره ، ق ٣٨ ب .
بيفردج وديغز : دائرة المعارف الإسلامية ، ج ٤ ، ص ١٤٨ .

الحكومة المركزية فى ذلك الوقت خواجه شمس الدين خافى ، وأمر لوزراء الأقاليم بأن يقدموا تقارير عن سير أعمالهم إلى السلطان وعن طريق الوزير خافى[١] ، ونرى من أسماء وزراء الأقاليم بأن ثمانية من هؤلاء الوزراء الاثنى عشر من الهندوكيين ، وأربعة فقط من المسلمين ، وكان الوزير يناط به شؤون المال بالولاية وهو يلى السپه سالار فى المرتبة ، وكان فى أول أمره يعين من قبل أمير الإقليم ، حتى رأى السلطان أن يجعله تابعا له ليكون رقيبا على كل ما يصدر عن الحاكم وليحد من سلطانه إذا لزم الحال ، وكذلك كان هناك مندوب للولاة فى المركز ، يقومون بتقديم عرائضهم إلى السلطان أكبر[٢] .

ويبدو أن الإدارة كانت متشعبة للغاية ، بحيث كان يجرى تسجيل كل قضية بما يلزم من الإيضاحات والبيانات اللازمة ، وكل هذه المعاملات كان يقتضى لها جيش من الموظفين والكتبة ، ليس لهم محل أو ذكر بين مراتب الجيش وصفوفه .

ولضبط غلال الأرض والمحاصيل ، كان لا بد من عدد كبير من المحاسبين والكتبة ، ومثل هذا العدد وأكثر لجباية الرسوم ، ومثلهم لشؤون المال والتحصيلدارات ، وغيرهم من المحاسبين والمفتشين لضبط القيود والإشراف على عمليات الجرد ، وكان ألوف من الكتبة يسجلون كل يوم بيومه مجموع واردات الدولة

---

(١) أبو الفضل علامى : أكبرنامه ، ج ٣ ، ص ٦١٣ .
أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ، ج ٢ ، ص ١١٥ .
Ibn Hasan: The Central Structure of the Mughal Empire, P. 165

(٢) عبد الصمد : مكاتبات علامى ، ص ٦٢ .

ومداخل الضرائب ومصروفات الملك ، كما يسجلون البارز من حوادث البلاد ومجرياتها اليومية ، ويضبطون أسماء الأجانب الذين يدخلون البلاد ، مع بيان بأسماء البلدان التي قدموا منها والغرض من قدومهم ، كما قامت في المدن والمرافئ ، إدارات مستقلة يعهد بها الى محتسب أوكوتوال يكلف بالسهر على أمور الأمن ، ومعاقبة المجرمين وتحديد الأسعار ومراقبة المكاييل والموازين وملاحقة الكسالى وإلزامهم على العمل ، والسهر على تنفيذ التعليمات الصادرة عن السلطان.(١)

كان الباد شاه يقف على كل أمر يجرى في كافة نواحي دولته المترامية الأطراف ، وذلك بواسطة رقبائه من الموظفين الكبار في الولايات ، وكان على كل واحد من هؤلاء أن يحيط أمير الاقليم ورجاله علما بما يبلغه من الحوادث والوقائع قبل أن يرفع خبرها وتفصيلها الى السلطان ، وبرغم أن الباد شاه أحكم الرقابة على عماله في مختلف أنحاء دولته ، وأقام من كبارهم رقباء بعضهم على البعض ، إلا أن صعوبة المواصلات وترامي المسافات ، واشتغال الدولة نفسها بالحروب والغزوات المتواصلة في الغالب ، قد أضعف من جدوى هذا النظام ، حتى صار حكام الأقاليم يتصرفون عموما وفق هواهم وعلى مسؤوليتهم الخاصة.(٢)

---

(١) رولان موسنييه : تاريخ الحضارات العامة ، ج ٤ ، ص ٥٨٦.

(٢) أحمد محمود الساداتي : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ، ج ٢ ، ص ١١٧.

وكان هناك أيضا زميندارات[1] يتولون إدارة أراضى واسعة ويمارسون فيها كل أنواع السلطة لقاء عوائد معينة يدفعونها للسلطان الذى كان بوسعه أن يسترد هذه الأراضى المقتطعة.[2]

---

(١) زميندارات : ملاك الأراضى .

(٢) رولان موسنييه : تاريخ الحضارات العامة ، ج ٤ ، ص ٥٨٦ — ٥٨٧ .

كان الجيش من أهم العناصر المكونة لدولة السلطان أكبر ،وهو كالعمود الفقرى لمثل هذه الدولة التى قضت معظم أوقاتها فى حروب تكاد تكون متواصلة ، من أجل الفتح والتوسع أو للقضاء على الاضطرابات وحوادث التمرد هنا وهناك .

لقد وزع أكبر شاه مناصب الجيش من وحدة العشرة إلى الوحدة العشرة آلاف ، واختص أبناؤه بالمناصب التى تزيد عن وحدة خمسة آلاف ، وأصبحت مراتب المناصب فى الجيش ستا وستين مرتبة[1] ، ولقد ذكر أبو الفضل مؤرخ البلاط هذه المناصب الستة والستين فى اثنتى عشرة صفحة من الجداول ، موضحا فيها الامتيازات التى كان ينالها القواد أو رؤساء تلك الوحدات ، من أنواع الخيول والفيلة والجمال وسائر وسائل النقل التقليدية ، وكذلك أوضح فى تلك الجداول رواتبهم التى كانت تبدأ من خمس وسبعين روبية لقائد وحدة العشرة ، وتصل إلى ستين ألف روبية لقائد وحدة العشرة آلاف ، وفى كل وحدة هناك القائد الأول والثانى والثالث ، الذين تتفاوت رواتبهم فيما بينهم ، ما عدا المناصب الثلاثة الأولى ، وهى وحدة العشرة آلاف ووحدة الثمانية آلاف ، ووحدة السبعة آلاف ، التى لم يكن لها غير أبناء أكبر . وعلى سبيل المثال كان

---

(١) أبو الفضل علامى : آئين أكبرى ،ج ١ ، ص ٢١٦ .
رولان موسنييه : تاريخ الحضارات العامة ، ج ٤ ، ص ٥٨٥ .
بيفردج وديفز : دائرة المعارف الإسلامية ، ج ٤ ، ص ١٤٧ .

لقائد وحدة الخمسة آلاف ٣٣٧ من الخيول المتنوعة ومائة من الفيلة المختلفة وثمانون من الإبل ومائة وستون عربة ،وراتب القائد الأول لهذه الوحدة هو ثلاثون ألف روبية ، وراتب القائد الثانى تسعة وعشرون ألف روبية ، وراتب القائد الثالث ثمانية وعشرون ألف روبية (١) ، وكان على هؤلاء الضباط أن يجندوا الجنود ، ويحضروا لهم الخيل ويجهزوهم بما يلزم من عدة وعتاد ، مقابل مرتبات تدفع لهم ، ومن بين هؤلاء الضباط كان السلطان أكبر يختار عماله والموظفين الأكفاء للمراكز الإدارية البارزة (٢) .

ولقد كان السلطان حذرا من أن يرقى الأمراء الكبار إلى منصب يقودون فيه أكثر من وحدة الخمسة آلاف ، وكان يرى أن الذى يتولى قيادة جيش كبير فقد يخدعه الشيطان فيرفع علم العصيان . (٣)

وكانت هناك أيضا فرقة خاصة من الفرسان للحرس السلطانى ، وكانت تسمى هذه الفرقة أُحدى ، وكانت تتكون من اثنى عشر ألفا من الفرسان الممتازين ،كما كانت لهذه الفرقة قائدها الخاص . (٤)

---

(١) أبو الفضل علامى : آئين أكبرى ،ج ١ ، ص ٢١٧ – ٢٢٨ .
V.A. Smith : Akbar the Great Mogul, P. 263

(٢) رولان موسنييه : تاريخ الحضارات العامة ، ج ٤ ، ص ٥٨٥ .

(٣) سليم شاه الهندى : تاريخ أكبر شاه ، ق ١٤ ب .

(٤) أبو الفضل علامى : أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ١٩٠ .
سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٤١٠ .
أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية وحضارتهم ، ج ٢ ، ص ١١٩ .

وكان سـپه سالار[1] هو الذى يخلف البادشاه فى الولاية ويطيعه جندها ورعيتها ويكون عمرانها بعدله[2] .

ولقد تباينت أقوال المؤرخين فى تحديد عدد قوات السلطان أكبر ، فمنهم من رأى أن عدد قواته كانت تصل إلى خمسة وعشرين ألفا[3] ، ومنهم من يذكره مائة وأربعين ألفا[4] ، كما يرى البعض أن الجيش ضم فى مختلف قطاعاته وألويته وفى جميع أنحاء الهند أكثر من مليون جندى[5] ، ويذكر مؤرخ البلاط أبو الفضل بأن عدد الجند والزمنيدارات كان يزيد عن أربعة وأربعين مائة الف أى أربعة ملايين وأربعمائة الف[6] .

والثابت المعروف أن الجيش الذى سار به البادشاه للقضاء على تمرد أخيه محمد حكيم مرزا عند الحدود الشمالية الغربية ، كان يضم قرابة خمسين ألف من الفرسان وحوالى خمسة آلاف من فيول الحرب وألوف كثيرة من المشاة ، وجميعهم

---

(١) سپه سالار : قائد الجند

(٢) أبو الفضل علامى : آئين أكبرى ، ج ١ ، ص ٣٤٣ .
أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية وحضارتهم ج ٢ ، ص ١٢٠ .

(٣) ول ديورانت : الهند وجيرانها ، ص ١٣٥ .

(٤) شكيب أرسلان : حاضر العالم الإسلامى ، ج ٤ ، ص ٣٠٢ .
جلال يحيى : العالم الإسلامى المعاصر ، ج ١ ، ص ٤٦٤ .

(٥) رولان موسنييه : تاريخ الحضارات العامة ، ج ٤ ، ص ٥٨٥ .

(٦) أبو الفضل علامى : آئين أكبرى ، ج ١ ، ص ٢١٠ .

كانوا يتناولون مرتباتهم من الخزانة العامة ، ومن الطبيعي أن يتضاعف هذا العدد حين تنضم إليه قوات الولايات ، وينكمش الى ما دون ذلك بكثير أيام السلم. (١)

وكان نظام توزيع الجيش في أثناء المعارك ، هو المقدمة والتمش(٢) والقلب والميمنة والميسرة ، كما كانت هناك وحدات استطلاعية تسمى قراول تسبق الحملة لمعرفة قدرات العدو ، ومدى استعداداته في الدفاع أو الهجوم. (٣)

وكان مير بخشي يصاحب كل حملة أو جيش ، وهو الذي يشرف على شؤون تموين الجيش ونفقاته وخزانته ورواتب منسوبيه.

وكان من النظم الرائجة أن يقام مجلس الحرب للبحث في أسباب تأخير الفتح ، والتشاور لما يتخذ من اجراءات وأساليب تحسم الموقف ، فعندما طالت مدة حصار پتنه في الفتوحات الشرقية ، أسرع السلطان إلى اللحاق بقواته المحاربة هناك ، وأمر باحضار الأمراء في منزل خان خانان منعم خان قائد هذه الحملات ، حتى يتشاوروا في الأمر ، فخاطبهم السلطان أكبر قائلا : إن مدة الحصار قد طالت ولا بأس من تأخير التسخير حتى الآن ، ولكن بعد الآن ، لا تسمح غيرة السلطنة بأن تبقى طائفة الأفغانيين في قلعة پتنه بل وفي هذه المملكة ، ويبدو

---

(١) أحمد محمود الساداتي : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم ، ج ٢ ، ص ١٢٢.

(٢) ألتمش : كلمة تركية بمعنى الجيش الذي يكون بين المقدمة والقلب / غياث اللغات ، ص ٤٥.

(٣) نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبرى ، ص ٣٠٧ ، ٣٢٥.

أن قلعـة حاجي پور هي محور الإمدادات لهؤلاء الناس ، فلنبادر إلى الاستيلاء عليها أولا لنمهد استئصال الجماعة نهائيا ، وحسنت هذه الفكرة من قبل الأمراء والخوانين فوزعت الأدوار في المجلس(١) .

وكذلك كان السلطان أكبر يطلب أحيانا من قواته أن يقوموا بالمناورة والعرض العسكري قبـل بدء المعركة ، وذلك لاختبار قدراتهم التعبوية والقتالية ، فعندما رجع السلطان إلى الگجرات ثانية ، ليقضي على تحالف المخالفين ضد سلطتـــه هناك ،وقبـل أن يلتقي جيشه بقوات أعدائه ، طلب من الجند أن ينزلوا إلـــى ساحة العرض ، بكامـل أسلحتهم وذخيرتهم ، فنظم الأمراء والقواد أفواجهـم ، وأنزلوا إلى الساحة شبابا ذوي خبرة في المعارك ، وتفقد السلطان المناورة وأشرف عليها ، ووزع قواته إلى القلب والمقدمة والميمنة والميسرة ، كما كون لنفسه مجموعة قتالية اختيرت من بين الآلاف من الفرسان ، تكون على أهبـة الاستعداد ، فلـــو حدث أي خلل في أي فوج ،يبادر السلطان بهذه المجموعة لتدارك الوضـــع ، وبعد تعبئة الأفواج وتنظيمهم ، صدرت الأوامر بأن لا يفارق أحد فوجـه .(٢)

ونظرا لكثرة القلاع الحربية وانتشارها في الهند في ذلك الزمان ، كانت هنـاك أساليب لفتح هذه القلاع ، ومن أهمها إقامـة الساباطات والمورچلات ،والسلباط عبارة عن جدارين متوازيين يبنيان من مسافة مرمى البندقيـة ، فيمدان إلـــى

---

(١) نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبري ، ص ٣١٨ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٣٠٧ .

جدار القلعة ويغطى سطحه بالألواح الخشبية وجلود الأبقار وغير ذلك ، ويمتد في النهاية كطريق صغير إلى جدار قلعة العدو ، فيعبر منه النقابون والقائمون على المدفعية والبندقية ، فيضرب الجدار بالمدفع ، أو يحفر النقب تحت الجدار ، فيملأ بالباروت ثم يفجر الجدار ، فتحدث فيه فتحة ، ويبادر الجنود بالعبور عن الساباط والدخول إلى القلعة عن طريق تلك الفتحة فيقومون بفتح القلعة ، وأما المورچل فهو عبارة عن النقب الذى كان يحفر تحت الأرض باتجاه قلاع العدو لفتحها (١) .

ولقد اهتم السلطان أكبر نفسه ببناء القلاع في أنحاء الهند المختلفة ، وذلك بقصد الدفاع وإقرار الأمن ، ومن القلاع التى قام السلطان بإحداثها قلعة أتك ، التى بناها على مقربة من نهر نيلاب ، وذلك بعد أن عاد من كابل في سنة ٩٩٠ هـ (١٥٨٦م) وعبر ذلك النهر ، فأمر ببناء تلك القلعة من الجص والحجر ، لضبط الأمور في تلك الحدود ، وسميت القلعة بأتك ، لأن مذهب الهنود كان يمنع العبور من نيلاب وكلمة أتك في اللغة الهندية تعني المنع . (٢)

وكذلك لما انهزم قواد أكبر في حربهم ضد الأفاغنة في الحدود الشمالية الغربية ، عين السلطان في سنة ٩٩٥هـ(١٥٨٧م) راجه تودرمل

---

(١) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ،ج ١ ، ص ٢٥٧ .
نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٨٣ .

(٢) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ،ج ١ ، ص ٢٦٤ .

على رأس جيش كبير لتدارك الأوضاع ، فأقدم راجه من واقع خبرته ، إلى إحداث عدد من القلاع فى المناطق الجبلية ، واستطاع بهذه الطريقة أن يسير ضد الافغانيين الحملة تلو الحملة حتى أخضعهم. (١)

وكان عدد القلاع المستحكمة والمشهورة فى دولة السلطان أكبر يصل إلى ألفين وأربعمائة قلعة ، ما عدا قلاع بنكاله التى قاومت السلطان أربع سنوات ، كما كانت القلاع تضم سجونا للمجرمين والمتمردين ، ويذكر السلطان سليم بن السلطان أكبر وخليفته أنه بعد توليه الحكم أصدر العفو عن السجناء فى الممالك المحروسة ، وأمر باطلاق سراحهم جميعا ، ويقول أنه فى قلعة كَواليار وحدها كان يقيم سبعة آلاف من السجناء ، وكانت سائر القلاع على غرارها . (٢)

كما كانت هناك تهانجات(٣) كثيرة منتشرة فى أنحاء البلاد للحفاظ على الأمن ، وكان من مهام هذه الثكنات الحفاظ على أمن السياح ، فإذا ما قصر فى العناية بسائح أو لم يجيدوا الدفاع عنه ، أصبح المسؤولون عن الأمر عرضة للحساب والعقاب . (٤)

---

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٦٩ .

(٢) سليم شاه الهندى : تاريخ أكبر شاه ، ق ٩ أ .

(٣) تهانجات : جمع تهانه وهى عبارة عن ثكنات صغيرة من الجيش وقوى الأمن

(٤) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٣٦ .

غوستاف لوبون : حضارات الهند ، ص ٤٢٦ .

كانت قوات أكبر المسلحة تتألف من المشاه والمدفعية والفرسان والبحرية ، وبالنسبة للمشاه فإننا اذا استثنينا منهم حملة البنادق وأرباب السيوف ، لم يكن لهم فى المعارك شأن يذكر فى الغالب ، فعامتهم وعلى كثرة عددهم كانوا يضطلعون بخدمة القوة العاملة ونقل المؤن ورعاية الدواب وحراسة المعسكرات ، وأما سلاح المدفعية فقد كان مناط عناية البادشاه الكبرى حتى كان يشرف على كل شؤونه بنفسه ، وقد أتى بهذا السلاح إلى الهند جد السلطان أكبر ، ظهير الدين محمد بابر شاه ، وعرفه الكجراتيون من بعد ذلك على أيدى البرتغاليين الذين كان لهم مستعمرات بشاطئهم ، فاستخدموه فى حروبهم مع همايون ، وأغلب خبراء هذا السلاح كانوا من رجال فرغانة ومن العثمانيين والمولودين من البرتغاليين بالهند .

وكان السلطان أكبر يرى أن سلاح المدفعية قفل عجيب لحراسة الحكم ، ومفتاح رائع لأبواب الفتح ، وكان هذا السلاح فى دولة أكبر من الكثرة بحيث كان يسخر لجره إلى المعارك عشرات من الفيلة وآلاف من الأبقار ، وكان السلطان يهتم بهذا السلاح اهتماما بالغا ، ولقد رشح لسلاح المدفعية قواد مجدون وكتاب لهم عمق النظر ، وكان يعمل لتنمية الخبرات فى هذه الناحية ، ومضاعفتها ، حتى استطاعت مصانعه أن تنتج أنواعا من الاختراعات التى كانت تثير الإعجاب ، ومن تلك المخترعات اختراع مدفعية تفصل أجزاؤها من بعض ، فتنقل إلى المعارك بسهولة ثم تركب عند الحاجة بيسر ، ومنها ما كان

تفتح أجزاؤها السبعة عشر بفتيلـــة واحدة ، كما كان كل نوع من أنواع المدفعيـة يحمـل اسما خاصا به ، ومنها مدفعية كَج نال التى كان يجرها فيـل واحـــد بسهولة ، وهناك نوع آخر كان يسمى نرنال وكان باستطاعة شخص واحد تحريكها ، وكان الغنيون النادرون ينتجون الجديد تلو الجديد ، وخاصة من نوع كَج نـــال ونرنال ، كما كان الأمراء والأحديون يتلقون إزاء هذه الأعمال رواتب شهرية ، ولقد وزعت المدافع فى أنحاء الدولة وفى كـل ولاية حسب أهميتها .

وكذلك كان اهتمام أكبر بصنع البنادق ، وكانت مصانعه تصنـع بنـــادق على قدر كبير من المتانة والصلابة ، بحيث كانت تملأ إلى فمها بالباروت فتطلـــق نيرانها دون أن تنفجر أو تخترق ، ويشرح أبو الفضـل الطريقة التى كان يتبعها الحدادون فى صنع البنادق ورصاصاتها ، ويذكر أن هناك ظهر صناع كثيرون فى هذا المجال منهم الحداد استاد كبير حسين ، وكذلك أشار مؤرخ البـلاط إلى أنواع البنادق المصنوعة وأسمائها (١) .

وأما سلاح الفرسان فقد كان هو القوة الضاربة الرئيسية فى الجيش ، حتى أن البادشاه كان يوالى بنفسه التفتيش عليه ويختبر خيوله وينزل إلى حظائرهـا ،

---

(١) أبو الفضل علامى : آئين أكبرى ، ج ١ ، ص ١٤٣ — ١٤٤ .
أبو الفضل علامى : أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ٥٠٦ .
أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهنديـــة ، ج ٢ ، ص ١٢٠ — ١٢١ .
نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٧٤ .
عبد المنعم النمر : تاريخ الإسلام فى الهند ، ص ٢١٦ .
جلال يحيى : العالم الإسلامى الحديث والمعاصر ، ص ٤٦٤ .

ويراقب تدريب رجاله ، وإلى جانب الفرسان كان هناك وحدات الفيلة ، وقوام كل واحدة منها كان يتراوح بين العشرة والثلاثين ، وكان كل فيل يحمل اسما خاصا به .

وكذلك عنى أكبر بتدعيم سلاحه البحرى ، وإن لم يبلغ به الى درجة الأساطيل التى كانت تجوب أعالى البحار فى عصره ، وأغلب سفنه كانت تعمل فى أنهار الهند ، وفى حدود موانئه ، ومن بينها ما كان يحمل المدافع الخفيفة وآلات الحرب . (١)

ولقد اهتم السلطان أكبر كثيرا أن يكون جيشه دوما على أحسن ما يكون تدريبا وعدة وكفاية وفعالية ، لينهض على الوجه الأتم بالحروب التى تحتم عليه مواجهتها . (٢)

كما كان السلطان يهتم بإرضاء جيشه ، ولقد أقطع لهم من الأراضى السلطانية فى سبيل محاربتهم ضد المتمردين ، وأمر قائده شبهاز خان أن يقطع جميع الأراضى السلطانية فى بنكاله إلى الجند ، لكى يبذلوا قصارى جهودهم فى استئصال المتمردين فى الأقاليم الشرقية ، وكذلك عندما تأخر فتح پتنه توجه السلطان إليها بنفسه ، فرفع رواتب جنده هناك إلى أكثر من ثلاثة أضعاف ، وكذلك كان السلطان يقوم بتسديد ديون أنصاره الذين قتلوا

---

(١) أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ، ج ٢ ، ص ١٢١ .

(٢) رولان موسنييه : تاريخ الحضارات العامة ، ج ٤ ، ص ٥٨٤ .

في المعارك ، فلما قتل شيخ محمد بخاري وسنغيخان كوكه في حروب كجرات، أمر بسداد ديونهما من خزانة الدولة ، ولقد بلغ مجموع ديونهما مائة ألف روبية ، أكبر شاهي التي كانت تساوي ألفين وخمسمائة تومان الرائجة في العراق في ذلك الوقت . (١)

كذلك اهتم السلطان أكبر بتنظيم الشؤون البريدية في دولته والتي كانت تخدمه كثيرا في الأغراض العسكرية ، وكان يوجد على بعد كل خمس كروهات من الطرق حصانان سريعا السير ، وعدد من الموظفين ، وكان يقال لهذا النظام داك چوكي (٢) ، فاذا كان هناك فرمان ضروري إلى الأمراء ، أو معروض مهم من أمراء الحدود ، يسلم إلى داك چوكي الذي يستلم البريد ويسلمه بدوره إلى داك چوكي آخر ، إلى أن يصل إلى الجهة المختصة ، وبهذه الطريقة كانت تقطع في كل يوم وليلة مسافة خمسين كروها ، وكذلك لو كان هناك شخص يكلف من العاصمة بالذهاب إلى مكان ما ، أو كان هناك من يراد مجيئه إلى البلاط على وجه السرعة ، يركب خيول داك چوكي ، وكثيرا ما حدث أن قطع موظفو داك چوكي مسافة سبعمائة كروه في خلال عشرة أيام . (٣)

---

(١) نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبري ، ص ٣١٢ ، ٣٢٠ ، ٣٥٤ .

(٢) داك چوكي : الكرسي البريدي .

(٣) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٧١ — ٢٧٢ .
نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبري ، ص ٣٣٤ .
غوستاف لوبون : حضارات الهند ، ص ٤٢٨ .

أصدر السلطان أكبر مرسوما مطولا عاما سماه " دستور العمل " وذكر في مقدمته أن هذا الدستور وضع للعمل به في كيفية تصريف الأمور وانتظام الأمصار والقرى ، ويعمل به من قبل الأبناء السعداء والأحفاد المخلصين والأمراء الكبار وسائر المسؤولين والعاملين في الدولة ، وخاطب السلطان في هذا الدستور منسوبي الدولة وخاصة الأمراء وحكام الأقاليم كما يلي :

١ — طلب الرضاء الإلهي في جميع الأمور والأعمال من العادات والعبادات وأداء العمل والمسؤولية ، دون النظر إلى النفس أو الغيره

٢ — عدم الركون إلى الخلوة ، لأنها أسلوب الدراويش ، وعدم الاعتياد للجلوس المستمر مع العامة وفي الكثرة ، لأنه عادة السوق ، واختيار منهج وسط بين هذا وذاك .

٣ — محبة الذين أعزهم الله ، وتعود الاستيقاظ في الصبح والمغرب ومنتصف الليل والنهار . (١)

٤ — مطالعة كتب أرباب الصفوة والصفا ، مثل كتب علم الأخلاق ، في الأوقات التي لا توجد فيها أعمال لخلق الله ، لأن علم الأخلاق عبارة عن الطب الروحاني وخلاصة لجميع العلوم ، وقراءته تجعل الانسان يتعرف على غاية مراتب التدين ، دون أن تهزه تسويلات أرباب التزوير والخداع .

٥ — أحسن العبادات هو إكمال وإتمام مهام الخلائق بجبين منبسط ودون النظر إلى الصداقة والعداوة والقرابة وغير القرابة .

---

(١) عبد الصمد : مكاتبات علامي ، ص ٥٧ — ٥٨ .

٦ — الإحسان بقدر المستطاع إلى الفقراء والمساكين ، وخاصة المنـزويين المجردين (١) ، الذين لا يفتحون أفواههم للطلب والسؤال .

٧ — قياس تقصير الناس وزلاتهم وجرائمهم بميزان العدالة ، ومعرفة التقصير الذى يستحق الإغماض عنه من الجريمة التى تستحق السؤال والإعلان عنها ومعاقبة مرتكبيها ، لأنه كم من تقصير يوجب العقاب الشديد ، وكم من تقصير يجب الإغماض عنه . (٢)

٨ — إرشاد المتمردين على تفاوت مراتبهم بالنصيحة والملاءمة والشدة واللين ، فاذا تجاوز الأمر حد النصح ، يعمل بالقبض والضرب وقطع العضو والقتل على تباين المدارج ، ولا يجترأ فى القتل ، بل يتأمل فيه كثيرا ، لأنه لا يمكن توصيل الرأس المقطوع ، وحتى الإمكان يرسل الذى يستحق القتل إلى البلاط ، عارضا حقيقته ، وأما إذا كان حفظ المتمرد أو إرساله يؤدى إلى الفساد ، فينتهى منه ، ولكنه يحترز من التقشير والإلقاء تحت الفيل وأمثال هذه الأعمال التى يقدم إليها السلاطين الكبار .

٩ — معاقبة كل طبقة من الناس حسب حالتهم ، لأن عالى الهمة والفطرة إذا نظرت إليه نظرة الاشمئزاز ، كأنك قتلته ، فى حين تجد صاحب الفطرة الدنيئة ، لا يكفيه الضرب .

---

(١) المجرد : من اصطلاحات الصوفية .

(٢) عبد الصمد : مكاتبات علامى ، ص ٥٨ .
عبد المنعم النمر : تاريخ الإسلام فى الهند ، ص ٢١٣ .

١٠ـ إكرام الذى وفقه الله لقول الحق ؛ لأن الناس عاجزون فيه للغاية ،ولو أخطأ القائل أحيانا ، لا يعاقبه لأن العقاب يسد البيان والكلام.

١١ـ المتملق ليس بصديق ، وكم من أعماله تكون غير صالحه ، ولا يساء الظن بهم كليا لأن الملازمين لا يستغنون عن التملق . (١)

١٢ـ الاهتمام الشخصى بأحوال المتظلمين حتى المستطاع، وعدم تحويل عرائضهم إلى الديوان ، لأنه ربما تكون شكواهم من صاحب الديوان .

١٣ـ كتابة أسماء المراجعين بترتيب مجيئهم ؛ الأقدم فالأقدم ، وتنظر لدعاويهم على هذا الأساس ؛ حتى لا يتحمل الأسبق محنة الانتظار، وحتى لا يكون للمساعدين ، مجالا للتقديم والتأخير .

١٤ـ عدم التسرع فى العقاب ، والتريث لمعرفة المجرم ، لأن المتقولين والمفترين كثيرون ، والصادقين الطيبين قليلون .

١٥ـ العمل بالتأنى والصبر وعدم الاستسلام للغضب ، ويختار عددا من المتعارفين والملازمين الممتازين برجحان العقل والإخلاص، حتى لا يصمتوا عن نطق كلمة الحق ، أثناء هجوم الهم والغم ، لأن العقلاء يتوقفون عن الكلام ، فى مثل هذه الحالة .

١٦ـ الاحتراز عن التحلف ، لأن معناه أن تتهم نفسك بالكذب ، والاحتراز عن تعويد المخاطب بسوء الظن والشتيمة ، لأنه عادة الأجلاف. (٢)

---

(١) عبد الصمد : مكاتبات علامى ، ص ٥٨ ، ٥٩ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٥٩ — ٦٠ .

١٧ــ الاهتمام بالتقاوى (١) وتوسعة الزراعة وتنميتها والعمل لاستمالة الرعايا حتى تكثر الأمصار والقرى والقصبات سنة بعد سنة .

١٨ــ التساهل فى طلب المحصول ، حتى تتحول أراضى البور إلى أراضى زراعية .

١٩ــ تفقد أحوال صغار الرعايا فردا فردا ، وعدم الانصراف عن القرارات تحت أى اسم أو رسم ، وعدم إنزال الجنود وغيرهم فى بيوت الناس ، دون رضاهم .

٢٠ــ ضرورة المشورة وعدم الاستبداد بالرأى ، وعلى رجال الدولة أن يستشيروا من هو أعلم منهم بالأمر ، ولو لم يجدوه ، لا يتركون المشورة أيضا ، لأنه كثيرا ما يوجد طريق الحق بواسطة جاهل ، وكذلك يحترز عن استشارة الكثيرين ، لأن العقل الواعى عطاء من الله ، ولأنه ربما يخالف فى الأمر جمع من الجهال ، فيشوشون فى كيفية تصريف الأمور ، ويبعدون الشخص عن الاستفتاء بعقله وعقل الواعين الصلحاء الذين هم قليلون دائما . (٢)

٢١ــ كل عمل يستطيع الملازمون القيام به ،لا يحوله المسؤول فى الدولة إلى أبنائه ، وكل ما يستطيع أبناؤه القيام به ، لا يتكلفه هو ، لأنه إذا فات الآخرين شئ ، يستطيع تداركه ، وأما اذا فاته شئ يصعب تلافيه .

٢٢ــ إن أمر السياسة هو أدق أمور السلطنة ، ويحتاج تصريفها إلى التأنى والفهم ، وعلى المسؤول فى الدولة أن يستمع إلى الأعذار ، لأن الإنسان

---

(١) التقاوى : ما يقدم للعامل أو المزارع مسبقا ، والمبلغ أو البذر الذى يقدمه المالك للمزارع ، ويسترده بعد حصاد المحصول . (عميد : فرهنك عميد ،ص٥٩٩)

(٢) عبد الصمد : مكاتبات علامى ، ص ٦٠ .

ليس بدون خطأ وتقصير ، وقد يؤدى التشدد مع المقصر إلى أن يصبح أكثر جرأة ومغامرة فى ذلك ، وقد تسوقه الغيرة إلى الغربة ، والملاحظ أن هناك من يجب تأديبه بسبب ذنب واحد ، وهناك من يجب الإغماض عن ألف من تقصيراته .

٢٣ — يسلم أمر مراقبة الطرق إلى أناس شجعان يتقون الله ، فيكون موضع السؤال صلحاء الطرق وأشرارها ، ويكون المسؤول فى الدولة دائم الاطلاع على مجريات الأمور ، لأن السلطنة والقيادة عبارة عن المراقبة والحراسة (١) .

٢٤ — إن الإنسان لا يقبل الضرر لنفسه فى أمر الدنيا وهى فانية ، فكيف يختار الضرر عن علم فى أمر الدين وهو باق ، فلو كان الحق معه يجب اتباعه ، ولو اختار غير الحق عن جهل ، فهو مسكين ومريض وجاهل ومحل ترحم وإعانة ، وليس موضع التعرض والإنكار ، فعلى المسؤول فى الدولة أن يحب صلحاء كل طائفة ومن يفكر خيرا .

٢٥ — على المسؤول فى الدولة أن لا يسرف فى النوم والأكل والشرب ، ولا يتعدى حد الضرورة ، حتى يتجاوز حدود الحيوانية ، ويختص برتبة الانسانية .

٢٦ — على المسؤول ، أن لا يترك عمل النهار إلى الليل بقدر المستطاع ، وأن لا يكون شديد العداوة مع الناس ، وأن لا يجعل صدره سجنا للحسد .

٢٧ — لا يضحك المسؤول ولا يهزل إلا قليلا ، ويراقب الجواسيس دائما ، ولا يعتمد على قول جاسوس واحد ، لأن الصدق وعدم الطمع نادران جدا ،

---

(١) عبد الصمد : مكاتبات علامى ، ص ٦٠ — ٦١ .
عبد المنعم النمر : تاريخ الإسلام فى الهند ، ص ٢١٣ .

فيعين في كل مسألة عددا من الجواسيس الذين لا يعرف بعضهم البعض ، ويكتب تقارير كل واحد منهم منفصلة ، فيتأكد من خلالها على الحقيقة ، ويعزل الجواسيس الذين يبحثون عن الشهرة ويبعدهم عن النظر .

٣٨ — لا يقرب المسؤول إلى نفسه الأشرار ، ولكن وجود هذه الجماعة مفيد لمقابلة الأشرار الآخرين ، إلا أنه يراعي التوازن ويتهم في قلبه هذه الجماعة دائما ، حتى لا يضروا الأبرار في ثوب الصداقة .

٣٩ — يراقب المسؤول أقاربه وخدامه ، حتى لا يستغلوا القرابة ويظلموا الناس ، ويراقب المتملقين الأشرار ، الذين يعملون عمل الأعداء في ثوب الأصدقاء ، وأن الفتن تحدث من هذه الناحية ، ويكون مطلعا من أطرافه وجوانبه ، ولا يطيل في الكلام ، ويعرض ما هو قابل للعرض .

٣٠ — الاهتمام لترويج العلم والحرف والمهن ، حتى لا يضيع أصحاب الاستعداد ويهتم في تربية الأسر القديمة ، ولا يغفل عن تسليح الجند وتجهيزه .

٣١ — الاقتصاد في النفقات ، وأن ينفق أقل من الدخل . لأن مال المعاملات في رهنه ، وقالوا : من زاد صرفه عن دخله فهو أحمق ، ومن تساوى صرفه مع دخله فهو ليس بعاقل ولا بأحمق .(١)

٣٢ — لا يركن المسؤول للإقامة ، ويكون دائم الاستعداد للملازمة ، ودائم الانتظار للطلب ، ولا يخلف في الوعد ، ويكون سالم القول ، خاصة مع متولي أشغال السلطنة .

---

(١) عبد الصمد : مكاتبات علامي ، ص ٦١-٦٢ .
عبد المنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٢١٣ .
ول ديورانت : الهند وجيرانها ، ص ١٣٦ .

٣٣ ــ على المسؤول أن يتدرب دائما على الرمى واستعمال البندقية ، وأن يأمر الجند بالتمرينات الرياضية ، وأن لا يشغف للصيد ، بل يقوم به أحيانا لرياضة الجندية وتنشيط الخاطر الذى لا بد منه فى الدنيا .

٣٤ ــ على المسؤول أن لا يأخذ الغلات من الرعايا دفعة واحدة بقصد ادخارها فترتفع أسعارها .

٣٥ ــ على المسؤول أن يضرب النقارة أثناء طلوع الشمس ،وفى منتصف الليل ، لأنه فى المعنى بداية الطلوع ، وفى أثناء تحويل الشمس من برج إلى برج تطلق البنادق والمدافع طلقاتها ،حتى يطلع جمهور الأنام فيشكروا .

٣٦ ــ على الوالى أن يترك واحدا من الناس فى البلاط ، حتى يقدم عرائضه إلى السلطان . (١)

٣٧ ــ العناية للكوتوالية بالحفاظ على قوانينها وترويجها ، وعلى الولاة أن لا يحقروا هذا العمل ،بل يعتبروها عبادة عظمى ، وإن لم يكن فى إقليمهم كوتوال (٢) ، يقوم الوالى بمهامه ، إلى أن يعين كوتوال آخره

هذا وكانت الكوتوالية من أهم الوظائف الموجودة فى جميع أنحاء الدولة ، ولقد اهتم بها الدستور المذكور مشرحا مهامها كالآتى :

---

(١) عبد الصمد : مكاتبات علامى ، ص ٦٢ .

(٢) كوتوال : لفظ مفرس من الهندية بمعنى صاحب القلعة ، ولكن الكوتوالية كنظام من النظم الموجودة فى دولة أكبر ، أوسع بكثير معنى ودلالة كما هو الموضح أعلاه .

يقوم الكوتوال بتسجيل كل مدينة وقصبة وقرية ، وكل بيت وعمارة . ويسجل سكان كل محلة بيتا بيتا ، ويربط البيوت بعضها بالبعض ، حتى يكون الواحد ضامنا للآخر ، ويوزعها على محلات ، ويعين على كل محلة أميرا ، حتى يعرف طيبها وخبيثها باستصوابه ، كما يعين على كل محلة جاسوسا ، يكتب وقائعها اليومية ، ويسجل أسماء الواردين إليها والخارجين منها ، ويقرر أنه لو جاء لص أو حدث حريق أو وقع أمر غير سار آخر ، يقوم الجيران بنجدة بعضهم البعض وكذلك يبادر إلى المساعدة صاحب المحلة وسائر المطلعين ، ولو لم يقوموا بهذا العمل دون عذر ، اعتبروا مذنبين .

ولا يستطيع أحد أن يغادر محلته دون علم من جاره وميز محلته وصاحب الخبر فيها ، وكذلك لا يسمح بنزول أحد في المحلة دون أن يكون هناك من يكفله ، والجمع الذى لا ضامن لهم ، يوضعون في خانات منفصلة والتى يبنيها الكوتوال لهذا الغرض ، ويعين عليهم أمير المحلة وصاحب الخبر .

على الكوتوال أن يدرك بفراسته وبعد نظره ، أن من تزيد مصارفه عن عوائده ، فلا بد أن يكون من ورائه سبب غير جائز ، وفى مثل هذه الحالة يقوم الكوتوال بالتحقيق في الأمر ، دون أن يفقد نظرته الخيرة ، ويعتبر هذا التحقيق مطلوبا للانتظام وليس رأس مال الأخذ والجر . (١)

---

(١) عبد الصمد : مكاتبات علامى ، ص ٦٢-٦٣ .
عبد المنعم النمر : تاريخ الاسلام فى الهند ، ص ٢١٣ .

يقوم الكوتوال بتعيين الدلالين على الأسواق ،ليعلنوا عن كل شئ يشترى ويباع ، ويقرر أن كل من يشترى أو يبيع دون الإعلان مسبقا ، فسيكون عرضة لدفع الغرامة ، ويسجل في الصحيفة اسم المشترى والبائع ، وكل شئ يشترى أو يباع في السوق ، يكون بعلم من مير المحلة وصاحب الخبر فيها .

وعلى الكوتوال أن يعين عددا من الأفراد للحراسة الليلية ، وذلك في كل محلة وشارع وضاحية ،ويسعى أن لا يكون في المحلة والسوق والشارع أي أجنبي ويعقب اللصوص حتى لا يكون لهم أى أثر ؛ فإذا حدث أن ضاعت الأموال أو نهبت ،يقوم بالبحث عنها وعن لصوصها ، فإن لم يستطع يكون مسؤولا عنها .

وكذلك يحقق في أموال الغائب والمتوفى ، فإن كان هناك وارث تترك له ، وإلا تسلم إلى الأمين ويقدم شرحا عنها إلى البلاط ،حتى إذا حدث أن وجد صاحب الحق ،يحصل على أمواله .

على الكوتوال ، أن يبذل قصارى جهده في محاربة الخمر حتى لا يبقى أثر منه ، ويؤدب شاربه وبائعه وصانعه ، وذلك باتفاق مع الحاكم وبطريقة تكون عبرة للناس ، ولكنه لا يتعرض لحكيم وفطن ، يستخدمه في أغراض العلاج وصنع الأدوية .(١)

يقوم الكوتوال بمراقبة الأسعار ومحاربة الاحتكار ؛ فيهتم أن تكون الأسعار نازلة ورخيصة ، ولا يسمح لأصحاب الأموال بأن يشتروا البضائع الكثيرة ثم يدخرونها ليبيعوها بالتدريج .

---

(١) عبد الصمد : مكاتبات علامى ، ص ٦٣–٦٤ .
عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام فى الهند ، ص ٢١٣ .

وعلى الكوتوال أن يهتم بإقامة الاحتفالات في الأعياد وفى مقدمتها احتفالات النوروزيـة (١) .

وعلى الكوتوال أن يمنع ركوب النساء على الحصان بدون ضرورة ، وأن يفصل أماكن غسل الرجال وحمل المياه فى الأنهار ، ويجعل للنساء أماكن خاصة بهن (٢) .

ومن التشريعات التى سنها السلطان أكبر مرسومه الصادر فى إعفاء الناس عن تأدية بعض الضرائب ، ولقد أصدر هذا التشريع فى سنة ألف من الهجرة ، وفى السنة السابعة والثلاثين من حكمه ، ولقد قال فى تعليله لإصدار ذلك المرسوم :

المنـة لله ، بإضاءة لوامع العدالة ، أصبحت مدن هندوستان الكـبرى وسائر الممالك المحروسة ، منهل أصناف النعيم ومأمن مسافرى الأقاليم ، وفـى هذه الآوان وبموجـب توسعة المراحم الذاتية وتكملة المكارم الفطرية ، صدر حكـم نافذ وأمر جازم بالإعفاء عن تأدية التمغـا (٣) والبـاج (٤) والضرائب ، وغير ما كان يؤخذ قليلا كان أو كثيرا ، وفى جميع الممالك المحروسة ، وذلك من أصنـاف

---

(١) نوروز : اليوم الجديد ، وهو اليوم الأول من شهر الحمـل ، ويكـون بداية للسنة الشمسية الجديدة .

(٢) عبد الصمـد : مكاتبات علامى ، ص ٦٤ .
عبد المنعم النمـر : تاريخ الإسلام فى الهند ، ص ٢١٣ .

(٣) تمغا : كلمة تركية بمعنى الضرائب التى تحصل من التجار فى بوابات البلاد ومعابر البحار . (غياث اللغات ، ص ١٢٨) .

(٤) باج : ما يحصل عن شئ غير مملوك ، بـل يكون بسبب حق الصيانـة أو الإعانة ، فما يحصله الملوك الكبار من الملوك الضعاف ، يكـون بسبب حق الإعانة ، وما يحصله من التجار يكون بسبب حـق الصيانة . (مكاتبات علامى : ص ٦٧ ، حاشية ٥) .

الحبوب والغلات والنباتات ، من أغذية وأدوية وسمن وملح وسكر وأقسام العطريات وأنواع القطن والأسباب الصوفية والأدوات الجلدية ، وسائر الأشياء والأسباب والأمتعة والأجناس التى عليها مدار معاش جمهور الأنام وملاك معيشة الخواص والعوام سوى الخيل والفيل والإبل والغنم والمعز والأسلحة والقماش ، ولقد كان استمرار أمثال تلك الأمور فى السلطنة إلى هذا الوقت ، بفرض أن لا يتطاول الأقوياء على الضعفاء ، والآن وبعد أن تمكنت الهيبة والأبهة الباد شاهية من السيطرة على قلوب الناس ، وعمت أنوار العدالة والرأفة أقطار الممالك وأكنافها ، أمرنا بإعفاء تحصيل تلك الأشياء ، شكرا لألطاف المنعم الحقيقى ، ما عدا الأشياء السبعة المذكورة آنفا والتى استثنيت حفاظا على مصالح الحكم .

وعلى الأبناء السعداء والأمراء الكبار ومتولى مهام الولايات وحكام البلاد وإقطاعيى الأمصار وعمال الخالصات ومقاطعى (١) المواضع والقصبات وجميع محافظى الطرق وأماكن عبور الأنهار ، وضباط المسالك وملاك الأراضى ومشاهير الممالك ، أن يصغوا إلى مضمون المرسوم ويهتموا بتنفيذ هذا الحكم اهتماما بالغا ، وأن لا يغفلوا عن تطبيقه دقيقة واحدة . (٢) .

---

(١) مقطع : الذى يقطع معاملات الناس ودعاويهم .
(غياث اللغات ، ص ٤٩٢) .

(٢) عبد الصمد : مكاتبات علامى ، ص ٦٧ — ٦٨ .
نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٤٤ .
ول ديورانت : الهند وجيرانها ، ص ١٣٥ — ١٣٦ .

وكذلك أمر السلطان بتحرير العبيد ، قائلا : إن المالك الحقيقي هو الله ولا تليق هذه الصفة إلا لله ، كما أن الناس جميعهم عباد الله ، فكيف للعبد أن يعتبر نفسه صاحبا ويقبل الآخرين عبيدا له ، فحرر في حينه ٩٩٠هـ(١٥٨٢م) آلافا من العبيد وضمهم في سلك خدمة البلاط .(١)

---

(١) أبو الفضل علامى : أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ٣٦٦ .

أما فى المجال الاقتصادى فقد كانت الزراعة تحظى باهتمام الدولة الكبير ، وقد رأينا أن الدستور نص على تقديم التقاوى للمزارعين والعمل لتنمية الزراعة وتوسيعها .

وقد كان أكثر أراضى هندوستان الوسيعة غير مزروعة ولكنها كانت صالحة بأن تعد للزراعة ، فتعود فوائدها وعوائدها إلى المزارع وإلى الدولة أيضا ، وبعد التعمق ودقة النظر ، رأى السلطان أكبر أن تمسح رقبة[1] الأرياف ، وجميع نواحى الممالك المحروسة ، وتفصل منها الأراضى التى يمكن أن تصل قيمة إنتاجها بعد الزرع ، إلى واحد كرور[2] تنكه[3] ، ويعين على رأسها واحد من الملازمين الموصوفين بالخبرة والديانة والأمانة ، ويطلق عليه اسم "كرورى" ويرخص إلى عمله هذا بمرافقة من العمال والفوطه دار[4] ، ليبذل قصارى جهده ، ويعد الأراضى صالحة للزراعة فى خلال ثلاث سنوات ، ثم يقدر محاصيلها من الواقع ، وكذلك أمر السلطان أن ترسل إليه نسخة منقحة من مسح جميع أراضى الدولة ، وكان ذلك فى سنة ٩٨٢ هـ (١٥٧٤م) وفى السنة التاسعة عشرة من جلوس السلطان على كرسى الحكم ، ولقد عين لإجراء ذلك

---

(١) رَقَبَة : القرى والأرياف التى تشكل فى مجموعها الأملاك الوقفية أو الخالصة ، الأراضى التى تعطى لأحد ، لكى يستفيد منها إلى آخر عمره . (عميد : فرهنگ عميد ، ص ١٠٥٠) .

(٢) كرور : عشرة ملايين .

(٣) قطع صغيرة من الذهب أو الفضة . (فرهنگ عميد ، ص ٦٢٨) .

(٤) فوطه دار : صاحب الفوطة وهو عبارة عن الذهب الذى يدخله الرعايا إلى الخزانة . (غياث اللغات ، ص ٣٨٠) .

الأمر ، مائة وثمانون عاملا ، وسلم لكل واحد منهم واحد كرور تنكة ، فاشتهروا بالكروريين أو عمال الخالصات[1] ، علما بأن ولايات كجرات وبهار وبنكاله وأوريسه ، استثنيت من هذه الضابطة لأنها ولايات ثغرية ، ولم تكن تشمل تلك الضابطة أيضا ولايات كابل وقندهار وغزنه وكشمير والسند وخانديس ودكن ، لأنها لم تكن قد ضمت الى سلطة الدولة المباشرة ، وأصدر السلطان أوامره أيضا ، بأن يستلم عماله رواتبهم نقدا من خزانة الدولة ، وفى سنة ٩٩٩هـ (١٥٩١م) وهى السنة السادسة والثلاثون من حكم السلطان أكبر ، وزع الخالصات إلى أربعة أقسام ، وعين على كل قسم منها أحد رجالاته مشرفا ، فكانت ولايات پنجاب وملتان وكابل وكشمير لخواجه شمس الدين ، وولايات أجمير وكجرات ومالوه لخواجه نظام الدين أحمد بخشى ، وولاية دهلى لراى پيتر داس وولايات آكره وإله آباد وبهار لراى رامداس .[2]

وكان من شدة حرص السلطان على المحاصيل أنه كان يأمر بالمحافظة على المزارع أثناء مرور الجند وتعويض المتضررين ، ففى سنة ٩٨١ هـ (١٥٧٣م) عندما كان أكبر شاه متوجها الى أجمير ، أمر أحد قواده وهو دلاورخان ،

---

(١) خالصة : الأراضى التى تتعلق للدولة ، الأراضى السلطانية . (فرهنگ عميد ، ص ٨٢٥) .

(٢) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣١١ ، ٣٢٣ .
أبو الفضل علامى : آئين أكبرى ، ج ٢ ، ص ٢٨٧ — ٢٨٨ .
" " : أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ٦٣٤ .
غوستاف لوبون : حضارات الهند ، ص ٤٢٤ .

بأن يحافظ على المزارع التى تقع فى طريق الجند أو قرب معسكرهم ، وذلك بمساعدة من وحدة اليساول (١) ، وبالاضافة الى ذلك وظف جمعا من المتدينين أن يتعاقبوا الجند ، ويشاهدوا بدقة بالغة ، المزارع التى تضررت من جراء مرور الجند ، ويعوضوا أصحابها من حساب الديوان ، وأصبحت هذه ضابطة يعمل بها فى جميع الحملات ، وحتى أنه كان فى بعض الحملات تسلم للأمناء خرائط من الذهب ليحاسبوا حق الرعية ، ويعوضوا أصحاب المزارع نقدا ، ثم يقدموا حسابات ما صرفوه للديوان . (٢)

وكذلك امتدت إصلاحات السلطان أكبر إلى نظام الخراج الذى كان يعد أهم موارد الخزينة بعد رفع ضريبة الرؤوس عن الهنادكة وإعفائهم من ضريبة زيارة أماكنهم المقدسة ، ففى السنة الرابعة والعشرين من حكمه ٩٨٧هـ (١٥٧٩م) وضع السلطان نظام " ده ساله (٣) " وذلك بعد أن امتدت وتوسعت رقعة الدولة وضمت إليها عدد من الممالك التى أزيلت من الوجود ، وكانت تقارير تحصيل الضرائب الزراعية تتفاوت بعضها عن بعض مسيئة إلى الجند والرعية ، وبدأت ترتفع الشكاوى ، مما دفع خبراء الدولة إلى البحث عن إيجاد حل لهذه المشكلة ،

---

(١) يساول : كلمة تركية ، وتعنى هنا الوحدة التى تقوم بتنظيم صفوف الجيش .

(٢) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣١٣ .

(٣) ده ساله : السنوات العشر .

وانتهى الأمر إلى وضع نظام " ده ساله " حيث تم تقدير الضرائب على أساس متوسط الإنتاج في السنوات العشر السابقة ، وكلف المزارعون بتأدية عشر ذلك المحصول إلى الدولة ، بعد التعرف على الأراضي من حيث كونها يزرع في مدار السنة أولا ، وما يعتمد منها في السقي والري على الأمطار وما يسقى منها من الأنهار والينابيع والآبار ، وما هو في حكم البور وما يقع منها في السهل أو يقوم على سفوح الجبال أو تغطية الأعشاب والغابات ، ولقد سمي كل نوع من أنواع تلك الأراضي بأسماء خاصة تدل على نوعيتها وبالتالي تقرر كمية تحصيل الخراج المطلوب منها ، فهناك پولج (١) وپروتی (٢) وچچر (٣) وبنجر (٤) ، وغيرها ، كما صدرت الأوامر إلى جباة الخراج بأن يصبروا على الفلاحين في تحصيل الأموال السلطانية ، وأن يمدوهم من بيت المال في سني القحط وكان وزيرا السلطان راجه تودرمل وخواجه شاه منصور قد كلفا بوضع نظام " ده ساله " إلا أن راجه تودرمل أرسل لتدارك الأوضاع في الديار الشرقية ، فقام الثاني بوضع ذلك النظام. (٥)

---

(١) پُولَج : كلمة هندية تعني الأراضي التي تنتج عاما بعد عام وفصلا بعد فصل ولا تفقد قدرتها الإنتاجية .

(٢) پَرَوْتي : كلمة هندية تعني الأراضي التي تزرع أحيانا وتترك أخرى .

(٣) چَچَـر : كلمة هندية تعني الأراضي التي تزرع مرة واحدة في كل أربع سنوات .

(٤) بَنَجَرْ : كلمة هندية تعني الأراضي التي تزرع مرة واحدة في كل خمس سنوات .

(٥) أبو الفضل علامي : أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ٢٤١ .
" " : آئين أكبرى ، ج ١ ، ص ٣٦٦ .
أحمد محمود الساداتي : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ، ج ٢ ، ص ١١٧–١١٨ .
بيفردج وديفز : دائرة المعارف الإسلامية ، ج ٤ ، ص ١٤٨ .
شكيب أرسلان : حاضر العالم الإسلامي ، ج ٤ ، ص ٣٠٥ .

وكذلك كانت التجارة رائجة داخليا وخارجيا ، وكان السلطان أكبر يميل للخيول كثيرا ، فكان التجار يقومون باستيراد الخيول العراقية والعربية والإيرانية والرومية والتركستانية ، وكذلك كانت الخيول تستورد من بدخشان وشروان (١) وتبت وكشمير وسائر البلدان ، وكان يتوالى وصول قوافل الخيول من توران (٢) وإيران ، وكان يوجد في طويلة السلطان اثنى عشر ألفا من الخيل (٣) ، كما كانت هناك علاقات تجارية ، بين دولة المغل وبين الوجود البرتغالي في ميناء كَوه ، وكانت العاصمة آكره نشطة في تبادل السلع التجارية ، وكان يجتمع فيها كبار التجار من الداخل والخارج ، كما كانت فيها محلات خاصة للتجار الأجانب ، ومنها محلة لتجار الإفرنج ، كانت تسمى بغرنكَى توله ، فكان تجار الإفرنج يقومون فيها بتسويق بضائعهم ، كما كانوا يقومون بشراء السلع التي يرغبون تصديرها إلى بلدانهم . (٤)

وفي عهد السلطان أكبر وخليفته جها نكَير ، كانت قطع النقود في الهند أرقى من مثيلاتها في أية دولة أوربية حديثة ، من حيث تصميم شكلها من الوجهة الفنية وصفاء معدنها . (٥)

---

(١) شروان : ولاية في الجنوب الشرقي من القفقاز .

(٢) توران : ما وراء النهر .

(٣) أبو الفضل علامي : آئين أكبرى ، ج ١ ، ص ١٦٣—١٦٤ .

(٤) أبوالفضل علامي : أكبرنامه ، ج ٣ ، ص ١٩٦ .

لا له سيل چند : تفريح العمارات ، ص ٧٠ ، ٩٦ .

(٥) ول ديورانت : الهند وجيرانها ، ص ١٥٧ .

وكان السلطان يهتم بانشاء الطرق ومرافقها وأمنها ، لتسهيل التردد بين المدن الهندية وأقاليمها ، وبالتالى تنشيط الحركة التجارية ، وكان يأمر بحفر الآبار على الطرق وعلى بعد كل كروه واحد ، كما كان يأمر برفع المنارات المزينة بقرون الغزلان ، لتكون دليلا للمسافرين (١) .

وكان لإعفاء السلطان ضرائب الباج والتمغا أثره فى تنشيط التجارة ، حيث أصدر السلطان فى سنة ٩٨٨هـ (١٥٨٠م) وهى السنة الخامسة والعشرون من عمره ، أمرا بالاعفاء من هاتين الضريبتين قائلا بأن الفاتحين والسلاطين يقومون بتحصيل مثل هذه الضرائب حتى يجهزوا لهم أسباب التوسع والفتح وليسخروها فى انتظام أمور السلطنة ، ولكن الله سخر لنا ممالك عديدة من السلاطين العظام وخزائنهم ،فلا يليق أن نسعى وراء تلك الضرائب ، بل نصدر أوامرنا الى جميع منسوبى الدولة بأن لا يزاحموا التجار ولا يتعرضوا لهم ولا يطالبوهم بدفع الباج والتمغا اللذين يزيد عائدهما عن خراج الأقاليم. (٢)

كما كانت السفن تقوم بنقل البضائع فى السواحل الهندية وأنهارها وكانت للسلطان إدارة بحرية تشرف على بناء السفن وتنظم حركة الملاحة البحرية والنهرية ، كما قامت بتشجيع من السلطان وتوجيه منه ، عدة مصانع لبناء السفن المختلفة الأحجام والأشكال ، وذلك فى السواحل الشرقية والغربية والجنوبية ، وكذلك كانت السفن تصنع فى إله آباد ولاهور ثم تنقل إلى المياه

---

(١) سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٨٠.

(٢) أبو الفضل علامى : أكبرنامه ، ج ٣ ، ص ٢٥٩.

المالحة ، كما كان هناك الملاحون المهرة الذين يعرفون المد والجزر والعمق ، وأوقات هبوب الرياح المختلفة ، وأماكن الصخور والجبال الموجودة تحت الماء وقد استجمع أمثال هؤلاء الخبراء بعد بحث طويل وخاصة من مليبار ، وكان يتكون طاقم السفن الكبيرة من اثنى عشر فنيا ، منهم الملاح والدليل والسرهنگ الذى كان يدخل السفينة فى الماء أو يخرجها منه ، وكرّانى الذى كان يقدم للركاب الأكل والشرب ، والپنجرى الذى كان يراقب ظهور الساحل والسفن وهبوب الرياح .(١)

كانت أنواع من الأقمشة تستورد من خارج الدولة ، ولكن باهتمام من السلطان بنيت مصانع لإنتاج الأقمشة المختلفة فى مدن لاهور وآكره وفتحبور وأحمد آباد وكَجرات ، كما استجمع الخبراء والفنيون لتدريب تلك الصنعة ، وبدأت مراكز الإنتاج ، تنتج أقمشة مصورة ومنقشة ، والتى أثارت إعجاب السياح والرحالة الخبراء فى معرفة الأقمشة ، وألم الفنيون قواعد تلك الصنعة ،النظرية منها والعملية ، وانتشرت صنعتها فى البلاد ، ووصلت صنعة الأقمشة الصوفية والحريرية إلى أوجها ، وأصبح كل ما كان يستورد من سائر البلاد ، كالأقمشة الإيرانية والإفرنجية والخطائية ، تنتج محليا ، ونتيجة لازدياد الإنتاج وانتشاره انخفضت الأسعار إلى خمسين فى المائة ،ويذكر أبو الفضل فى هذا الصدد ،

---

(١) أبو الفضل علامى : آئين أكبرى ، ج ١ ، ص ٢٥١ .
أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ، ج ٢ ، ص ١٢١ .
ول ديورانت : الهند وجيرانها ، ص ١٥٧ .

أنواعا من الأقمشة والملابس الموسمية التى كانت تنتجها المصانع ، وكذلك أنواع البطانيات المطرزة بالذهب ، والنسجية والحريرية والصوفية ، مبينا فى تسع صفحات من الجداول ، أسعار كل جنس ونوع من البطانيات .(١)

كما كانت خزائن السلطان أكبر مليئة بكميات خيالية من الذهب ، ويذكر السلطان سليم فى مذكراته ، بأن خزائن أبيه كانت خارجة عن العد والحصر ، ويذكر على سبيل المثال أن أباه أمر قليج خان ، بأن يذهب إلى آكره ويزن خزينتها ذهب ومعه أربعمائة قبانى ، وقاموا بوزن الذهب فى خلال خمسة شهور ، وبعد هذه المدة أرسل إليه أكبر شاه شخصا يسأله عن كمية الذهب الموجود ، فأجابه بأننا فى خلال هذه الشهور الخمسة ، نقوم بوزن الذهب مع ألف شخص وأربعمائة قبانى ، ولم نفرغ إلى الآن من خزينة واحدة ، فأرسل إليه السلطان من يأمره بأن يتوقف عن وزن الذهب ويعيد ما سحبه إلى مكانه ثم يقفل الباب ويختمه فيعود إليه ، وهذه كانت حال خزينة مدينة واحدة ، كما كان بحوزة السلطان اثنا عشر ألف فيل طائش ، وكان عشرون ألفا من أنثى الفيلة تخدم الفيلة الذكور الآنفة الذكر ، وكانت تصل نفقاتها فى كل ليلة إلى أربعمائة ألف روپية ، وهذا عدا الفيلة الغير الطائشة التى لم تكن لها أهمية فى الحروب والمعارك ، وكذلك كانت فى حظيرة السلطان آلاف من الغزلان والأبقار والنعام وغيرها (٢) .

---

(١) أبو الفضل علامى : آئين أكبرى ، ج ١ ، ص ١١٣—١١٦ .
أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ، ج ٢ ، ص ١٢٤ .

(٢) سليم شاه الهندى : تاريخ أكبر شاه ، ق ٣١ أ .

وكذلك نشاهد ثروة الدولة من إنعامات السلطان ، ومنها أنه كان في صحن قصر الحكم في فتحبور حوض مساحته عشرون في عشرين ذراعا ، وعمقه ثلاثة أذرع وأمر السلطان ، أن يملأ الحوض من المبالغ ، ولما وضعوا فيه سبع كرورات روبية ، عرض راجه تودرمل بأن الحوض لم يملأ ، فأمر السلطان أن يزيدوه حتى يمتلئ فلما امتلأ ، جلس السلطان إلى جواره وأخذ ينعم منه على الأمراء والفقراء والمشايخ والعلماء ، وتم توزيع ذلك المبلغ الذى بلغ عشرين كرور تنكه ، في خلال ثلاث سنوات(١) ، وكذلك نرى هذه الثروة الهائلة في تقديم أحد رجالات السلطان تحفا وهدايا له ولحاشيته ، وهو مرزا عزيز كوكبه الذى دعا السلطان إلى ضيافته ، فقدم له في آخر أيام الضيافة عددا من الخيول العربية والعراقية مع سروج ذهبية وفضية ، وعددا من الفيلة العملاقة مع سلاسل ذهبية وفضية وجلال مخملية سندسية ، وجواهر ولآلي ويواقيت ، والنمر والكرسي الذهبي ، وأواني ذهبية وفضية ، وأقمشة إفرنجية وروسية ((وسائر نفائس الأجناس والتي لا يحدها القياس)) وقدم أيضا هدايا لسائر أركان الدولة والمقربين إلى السلطان ، وجميع أصحاب المناصب وأهل الفضل الذين كانوا ملازمين له ولجميع الجند المصاحب للسلطان .(٢)

---

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٤٠ — ٣٤١ .
محمد عبدالله خان : تذكرة في سير آكره ، ق ٣٨ ب .

(٢) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٩٠ .

كان السلطان أكبر محبا للعلم والمعرفة ، وكان يبحث عن العلماء وأصحاب الفنون فى كل مكان ، ويعمل على استدعائهم إلى دولته ، كما كان حريصا على تدوين الحوادث التاريخية ، ولقد أمر أن يدون كل ما يعرف عن جده بابرشاه وعن أبيه همايون شاه ، كما كان المحررون يصاحبون الفتوحات ليكتبوا عن وقائع الفتح عن قرب ومشاهدة (١) .

كان الشيخ أبو الفيض فيضى الشقيق الأكبر لأبى الفضل ، من العلماء والأدباء الذين نالوا قرب السلطان وعطفه ، ولقد صاحب البلاط منذ سنة ٩٧٥هـ(١٥٦٧م) ، وهى السنة الثانية عشرة من حكم أكبر ، واستمر إلى أن توفى سنة ١٠٠٣ هـ(١٥٩٤م) ، ولم يكن له نظيرا فى الشعر والكلام الملون والنكت والبديهة ، وتصاعد قدره فى البلاط إلى أن نال لقب " ملك الشعراء " فى سنة ٩٩٣ هـ(١٥٨٥م) ولقد ضم ديوانه أكثر من عشرين ألف بيت ، كما ألف باسم السلطان عدة مؤلفات فى المجالات المختلفة من المعرفة ، وفى مقدمتها تفسيره للقرآن الكريم تفسيرا غير منقوط والذى سماه بسواطع الإلهام ، وكان ذلك فى سنة ١٠٠٢هـ) ١٥٩٣م) ، كما كان أبو الفيض فيضى مربيا ومعلما للأمراء أبناء السلطان أكبر (٢) ، ولقد ترك الفيضى من بعده مكتبة كبيرة ضمت قرابة خمسة

---

(١) گلبدن بيگم : همايون نامه ، ص ١
نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣١٠ .
(٢) سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٤٢٢ .
محمد على خان أنصارى : تاريخ مظرفى ، ق ٣٥ أ .
أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية وحضارتهم ، ج ٢ ، ص ١٢٣ .

آلاف مجلد من النوادر في الشعر والطب والفلك والموسيقى والرياضيات والفلسفة والحديث والفقه ، وقد نقلت جميعها على إثر وفاته إلى البلاط بعد تصنيفها .

وكان السلطان إذا سمع عن مؤلَّف مهم أو عالم كبير ، عمل لاستدعائه . ولقد أرسل في طلب أحد علماء شيراز وهو چلپى بيگ قائلا له : " إنه يبحث دائما عن أهل الاستعداد من كل صنف وتربيتهم ، وسيط مفتر في بحار العلوم والحكم ، وأنه لما سمع عن فضائله وكمالاته الكسبية والوهبية ، اهتم بطلبه فيستحسن أن يشد محمل الأمل إلى هذا الصوب الصواب ، ويهتم في مجيء أرباب الاستعداد وسوقهم إلى الحضور الغائض السرور بأسرع وقت ممكن "(١) كما أرسل السلطان الى البرتغاليين خطابا يقول فيه : إنه سمع أن هناك كتبا سماوية مثل التوراة والإنجيل والزبور قد ترجمت إلى اللغة العربية والفارسية ، فلو وجدت في تلك الولاية مثل هذه الكتب المترجمة أو غيرها مما ينفع نفعا عاما ويفيد فائدة تامة ، فنحن نرى أن تقوموا بإرسالها .(٢)

كذلك أرسل السلطان مبعوثا إلى حاكم كاشغر في ختا (٣) ، للبحث عن مشاهير الفنانين والحرفيين والصناعيين الموجودين هناك ، وكان التجار من

---

(١) عبد الصمد : مكاتبات علامى ، ص ٧٧ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٣٩ .

(٣) ختا : اسم أطلق في الأدب الفارسي على الصين الشمالي (ضواحي منغوليا ومغولستان ، وتركستان الشرقية) وأخذ من اسم طائفة " ختاى " إحدى طوائف المغل الذين استولوا تلك النواحي في أواخر القرن الثالث الهجري . (فرهنگ عميد ، ص ٨٣٦) .

الذين يخبرون السلطان بوجود كبار العلماء والأدباء ومشاهير الفنانين والحرفيين والمؤلفات المختلفة الموجودة في سائر البلدان .(١)

وعلى الرغم من أن أكبر شاه كان أميا ، إلا أنه كان يقول الشعر أحيانا وكان عارفا بالتاريخ وقصص الهند ، ونتيجة صحبته مع علماء كل قوم وفضلائهم وبذكائه الفطرى ، كان يعرف جيدا لغات الكثيرين من رعاياه ، وخاصة لغة السنسكرت ، وأكثر من هذا فقد عمل السلطان أكبر على إحياء التراث الهندى القديم ، فأصدر أوامره بأن تترجم إلى الفارسية أمهات كتبهم التى كتبت بالسنسكريتية ، وجاء على رأس هذه الكتب كتاب مها بهارت الذى ترجم إلى الفارسية وسميت ترجمته بـ" رزم نامه "(٢) وهو أعظم كتاب فى قصص البراهمة ، ويعتبر ملحمة الهند الكبرى تشبه الإلياذة عند اليونان ، وهو من الكتب الهندية القليلة التى يعرف مؤلفها وهو وياس ، وقد وقعت هذه الملحمة الكبرى حوالى سنة ٩٥٠ ق م ، وهى تصف حربا بين أمراء أسرة ملكية واحدة ، ولكن جميع ملوك الهند اشتركوا فيها مع هذا الجانب أو ذاك ، وكذلك ترجم كتابا الفيدا والرامائن من الكتب المقدسة التاريخية عند الهنود وسائر أصول الفلسفة الهندية .(٢)

---

(١) عبد الصمد : مكاتبات علامى ، ص ٣٤ .

(٢) رزم نامه : كتاب المعارك .

(٣) سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٧١ .
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٧١ .
نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٥٤ — ٣٥٥ .
محمد عبد الله خان : تذكره فى سير آكره ، ق ٣٨ ب .
أحمد شلبى : أديان الهند الكبرى ، ص ٧٧ .

وقد ترجم إلى الفارسية أيضا الإنجيل وكتاب حياة الحيوان للدميرى ، وكتاب تزك بابرى الذى يحتوى على مذكرات بابر شاه ، وكتاب معجم البلدان وغيره من الكتب المؤلفة بالعربية والسنكسريتية واليونانية والتركية ، وكان لعبد القادر بدايونى وأبى الفضل وأبى الفيض الدور الأكبر فى حركة الترجمة هذه ، كما كان لهم دورهم فى التأليف ، ولقد كتب أبو الفضل كتابين مهمين هما " أكبر نامه " و " آئين أكبرى " ويحتوى الأول على تفاصيل التفاصيلى لتاريخ دولة السلطان أكبر ، ويقع فى ثلاثة مجلدات ضخمة ، كما يحتوى الكتاب الثانى الذى يقع أيضا فى ثلاثة أجزاء ضخمة على تقاليد الدولة المغلية ورسوم البلاط ونظام الحكومة وقوانينها ، إلى جانب ما يحويه من حديث مفصل عن الهنادكة ورسومهم وعاداتهم وعلومهم ، كما ألف بدايونى كتابه المعروف " منتخب التواريخ " الذى يقع فى ثلاثة أجزاء ، الأول فى أخبار سلاطين المسلمين بالهند ، من سبكتكين إلى همايون ، والثانى فى أخبار أكبر الى أربعين سنة من جلوسه على العرش ، وهو الكتاب الذى هاجم فيه السلطان أكبر ووزيره أبا الفضل دون أى خوف ، والجزء الثالث فى ذكر من عاصره من الشيوخ والعلماء والشعراء والأدباء وغيرهم الذين تجاوز عددهم الثلاثمائة ، وكذلك ألف نظام الدين أحمد الهروى كتاب طبقات أكبرى ، وعدا هذه ألف وترجمت كتب كثيرة أخرى من الهيئة والنجوم والموسيقى وغيرها ، كما أنشأ

السلطان مكتبة ضخمة جمع فيها المخطوطات النادرة . (١)

كانت الفارسية هى لغة البلاط ولغة الثقافة والدبلوماسية ، ولقد عمل الوزير الهندوكى راجه تودرمل وبتوجيه من السلطان ، إلى تغريس الدواوين خطا ، إذ كان المحررون الهنود قبل هذا ، يكتبون الدفاتر بالخط الهندى فوضع تودرمل دفترا فارسيا على غرار ما كان موجودا بإيران ، والتزم به فى تحرير سجلات الدولة كلها ، وبذلك أصبحت الفارسية لغة الدولة الرسمية ، فأقبل كثير من عمال الدولة من المسلمين الهنود والهنادكة ، على تعلم هذه اللغة مما أدى الى رواجها رواجا كبيرا ، وقد مهد هذا الإجراء إلى ظهور اللغة الأردية التى هى مزيج من لغات المسلمين والهنادكة . (٢)

---

(١) عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام فى الهند ، ص ٢٢٤ — ٢٢٦ .
شكيب أرسلان : حاضر العالم الإسلامى ، ج ٤ ، ص ٣٠٦ — ٣٠٧ .
أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ، ج ٢ ، ص ١٢٢ — ١٢٣ .
ول ديورانت : الهند وجيرانها ، ص ١٣٩ .
أبو الفضل علامى : أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ٦٠٢ .
جلال يحيى : العالم الإسلامى الحديث والمعاصر ، ج ١ ، ص ٤٦٩ .

(٢) سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٤٠٩ .
أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ، ج ٢ ، ص ١١٨ — ١١٩ .
جلال يحيى : العالم الإسلامى الحديث والمعاصر ، ج ١ ، ص ٤٦٢ .
شكيب أرسلان : حاضر العالم الإسلامى ، ج ٤ ، ص ٣٠٥ .

ولقد أنشأ السلطان عددا من المدارس التى كان يدرس فيها أساتـــــذة وافدون من البلدان المختلفة ، وخاصة من فارس وشيراز ، وعلى الرغم من هـــذا فان السلطان لم يقم بانشاء نظام تعليمى عام ٠ (١)

---

(١) لاله سيل چند : تفريح العمارات ، ص ٦٩ — ٧٠٠

هـ٠ج ٠ ولز : معالم تاريخ الإنسانية ، ج ٣ ، ص ٩٦٠ — ٩٦١٠

امتاز عصر السلطان أكبر بازدهار الفنون المختلفة وخاصة الفن المعماري وكان يخطط دائما لإحداث المباني العالية والقلاع العظيمة ، التي كان يراها مطمئنة للضعفاء ، ورادعة للمتمردين ، وعشرة للمطيعين .(١)

ونالت مدينة آكره العاصمة بالغ اهتمام السلطان ، وكانت آكره في سابق أيامها قرية من توابع بلدة بيانه ، واختارها سلطان سكندر لودي أيام حكمه عاصمة له ، وتحولت منذ ذلك الوقت إلى مدينة اشتهرت باسم بادل كده ، وبعد أن انتصر بابر شاه على اللوديين ، اختار مدينة آكره عاصمة لدولته ، لاعتدال جوها الذي يناسب إلى حد ما طبيعة جنوده الذين تعودوا في العيش بأقاليم باردة (٢) ، ولقد سميت آكره بأكبر آباد في زمن حفيد أكبر شاه ، شاه جهان .(٣)

تأتي قلعة آكره في مقدمة المنشآت المعمارية التي أقامها السلطان أكبر في عاصمته تلك ، ولقد بناها على أنقاض القلعة القديمة التي كانت مصنوعة من الآجر ، وبنيت القلعة الجديدة من الحجر المنحوت والجص ، ووضع حجر أساسها في سنة ٩٧٣ هـ (١٥٦٥م) وهي السنة العاشرة من حكم أكبر ، وتم بناؤها في خلال أربع سنوات بإشراف من قاسم خان ، وكان يشتغل فيها يوميا أربعة

---

(١) أبو الفضل علامي : آئين أكبري ، ج ١ ، ص ٢٠١ .
(٢) سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٩ .
لاله سيل چند : تفريح العمارات ، ص ١٧ .
عبدالحي حبيبي : ظهير الدين محمد بابر شاه ، ص ٣٧ — ٣٨ .
(٣) محمد هاشم خوافي خان : منتخب اللباب ، ج ٢ ، ق ١٣١ ب .

آلاف من النحاتين والمعماريين والنجارين والعمال ، وكان بناؤها من الحجر الأحمر ، ولقد وصلت الأحجار على هيئة يراها الناظر من بعيد وكأن القلعة كلها من قطعة حجر منحوت واحدة ، ولقد أحيطت القلعة بخندق عرضه عشرة أذرع ، وكذلك عمقه كان يصل الى عشرة أذرع ، وكانت تأتيه المياه من نهر جون ، كما كان عمق مياه الخندق يصل إلى ثلاثة أذرع.

وكان للقلعة عشرون برجا وأربعة أبواب كبيرة ، كما بنيت بداخل القلعة بيوت رائعة مجصصة ، اهتم بتزئينها كبار أمراء السلطان ، من أمثال راجه تود رمل وراجه بيربل وخان خانان منعم خان ، ولقد زين النقاشون والرسامون قصر الحكم الواقع بداخل القلعة على هيئة ((جعلت آكره خالا فى وجه بلاد الأرض)) ، كما استغرق بناؤ العمارات الموجودة بداخل القلعة أربع سنوات أخرى . (١)

ولقد أصبحت مدينة آكره فى عصر أكبر شاه ، مدينة وسيعة فسيحة عامرة ، وكان يجرى بداخلها نهر جون على مسافة أربع كروهات ، وبنيت على ضفتيها عمارات عالية وقصور فخمة رائعة ، كما كانت آكره رائعة بأسواقها المتعددة

---

(١) محمد عبدالله خان : تذكره فى سير آكره ، ق ٣٨ أ .
لاله سيل چند : تفريح العمارات ، ص ٢٣ — ٢٦ .
سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٥٤ — ٣٥٥ .
نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٥٦ .
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٥٤ .
ول ديورانت : الهند وجيرانها ، ص ١٣٩ .

وحاراتها الوسيعة وشوارعها ومساجدها العالية ومستشفياتها وأبوابها الرفيعة وحماماتها وحدائقها وفواكهها وزهورها وورودها الفاتنة وسقوفها المزينة وقصورها الملونة وأبراجها الشامخة وقبابها وأحواضها وينابيعها وساحاتها الوسيعة وغير ذلك ، كما كان يقيم فيها أناس من كل جنس وديار وكل مذهب ودين ، وكان مجمع تجار الروم والشام ومرجع أصحاب العشرة والنعيم ، وكانت عماراتها مبنية من طابقين إلى خمسة طوابق ، وكانت تتخلل جانبى العمارات رياض وحدائق ، كما بنا فيها الهنادكة من أمثال راجه مانسنگه وغيره من الراجوات معابد خاصة لهم ، كما كان فى حاراتها أماكن خاصة لإطعام الفرباء الفقراء ، وكان توجد فى المدينة خانات وسيعة لاستقبال المسافرين .

وكان السلطان يتردد كثيرا فى سيركرانى إحدى ضواحى عاصمته الممتازة بعذوبة مياهها ولطافة جوها ، فأصدر أوامره أن تبنى فى هذه الضاحية عمارات تتناسب ولطافة جوها ، فبنيت فيها فى فترة وجيزة منازل جميلة ومبان فخمة ، وأصبحت هذه الضاحية بلدة كبيرة سميت ب " شكرختن " (١)

ولقد زار آكره الرحالة الألمانى البرت مندلزلو Albert Mandelslo فى سنة ١٠٤٨هـ(١٦٣٨م) فأعجب بها أشد إعجاب ، وأشار إلى نظافة طرقها واتساعها وإلى أن بعضها كان مغطى بالقباب بالرغم من طوله ، وكتب أن كل نوع من التجارة كان له شارع أو حى خاص ، وأن المدينة كانت تضم

---

(١) شكر : السكر . ختن : اسم مدينة فى حدود الصين .

ثمانين خانا للتجار الأغراب ، كان معظمها ذات ثلاث طبقات ، وكان يتبع كلا منها عدد من المخازن والاصطبلات ،وأحصى هذا الرحالة سبعين مسجدا كبيرا ونحو ثمانمائة حمام في المدينة ، كما شاهد فيها وفي ضواحيها عددا كبيرا من قصور الأعيان والراجوات ، وأعظمها القصور السلطانية المحصنة بخندق .(١)

كان بناء مدينة فتحپور ، عاصمة السلطان الجديدة ، من أهم المنشآت التي تم إحداثها في عصر أكبر شاه .

وكانت هذه المدينة في سابق عهدها عبارة عن قرية صغيرة باسم سكرى ، تقع في منطقة جبلية مليئة بالسبع والوحوش ، وكان يسكنها شيخ صوفي يسمى الشيخ سليم چشتي ، وكان السلطان يتردد عند الشيخ مرة بعد مرة ويمكث عندها أياما ، وحكى له السلطان بأنه لا يبقى له الأولاد في قيد الحياة ، فدعا له الشيخ خيرا ، فحملت إحدى زوجاته ، فجاءت بها إلى منزل الشيخ حيث ولدت للسلطان ابنا سماه الشيخ الأمير سليم ، فنظر السلطان إلى قرية سكرى نظرة تفاؤل ، واختارها أن تكون عاصمة جديدة له ، فبنى قصر الحكم بجوار خانقاه الشيخ ، ثم تابع الأمراء وكبار رجال الدولة بإحداث منازل لهم ، وذلك في سنة ٩٧٩هـ (١٥٧١م) ولما فتحت گجرات بعدها بسنة سمى السلطان عاصمته الجديدة بـ " فتحپور " .

---

(١) محمد عبدالله خان : تذكره في سير آكره ، ق ٣٨ أ .
لاله سيل چند : تفريح العمارات ،ص ١٣ ، ٢٤ ، ٧١ .
سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٩ — ٤٠ .
نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٦٣ .
زكى محمد حسن : فنون الإسلام ، ص ١٣١ — ١٣٢ .

لقد بقيت فتحبور عاصمة للدولة فى خلال أربعة عشر عاما ، إلى أن انتقل السلطان إلى لاهور ليتابع التطورات فى كابل وما وراء كابل فى التوران ، كما ذكرنا فى الفصل الثانى ، ومن لاهور عاد السلطان الى عاصمته الدائمة مدينة آكره .

وفى خلال تلك المدة أصبحت فتحپور مدينة عامرة فسيحة ، كثرت فيها العمارات والحدائق والآبار والأسواق والحمامات وسائر المرافق ، وكان يحيط بالمدينة من ثلاث جهات سور كبير طوله خمسة كيلو مترات ، وتطل من الجهة الرابعة على بحيرة صناعية ، وشيدت فيها قصور فخمة ودور للحكم ، ومنها الديوان العام وقوامه خمس طبقات مدرجة تضيق كلما ارتفعنا ، وكان يتضمن على مائة وعشرين أيوانا ، ومنها الديوان الخاص للاستقبالات الملكية وهو بناء مربع من طابقين له أربعة أبواب وأعمدة تعلوها مقرنصات تحمل السقف ، وتبدو من الخارج فى أركان البناء أربع قباب صغيرة .

ولقد استخدم فى بناء قصور فتحپور ومنازلها ومساجدها ، من الحجر الأحمر والرخام والحجر الأسود .

ويأتى جامع فتحپور من أهم المنشآت التى تم بناؤها فى العاصمة الجديدة ، ولقد وضع حجر أساسه فى سنة ٩٨١ هـ (١٥٧٣م) واستغرق بناؤه أربع سنوات ، وكان بناءا رائعا ، صرف فى إحداثه خمسمائة ألف روبية .(١)

---

(١) محمد عبدالله خان : تذكره فى سير آكره ، ق ١٣ ب — ق ١٤ أ .
نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٨٧ .
زكى محمد حسن : فنون الإسلام ، ص ١٣٠ — ١٣١ .
محمد هاشم خوافى خان : منتخب اللباب ، ق ١٣٨ أ .
سليم شاه الهندى : تاريخ أكبر شاه ، ق ٤ أ — ق ٤ ب .
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٥٩ — ٢٦٣ .

بالإضافة الى آكَره وفتحبور قضى السلطان أكبر بعض سنوات حكمه في مدن أخرى أيضا ، وقد قضى بعض سنوات حكمه في لاهور ، كما بنى مدينة إله آباد الواقعة بين نهرى جمنا وكَنگ في سنة ٩٩١ هـ (١٥٨٣م) وكانت تعرف هذه المنطقة باسم پراگ ، وكان السلطان يتردد إلى مدينته هذه كثيرا ليستجم بجودة مناخها ، ولقد بنى السلطان فيها أيضا قلعة متينة ، كما خطط لبناء القصور فيها ، وكذلك كانت كابل وكشمير وأتك من المدن التى كان السلطان يتردد إليها وبنى فيها بعض المنشآت المعمارية ، وفى مقدمتها القلاع المستحكمة التى تكاد تكون تلازم كل مدينة أو بلدة أحدثها أكبر شاه .(١)

جمعت مبانى أكبرومنشآته المعمارية بين الأسلوبين الإيرانى والهندى ، واستطاع أن يمزج فنون العمارة للأمم التى خضعت لحكمه .

كما تعد العمارة الهندية الإسلامية ، من مبتكرات العصر الأكبرى ؛ ففى القصور والمساجد والحمامات وغيرها من المنشآت ،بمدينة فتحپور على الخصوص ،

= أبو الفضل علامى : أكبر نامه ،ج ٣ ،ص ٢٦٥ .
سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٤٢٠ .
أرنست كونل : الفن الإسلامى ، ص ١٥٥ .
أبو صالح الالفى : الفن الإسلامى ، ص ٢٢٣ .

(١) سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٤١ .
بايزيد بيات : تذكرة همايون وأكبر ، ص ٢١٢ .
نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٨٩ .
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ،ج ١ ، ص ٢٦٤ .
محمد عبدالله خان : تذكره فى سير آكره ، ق ٣٨ أ .
زكى محمد حسن : فنون الإسلام ، ص ١٢٩ .

ما يعد من بين خير نماذجها التى تجلت رائعة فيها بعد في مثوى تاج محل ... الذى يعد من عجائب الدنيا . (١)

كذلك كانت الفنون الجميلة تحظى بعناية السلطان أكبر ، ويزدان بمخلفات عصره الفنية كثير من متاحف العالم الكبرى اليوم ، ومنها متاحف ويانا ولندن .

ولقد وفد إلى بلاط أكبر شاه كثير من مشاهير النقاشين الفرس وعلى رأسهم عبد الصمد الشيرازى ومير سيد على ، فلقوا عنده كل عناية وتشجيع ، ودفع بأكبر ولعه بهذه الفنون إلى أن يأمر بإقامة معرض للنقش مرة فى كل أسبوع تشجيعا منه للفنانين وتشحيذا لهممهم وإغراء لمشاهيرهم بالقدوم إليه ، ولم يغفل بدوره كذلك عن تشجيع فنانى الهنادكة حتى نشأ من بينهم طبقة فذة ، غدت تنافس نقاشى المسلمين فى أكثر من ناحية ، ولما أنشأ مدينة فتحپور وجعلها عاصمة له ، زين قصورها برسوم حائطية جميلة عملها له فنانون من إيران والهند ، وخطا أكبر خطوة أخرى فى تشجيع التصوير ، فأنشأ معهدا حكوميا التحق به حوالى مائة فنان ، كانوا يعملون تحت إرشاد المصورين الإيرانيين ، وجمعت لهم الصور الفنية الرائعة من إيران ليحاكوها وكان هؤلاء المصورون يرسمون الصور لتوضيح المخطوطات الفارسية المختلفة وتزئينها ، ولا يستغرب ذلك كله من عاهل

---

(١) أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ، ج ٢ ، ص ١٢٥ .

شكيب أرسلان : حاضر العالم الإسلامى ، ج ٤ ، ص ٣٢٠ .

غوستاف لوبون : حضارات الهند ، ص ٤٢٤ .

أوتى من الأحاسيس الفنيــة ما جعله يصرح بأن التصوير هو ضرب من العبـــادة ، وأن للفنان فيما يبدو طريقته الخاصة للإقرار بوحدانية الخالق المبدع ، فهو حين يصور الكائنات الحية وينقش أعضاءها وأطرافها وملامحها على لوحته ، لا بـد وأن ينصرف بذهنه وخياله إلى التفكير فى إبداع خالقها الذى نفخ فيها بما يعجز هـو عن تصويره وإبرازه .

وقد تخلف عن فنانيه لوحات كثيرة سجلت حياة البلاط ورسومه وكثيرا مـن مظاهر المجتمع لعصره فى إبداع منقطع النظير ، ومدرسة النقش المغلية التى وضع أسسها أكبر شاه ،لها صيتها الذائع فى عالم الفنون .(١)

ولم تكن عناية السلطان أكبر بالموسيقى دون عنايته بالتصوير والنقش، وما تزال الأنغام المغلية وألحانها لها سوق رائجة بالهند حتى اليوم ، وكان المطـرب ميان تان سين الهندوكى فى مقدمة مطربى ومغنيى ذلك العصر ((وكان صوتـه العذب وغناؤه الجميـل يضع وحوش الصحراء وطيور الهواء فى شبكة محبـة الآدميين ،وقلما وجد مثله فى فن الموسيقى والغناء الهندى)) ، وكان المطرب ميان تانسين مقربا جدا من السلطان أكبر ومشمول عناياته ، ولقد شق طريقـه إلى بلاط السلطان فى السنة السابعـة من حكمه ٩٧٠هـ(١٥٦٣م) وتوفـى فى السنة الرابعة والثلاثين من جلوس السلطان على العرش ٩٩٧هـ(١٥٨٩م) ،

---

(١) أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ،ج ٢ ، ص ١٢٣ — ١٢٤ .
عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام فى الهند ،ص ٢٢٦—٢٢٧ .
زكى محمد حسن : فنون الإسلام ، ص ٢٢٠ .
م.س. ديماند : الفنون الإسلامية ، ص ٧٠ .
ول ديورانـت : الهند وجيرانها ، ص ١٣٩ .

ولقد حزن أكبر شاه لموته كثيرا ، وتذكر لهذا الفنان الكثير من النقوش الفاتنة وكثير من الأشعار الفنائية [١] ، وقيل إنه تشرف بشرف الإسلام وأصبح من مريدى شيخ سليم چشتى فتحپورى . [٢]

وكما ذكرنا كان بلاط السلطان يغص بالعلماء والأدباء والفنانين والشعراء ، لا من الهند فقط ، بل ومن مختلف أنحاء العالم ،ولم يكن يسمع عن فنان أو موسيقار أو شاعر إلا ويدعوه إليه ويشمله برعايته وتشجيعه ، كما كان به ولع شديد إلى كل ما هو جديد من الآلات والاختراعات ، وكان يستقدم صاحب الآلة أو الاختراع لكى يجربه تحت إشرافه ، كما كان يجالس أصحاب الصنعة والفن ،وكان يخاطبهم بنكت وكلمات دقيقة ، بحيث كان يخطر ببال هؤلاء ، أن السلطان ربما تدرب فترة طويلة لتحصيل هذه الحرفة والمهنة ، وعلى الرغم من أن حرفة الحدادة وأمثالها بعيدة عن الأمور البادشاهية ، إلا أن السلطان أكبر اخترع فيها وفى أمثالها ، اختراعات أوجبت إعجاب أصحاب الصنعة القدامى ، وكذلك إذا أنشأ السلطان مدينة أو بلدة استقدم إليها الرعايا وأصناف الحرفيين من سائر القصبات والضواحى ، ليتوطنوا فيها ويسهموا فى توسعة عمرانها . [٣]

---

(١) سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٤٢١ — ٤٢٢ .
أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ،ج ٢ ، ص ١٢٥ .
جلال يحيى : العالم الإسلامى الحديث والمعاصر ،ج ١ ،ص ٤٦٩ .

(٢) محمد على أنصارى : تاريخ مظفرى ، ق ٣٥ أ .

(٣) بهگوانداس : تاريخ آباء وأجداد شاه جهان ، ق ١٠٩ أ — ق ١٠٩ ب
أحمد حسين : تاريخ الإنسانية ، ص ٢٠٤ .

وباعتراف من المؤرخين الأوربيين ، لم تكن فنون الهند فى عصر أكبر ، دون فنون أوربا منزلة ،إن لم تكن تتفوق عليها فى بعض نواحيها (١) ، وكانت المدنية الاسلامية فى الهند خلاصة مدنيات عديدة ، اذ اجتمعت فيها عناصر الحضارات العربية والفارسية والتركية والمغلية والهندية والصينية وغيرهـــا . (٢)

---

(٢) أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ، ج ٢ ، ص ١٢٥ .

(٢) شكيب أرسلان : حاضر العالم الإسلامى ،ج ٤ ، ص ٣١٩ .

عبد الحى حبيبى : ظهير الدين محمد بابر شاه ، ص ١٢٣ — ١٢٤ .

ومما يذكر للسلطان أكبر أنه بدأ بتسيير قافلة الحجيج الهندية إلى الحجاز ، على غرار القوافل المصرية والشامية ، وذلك بعد أن فتحت كَجرات وأصبحت الدولة تطل على سواحل المحيط الهندى ، فكان يرسل سنويا جمع من حجاج الهند وما وراء النهر وخراسان ، عن طريق موانئ كَجرات إلى الأراضى المقدسة فى الحجاز ، ولم يسبق لبادشاه آخر أن تشرف سنويا بتسيير قافلة الحجيج من الهند إلى مكة المكرمة ، ولقد بدأ ذلك فى شعبان سنة ٩٨٣هـ (١٥٧٥م) وهى السنة العشرون من حكم أكبر ، وكانت كُلبدن بيكَم بنت بابرشاه عمة السلطان أكبر تتزعم أولى قافلة الحجيج هذه ، كما كانت القافلة تضم عددا من نساء القصر الأخريات ، منهن سليمة سلطان بيكَم وحاجى بيكَم وكُلعذار بيكَم بنات مرزا كامران عم السلطان أكبر ، وسلطان بيكَم حرم مرزا عسكرى العم الآخر للسلطان ، ولقد قضين عدة سنوات فى الحجاز وفزن بأربع حجات ، ثم عدن إلى الهند ولكنهن اضطررن أن يبقين سنة أخرى فى عدن وذلك بسبب ضياع سفنهن ، ووصلن إلى الهند سنة ٩٩٠ هـ(١٥٨٢م) وكان فى استقبالهن كبار رجال الدولة ، كما خرج السلطان نفسه ليستقبلهن عند مدخل مدينة فتحپور ورافقهن إلى داخل المدينة ، كما كلف قبل هذا ولى عهده الأمير سليم بالذهاب إلى أجمير ليكون فى استقبال الأميرات هناك ، ويرافقهن إلى فتحپور العاصمة .(١)

---

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٢٨ ، ٣٥٣ .
عبد القادر بدايونى : منتخب التواريخ ، ص ٢٠٥ ، ٢٤١ .
أبو الفضل علامى : أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ١٢٤ ، ٢١٤ .

في سنة ٩٨٤ هـ (١٥٧٦م) أراد أكبر شاه أن يقود بنفسه قافلة الحج الهندية ، إلا أن بعد المسافة ومخاطر الطريق والأوضاع في الهند ، حالت دون إرادته هذه ، ورأى رجالات دولته أن القيام بهذه الرحلة الطويلة ، وفي مثل تلك الظروف قد تتسبب في اختلال أحوال البلاد والعباد ، فتقرر أن يرأس قافلة الحجيج في كل سنة أحد كبار رجال الدولة ، وينوب في هذا الأمر عن السلطان ، وفي هذه السنة عين سلطان خواجه نقشبند على منصب أمير الحاج ، ليقود قافلة الحجيج الهندية إلى الأماكن المقدسة في الحجاز ، وأقام السلطان مجلسا كبيرا استدعى إليه كبار العلماء والمشائخ ، ودخل السلطان إلى مكان الحفل حافي القدمين ولابسا لباس الإحرام ، وأخذ أكبر من يد سلطان خواجه قارئا له صيغة التوكيل في إمارة الحج ، وودع سلطان خواجه بالاعزاز والإكرام ، في يوم الخميس الثاني من شعبان سنة ٩٨٤هـ(١٥٧٦م) كما سلمه مبلغا قدره ستمائة ألف روبية واثني عشر ألف خلعة من أنواع الأقمشة ليقوم بتوزيعها على الأشراف وسائر المستحقين في مكة المكرمة والمدينة المنورة كما كان يقوم بتوديع قافلة الحجيج إلى كَجرات واستقبالها منها أثناء العودة جمع غفير من كبار الأمراء ورجالات الدولة ، وقوات من الجيش للحفاظ على أمن الحجيج .

كما أمر السلطان أن تصرف نفقات الطريق لكل من يريد الحج وزيارة الحرمين الشريفين ، ففاز بهذه المكرمة خلق كثير ، كما أمر السلطان نائبه في إمارة الحج ، أن يقوم باحصاء المحتاجين في هذه الديار ، ويسلم إليه

بعد العودة نسخة منقحة منه ، حتى يراعى فى السنوات القادمة مقدار ما يلزم من إرسال المعونات إلى الحرمين الشريفين .(١)

وفى سنة ٩٨٥ هـ (١٥٧٧ م) عين شاه أبو تراب على منصب أمير الحاج ، ورخص معه اعتماد خان كَجراتى أحد أمراء كَجرات الكبار ، وسلم له ذهب كثير لينفقه على المحتاجين فى الحرمين الشريفين ، واستمر هذه السنة إلى سنة ٩٨٩ هـ (١٥٨١ م) وهى السنة السادسة والعشرون من حكم السلطان ، وكان أمير الحج فى تلك السنة حكيم الملك كَيلانى ، وسلم له مبلغ خمسمائة ألف روبية ليوزعه على الفقراء فى مكة المكرمة ، وبحضور شيخ الإسلام القاضى حسين المالكى ، كما سلمت له أقمشة هندوستانية وأقمشة نفيسة أخرى لتقديمها إلى أشراف مكة المكرمة .(٢)

فى سنة ٩٩٠ هـ (١٥٨٢ م) عاد شاه أبو تراب الذى كان قد عين أميرا للحج فى سنة ٩٨٥ هـ وبصحبة اعتماد خان كَجراتى ، ولقد عادا إلى الهند بحجر ثقيل يحمل نقش قدم ، وادعى شاه أبو تراب أنه نقش قدم الرسول عليه الصلاة والسلام ، ومع أن السلطان كان يرى أنه لا أصل لهذه الدعوى ، إلا

---

(١) أبو الفضل علامى : أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ١٦٥ — ١٦٦ .
محمد شريف : إقبال نامهٔ جهانكَيرى ، ج ٢ ، ص ٣١١ .
نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٣٤ — ٣٣٥ .
عبد القادر بدايونى : منتخب التواريخ ، ص ٢١٩ .

(٢) عبد القادر بدايونى : منتخب التواريخ ، ص ٢١٩ ، ٢٢٥ .
أبو الفضل علامى : أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ٢٢٢ — ٢٢٣ .
نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٤٧ — ٣٤٨ .

أنه أمر أن يتوقفوا على بعد أربع كروهات من فتحپور ، حتى يبادر هو باستقبال هذا الحجر ، ولقد رفع السلطان الحجر على كتفه وخطى به خطوات ، ثم حمله كبار الأمراء على أكتافهم واحدا بعد الآخر إلى داخل المدينة ، وسمح السلطان بوضعه داخل بيت أبى تراب ، ولعل السلطان قد أقبل على هذا العمل حتى يقطع أمام خصومه القيام بنشر شائعات ضده .(١)

وبعد سنة ٩٩٠ هـ (١٥٨٢ م) توقف السلطان عن إرسال قافلة الحج (٢) ، وقد يرجع ذلك إلى مزاحمة البرتغاليين للحجاج فى عرض البحر من جهة ، وان كان البعض يوعز ذلك الى التغير (٣) الذى طرأ فى معتقدات السلطان من جهة أخرى .

---

(١) أبو الفضل علامى : أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ٢٣٩ — ٢٤٠ .
عبد القادر بدايونى : منتخب التواريخ ، ص ٢٤١ .

(٢) عبد القادر بدايونى : منتخب التواريخ ، ص ٢٠٥ .

(٣) وهذا ما سوف نراه عند دراستنا لدين إلهى الذى وضعه السلطان .

كان السلطان أكبر يرى فى الملك نعمة من نعم الله العظمى ، يتجلى العرفان بها فى حسن إدارة الحاكم لمحكوميه ، على وجه يجعل رعاياه جميعا يتفانون فى طاعته ،وتلهج ألسنتهم بالثناء عليه ، وكان يرى أنه يجب أن يرتكز حكمه على أساس قوى من حب رعاياه ورضائهم ، بصرف النظر عن عقائدهم ومذاهبهم ، ولهذا بدأ يعمل على كسب حب الهندوك بوجه عام والراجپوت بوجه خاص ، لأن الراجپوت كانوا يكونون الطبقة الحربية فى المجتمع الهندوكى وكانوا سلالة القواد العسكريين ، ولم يكن بوسع الأسرة الحاكمة التى تسعى للاستقرار والأمن والبقاء ، أن تتجاهل هؤلاء المحاربين وتستغنى عن تأييدهم ، ومن هنا بدأ السلطان أكبر يعمل على كسب رضاء الراجپوت وتأييدهم بالطرق السلمية ، وإن لم تنجح هذه السبل ، لم يتردد السلطان فى اتخاذ الإجراءات الحاسمة ضدهم كما رأيناه فى فتح قلعة چتور وغيرها من القلاع الراجپوتية ، ولكن السلطان كان يرجح دائما الطرق السلمية إلا إذا يئس من فاعليتها ، ولقد نجح فى كسب ولاء معظم الراجپوت بعقد المصاهرات معهم ، وإباحة المناصب الكبيرة لهم ولغيرهم من الهندوكيين ، وعدم التعرض لمعابدهم وطقوسهم الدينية وغير ذلك من الوسائل [1] .

وقد كان السلطان يتذكر دائما نصيحة شاه طهماسب الصفوى لأبيه همايون بعد أن طرد من الهند ولجأ إلى إيران ، إذ قال له : إنه بعد أن

---

(١) أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ،ج ٢ ، ص ١٠١—١٠٢ .

جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أباطرة المغول ،ص ٨٩— ٩١ .

أخرج بابرشاه حكم الهند من تصرف الأفاغنة ، كان يستحسن فى مثل ذلك البلد قيام مصاهرة وانتساب مع كبار ملاك أراضيها ، وعندئذ لأصبحوا مدين للحكم ومعاونين له أثناء التفرقة ، وبهذا النمط لم يكن ليحدث ما حدث من اختلال وضياع فى السلطنة ،ولما تولى همايون عرش الهند للمرة الثانية ، كان يتذكر فى خاطره هذا المطلب ، ولكن لم يتيسر له تنفيذه ،إذ توفى بعد فترة وجيزة ، وعندما تولى السلطان أكبر الحكم خلفا لأبيه همايون ، اهتم بتطبيق تلك الفكرة اهتماما بالغا (١) ، فجاء زواجه مع الهند وكيات زواج المصلحة والسياسة ، وكان أول زواجه مع الهندوكيات فى سنة ٩٦٩هـ (١٥٦٢م) إذ تزوج بابنة راجه بهارمل الذى كان من كبار راجوات الهند ، وفى سنة ٩٧٨هـ (١٥٧٠م) تزوج بابنة راجه كليان مل الذى أصبح هو وابنه راى سنگ من الموالين لدولته ، وكذلك زوج ابنه وولى عهده الأمير سليم فى سنة ٩٩٣ هـ (١٥٨٥م) بابنة راجه بهگوانداس ، وقدم مبلغ كرورين من تنكه مهرا لصبية الراجة (٢) .

كذلك فتح السلطان أبواب بلاطه للهنادكة ، وبلغ كثيرون منهم إلى أعلى المناصب فى الوزارة والقيادة والشؤون المالية ، ورأينا أن راجه تودرمل الهندوكى

---

(١) سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٧٣ .

(٢) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ،ص ٢٥٦ ، ٢٨٩ ، ٣٦٦ .
أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ، ج ٢ ، ص ٨٥ .
شكيب أرسلان : حاضر العالم الإسلامى ، ج ٤ ، ص ٣٠١ .
غوستاف لوبون : حضارات الهند ،ص ٢٢٣ .
ول ديورانت : الهند وجيرانها ، ص ١٢٧ .

أصبح مشرفا على الديوان ، وهو منصب أعلى من الوزارة ، إضافة إلى أنه تولى مناصب مهمة فى كجرات والأقاليم الشرقية وغيرها ، كما كان راجه بيربل أحد القواد الكبار الذين حاربوا القبائل الأفغانية فى الحدود الشمالية الغربية للدولة ، وقد لقى راجه حتفه وهو يحاول إخضاع هذه القبائل لدولة السلطان أكبر ، كما عين السلطان أحد الهندوكيين حاكما على ولاية كابل المهمة جدا ، وذلك بعد أن توفى أخوه محمد حكيم مرزا ، ورأينا أيضا أن معظم مناصب الديوانية فى الأقاليم ، كان من نصيب الهندوكيين ٠ (١)

وكذلك أمر السلطان بإعفاء الهندوكيين عن أداء الجزية التى كان يصل عائدها إلى عدة ملايين ، وذلك فى سنة ٩٨٧ هـ (١٥٧٩ م) ولقد قال فى هذا الصدد : " إن أخذ الجزية كان من أجل جمع مبلغ ملحوظ فى الخزانة حتى يتسبب فى دعم جند الإسلام وهزيمة المخالفين فى المذهب ، والآن وبعد أن اجتمعت الآلاف الكنوز فى الخزائن ، ووضع جميع راجوات الهند رؤوسهم على خط الطاعة والولاء ، فلا داعى أن يكلف المحكومون وأن يؤذى المساكين" (٢) وكذلك رفع السلطان الرسوم التى كانت تفرض على الهنادكة أثناء قيامهم بزيارة أماكنهم

---

(١) أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ،ج ٢ ، شكيب أرسلان : حاضر العالم الإسلامى ، ج ٤ ، ص ٣٠٠-٣٠١ ٠
غوستاف لوبون : حضارات الهند ، ص ٢٢٣ ٠
ولد يورانت : الهند وجيرانها ، ص ١٣٦ ٠

(٢) سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٧٠ ٠

المقدسة ، وصرح للذين أجبروا في صباهم على الإسلام ،أن ينظروا متى بلغوا سن الرشد ، في البقاء على إسلامهم أو الرجوع إلى دين آبائهم ،وسمح للهندوكيين بإنشاء معابد لهم بل كان يعاقب الذين يتعرضون لمعابدهم فعندما كان متوجها من لاهور إلى دكن ، اشتكى إليه عدد من الهندوسيين بأن جماعة من المسلمين ، تنازعت مع الطائفة السنّاسية[1] الهندوكية ، فغلبوهم ثم هدموا معبدهم ، فأمر السلطان بوضع الكثيرين من هؤلاء المسلمين في السجن كما أمر بتجديد تعمير بيت الصنم الذي هدم عنوة . (٢)

وإضافة إلى هذا ، حاول السلطان أن يتفهم حقيقة الديانة الهندوكية فأمر بترجمة أمهات كتب الهندوكيين المقدسة ، فترجم إلى الفارسية حسب حكمه كتاب مها بهارت باهتمام غياث الدين على نقيب خان وملا سلطان وعبدالقادر بدايوني ، بعبارة متينة ، ويحوى الكتاب على كثير من أصول معتقدات البراهمة وفروعها ، كما ترجم حسب أوامره كتب هندية أخرى ، وسمع أكبر مرات عديدة يقول ((إن طوفان التقليد قد أخمد مصباح الامتياز ، فترى الناس يختارون مذهبا سمعوه من آبائهم أو أساتذتهم أو معارفهم ، أو جيرانهم أو أقاربهم ،

---

(١) السنّاسية : كلمة هندية أطلقت على طائفة من فقراء الهندوكيين (غياث اللغات ، ص ٢٧٦) .

(٢) سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٤٢٥ .
أحمد محمود الساداتي : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ،ج ٢ ،ص ٨٥ ، ١١٠) .
عبدالقادر بدايوني : منتخب التواريخ ،ص ٢٢٩ .
بايزيد بيات : تذكرة همايون وأكبر ، ص ٣١٠–٣١١ .
عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٢١٣ .
وليام لانجر : موسوعة تاريخ العالم ، ج ٤ ، ص ١٤٠٤ .
غوستاف لوبون : حضارات الهند ، ص ٢٢٣ .

دون أن يعطوا أى تأمل أو تحقيق ،فاعتبروا طريقتهم هذه عبادة لله ورأوا ما يخالفهم كفرا ، ويا ليتهم عطوا قليلا من التحقيق وفتحوا عقولهم ، فنجوا من عقدة التقليد والتعصب)) (١) .

ولقد أدخل السلطان فى المجتمع الهندوكى إصلاحات اجتماعية عديدة فأباح للأرامل الهندوسيات الزواج وكن لا يتزوجن ، كما منع المرأة من إحراق نفسها إذا مات زوجها ، ومنع التبكير فى الزواج ؛ فكان لا يسمح بزواج الشاب قبل سن السادسة عشر ولا بزواج الفتاة قبل سن الثالثة عشر(٢) .

وبمثل هذه الوسائل استطاع السلطان أن يضمن ولاء الهنادكة وتأييدهم ، فانتهى خطر الراجپوت الذى كان يهدد الدولة ، كما عمل الراجپوت على مساعدة الدولة ضد المتمردين والقواد الخارجين وضد أعداء الدولة من الأفاغنة وغيرهم . (٣)

---

(١) سجان راى : خلاصة التواريخ ،ص ٣٧١ .

(٢) عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام فى الهند ،ص ٢١٣ .
شكيب أرسلان : حاضر العالم الإسلامى ،ج ٤ ، ص ٣٠٥ .
ول ديورانت : الهند وجيرانها ، ص ١٣٥ .

(٣) جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية فى الهند ، ص ، ٩١

ان الموضوع الذى كان أكثر جدلا وإثارة للبحث ، هو التغير الذى طـــرأ في تفكير السلطان بعد الثلث الأول من سنوات حكمه ، والذى أدى الى ابتداع ما سمى بدين إلهى .

كان السلطان يحترم علماء الدين والمتصوفة الزاهدين ويجلهم ويؤثر صحبتهم ولا يتردد في تلبية مطالبهم ، ورأينا أن الأمير سليم ولد في منزل الشيخ سليـــم چشتي في سنة ٩٧٧هـ(١٥٦٩م) وسمى باسم الشيخ ، كما ولد ابنه الثالث في جمادى الأولى سنة ٩٨٠ هـ(١٥٧٢م) في منزل الشيخ دانيـال ، فــى أجمير وهو من المشائخ المعروفين بالصلاح والتقوى في ذلك الوقت ، فسمـــى المولود بدانيـال تيمنا باسم الشيخ المذكور ، ومن هنا يلاحظ مدى تعلـــق السلطان بالمتصوفة الزاهدين ، إلى درجة أنه كان يترك زوجاته الحبالى فــى بيوتهم ، كما كان يسمى مواليده بأسمائهم. (١)

وفى يوم الخميس الخامس والعشرين من جمادى الأخرى سنـــة ٩٨١ هـ (١٥٧٤م) وبعد العودة من فتوحاته في كجرات ، أقام السلطان حفلا كبـــيرا في عاصمته الجديدة فتحپور ، دعا إليه العلماء والسادات والمشائخ والأمـــراء وأركان الدولة ، وذلك لختان أبنائه ، الأمير سليم والأمير مراد والأميردانيال ، وفى الثانى والعشرين من شهر رجب من السنة المذكورة أجلس السلطان ، ابنه

---

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٨٨ ، ٢٩٢—٢٩٣ .
سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٧٤—٤٧٤ .
جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أباطرة المغول ، ص ١٠٩ .

الأمير سليم للتتلمذ على مولانا مير كلام الهروى الذى كان من العلماء الجلائل في ذلك الوقت ، قائلا " بسم الله الرحمن الرحيم " وكان الأمير سليم فى ذلك الوقت قد بلغ عمره ، أربع سنوات وأربعة شهور وأربعة أيام . (١)

وكذلك كان أكبر شاه يستفسر القضاة وعلماء الدين عن أحكام الشريعة فى الجرائم ، ففى سنة ٩٨٢ هـ (١٥٧٤) وأثناء توجهه الى پتنه وحاجى پور فى الإقليم الشرقى ، عرض له أن واحدا من الزُنّاريين (٢) ، تزوج بنته ، وأتى منها ولدا ، فأمر السلطان بإحضار الأب الزوج والبنت الزوجة ، وبعد التحقيق اعترف الزنارى اعترافا صريحا بفعلته الشنيعة تلك ، وقال إن زوج بنتها قد قتل فى إحدى المعارك قبل سنوات مضت ، واستنتج من اعترافاته أنه هو القاتل لزوج بنته ، فطلب السلطان القاضى يعقوب قاضى العساكر واستفسر منه حكم الشريعة فى هذه الواقعة ، فذكر له القاضى أنه لو كان ذلك الرجل مسلما لكان واجب القتل باتفاق جميع أئمة الدين ، وأما بالنسبة للكافر فهناك قولان ، إذ يرى البعض القتل ، فى حين يرى البعض الآخر أن لا يقتل حتى يعلم الناس أن فى دينهم الباطل شائعة أمثال هذه الأمور ، فيستنفروا من طريقتهم ورجح السلطان القول الأول فأمر بإعدامه . (٣)

---

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣١١ - ٣١٢ .
أبو الفضل علامى : أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ٥٣ .
محمد شريف : إقبال نامهٔ جهانگيرى ، ج ٢ ، ص ٢٤٧ .

(٢) زنّار : كلمة مأخوذة من اليونانية بمعنى الحزام ، وهو الحزام الذى كان النصارى يؤمرون بربطه ليميزوا من المسلمين ، وذكر بمعنى حزام الزرد شتيين أيضا ، كما ذكر أيضا بمعنى القلادة التى يعلقها النصارى فى عنقهم مع صليب صغير .
(عميد : فرهنگ عميد ، ص ١١١٤) .

(٣) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣١٥ — ٣١٦ .

وكان السلطان يوقر علماء الدين توقيرا كبيرا ،ومن هؤلاء العلماء كان المحدث شيخ عبدالنبى الذى كان السلطان يتردد فى بيته ، ليستمع إلى الدروس التى كان يلقيها فى علم الحديث الشريف ، وكان من شدة توقير السلطان له ، أنه وضع كثيرا نعليه أمام قدميه ، كما أجلس عنده الأمير سليم ، أكبر أبنائه ليتعلم منه الأحاديث الأربعين التى جمعها مولانا عبدالرحمن الجامى (١) وكان ذلك فى سنة ٩٨٣ هـ(١٥٧٥م) .(٢)

وكان السلطان أكبر مولعا بزيارة أضرحة الأولياء والطواف حولها ، وصرف المبالغ والإنعامات لمجاوريها ، ولقد نذر على نفسه أنه لو رزقه الله ولدا ،فسوف يقوم بزيارة ضريح خواجه معين الدين چشتى (٣) فى أجمير ، مشيا على الأقدام ، وبعد ولادة الأمير سليم فى سنة ٩٧٧ هـ(١٥٦٩م) تحرك ماشيا من آكره إلى أجمير ، إيفاءا للنذر الذى قطعه على نفسه ، وكان يقطع كل يوم حوالى سبع كروهات ، وبعد تلك السنة كان يقوم بزيارة ضريح خواجه معين الدين فى كل سنة مرة واحدة على الأقل ، وكان حرصه على هذه الزيارة إلى درجة أنه

---

(١) ولد عبدالرحمن الجامى فى سنة ٨١٧ هـ(١٤١٤م) وتوفى سنة ٨٩٨هـ(١٤٩٣م) ، وكان من العلماء الكبار ، وله مؤلفات كثيرة ومختلفة تصل الى أربع وخمسين رسالة وكتاب ، كما قام بالتدريس فى المدرسة النظامية بالهرات ، وكان السلطان حسين بايقرا ووزيره على شيرنوائى يوقرانه كثيرا ، كما كان السلاطين العثمانيون يكاتبونه ويتوددون إليه .
(م. آدينفر : دائرة المعارف زرين ،ص ١٤٠) .

(٢) عبدالقادر بدايونى : منتخب التواريخ ،ص ٢٠٢ .
جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أباطرة المغول ،ص ١١٠ .

(٣) خواجه معين الدين چشتى : واحد من المتصوفة الزاهدين ، ولقد توفى فى أجمير سنة ٦٣٣هـ/١٢٣٥م ودفن هناك . (خلاصة التواريخ ص٣٤٧)

لو كان أمامه سفر طويل أو سفر غير محدود المدة ، قدم الزيارة التى كانت تتم فى السنة المقبلة . فعندما رجع السلطان من حملته الثانية فى كجرات قام بزيارة الضريح ، ولكنه أراد التوجه إلى الأقاليم الشرقية ليتفقد سير الفتوحات هناك ، فخاف أن تطول مدة سفره ذلك ، فيحدث التأخير فى زيارة الضريح والطواف حولها ، فتوجه إلى أجمير وترجل على بعد سبع كروهات منها ، فتوجه ماشيا متضرعا إلى الضريح ، وأدى مراسم الطواف ، ومكث هناك اثنى عشر يوما ، كان يقوم فى كل يوم بزيارة الضريح ، ويمتع من مائدة إحسانه المجاورين للبقعة ، وجميع المتوطنين فى خطة أجمير ، طالبا الاستمداد والعون فى تيسير أمر الفتح !

ولقد استمر فى القيام بمثل هذه الزيارة سنويا إلى عام ٩٨٧هـ (١٥٧٩م) وبعد ذلك التاريخ انقطع عن الزيارة هذه . (١)

وفى خلال هذه المدة كان السلطان يؤدى الصلوات الخمس جماعة فى مسجد القصر ، بل لقد كان يقوم أحيانا مقام المؤذنين فيدعو الناس للصلاة . (٢)

---

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٨٨ ، ٣٠٦ ، ٣١٢ ، ٣٢٢ ، ٣٣٢ ، ٣٤٨ .
عبد القادر بدايونى : منتخب التواريخ ، ص ٤٣ .
جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أباطرة المغول ، ص ١٠٩ .

(٢) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٤٤ ، ٣٦٧ .
جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أباطرة المغول ، ص ١٠٩ .

كان السلطان يستجيب لمشورة العلماء فى القضاء على الزنادقة وأهل البدع ، وعرض له صدر صدوره شيخ عبدالنبى ، ومخدوم الملك عبدالله سلطانپورى كبيرالعلماء ، بأن شيخ مبارك الناكورى ضال ومضل ومن أهل البدعة ، فرخص لهما أن يقضوا على الشيخ المذكور ، فأرسلا المحتسبين فى طلبه ، ولكن الشيخ اختفى مع ابنيه ،فكسروا منبر مسجده الذى كان فى ضاحية من آكره ، ولجأ الشيخ مبارك ،إلى الشيخ سليم چشتى فتحپورى ملتمسا شفاعته ، ولكن الشيخ سليم أرسل له مبلغا من المال وطلب منه أن يهرب إلى كجرات فاضطر أن يتوصل بمرزا عزيز كوكه أخ السلطان من الرضاعة ،فعرض مرزا عزيز فضائل الشيخ وابنيه إلى أكبر ،فلم يصفح له السلطان فحسب ،بل طلبه إلى مجلسه ليرى فضائله ويستمع ما يعرفه من العلوم العقلية والنقلية ، وكان التقاء السلطان بالشيخ مبارك وولديه فيضى وأبى الفضل ، منعطفا مهما ، فى تصور السلطان ، إذ كان الشيخ وابناه من المشتغلين بعلوم الحكمة ففتحت عينا السلطان على كثير من المسائل الفلسفية والأسرار الصوفية ودفعوه معهم فى طريقهم ،طريق البحث عن الحقيقة ومحاولة الوصول الى ما أسموه بالحق المجرد ومنذ ذلك التاريخ ٩٨٢هـ(١٥٧٤م) بدأ الشيخ مبارك وولداه وخاصة أبوالفضل يقتربون من السلطان شيئا فشيئا ، حتى صار أبوالفضل أقرب المقربين للسلطان وأصبح وزيره وكاتب سره وكبير مستشاريه ، وبالمقابل بدأ نفوذ العلماء السابقين وخصوم الشيخ مبارك ، فى الهبوط إلى أن فقدوه نهائيا .[١]

---

(١) عبدالقادر بدايونى : منتخب التواريخ ،ص ٢٠٠ .
محمد شريف : إقبال نامۀ جهانگيرى ، ج ٢ ، ص ٢٧٧ .
أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ،ج ٢ ، ص ١٠٠—١٠١ .

في شهر ذى القعدة من سنة ٩٨٢ هـ (١٥٧٤م) وهى السنة العشرون من سنى حكم السلطان ، أمر بإحداث عبادتخانه (١) التى كانت تشتمل على أربع أيوانات ، وتم إعمارها فى سنة ٩٨٣ هـ (١٥٧٥م) ، وذكر فى سبب إحداثها ، أنه فى خلال السنوات العديدة الماضية تمت للسلطان فتوحات عظيمة متتالية وتوسعت رقعة الدولة واستحكمت قواعدها وكثرت معرفة السلطان بالعلماء والمتصوفة ، فكان يقضى معظم أوقاته فى مباحثات التصوف والمناقشات العلمية وتحقيق المسائل الفقهية وغير ذلك ، كما كان يحيى معظم لياليه فى ذكر الله وعبادته بعيدا عن الدور البادشاهية وعلى لوحة من الحجر الواقعة فى حجرة مهجورة قديمة ، ولقد سمع السلطان أن سليمان كرانى حاكم بنگاله كان يقوم فى الأسحار ومعه مائة وخمسون رجلا من المشائخ والعلماء الكبار ، فكانوا يصلون التهجد جماعة ، ثم يستمر الذكر ودروس التفسير إلى الفجر ، وبعد أداء صلاة الفجر كان سليمان يقوم بتصريف المهام البادشاهية ، وكذلك كان ميرزا سليمان حاكم بدخشان فى طريقه إلى بلاط السلطان ، وكان بدوره محبا للتصوف ومنشغلا فيه ، فكان كل هذا من الأسباب التى دعت السلطان إلى بناء عبادتخانه .

وبعد أن تم بناء عبادتخانه ، كان السلطان يحضر إليها بعد صلاة الجمعة ولم يكن يسمح بالدخول فيه إلا للسادات والمشائخ والعلماء والأمراء ، فكان يحيى معهم ليالى الجمعة ، باحثا ومناقشا فى مختلف المسائل الدينية ،

---

(١) عبادتخانه : دار العبادة .

ولما تنازع الحاضرون فى اختيار مكان الجلوس وتقديم البعض وتأخير الآخر ، أمر السلطان بتوزيع الحضور إلى الأيوانات الأربعة ، فخصص الأيوان الغربى للسادات والأيوان الشرقى للأمراء والمقربين ، والأيوان الجنوبى للعلماء ، والأيوان الشمالى للمشائخ وأرباب الحال ، فكان السلطان يحضر المجالس الأربعة واحدة بعد الأخرى ، ويناقش مع الحضور فى مختلف الموضوعات الدينية ، كما كان يقوم بتوزيع المبالغ والإنعامات على من جمعوا حول عبادتخانه ، والجماعة التى لم يكن الحظ يساعدها فى تلك الليلة ، كانوا فى صباح يوم الجمعة يصطفون أمام عبادتخانه ، فيوزع لهم السلطان بيده كفا كفا من الروبية والأشرفى (١) ، وفى الأغلب كان يتجاوز التوزيع هذا منتصف نهار الجمعة ، وإذا حدث أن أحس السلطان بالملل والتعب ، أمر واحدا من ملازميه ليقوم بالتوزيع ، كما كان السلطان أكبر يستجمع الكتب النفيسة ثم يوزعها على الحضور فى مجالس ليالى الجمعة ، ومنها الكتب التى حصل عليها فى فتح كَجرات. (٢)

هكذا ولع السلطان بالمناقشات للوصول إلى ما أسماه الحق والصواب وأعلن إلى علماء الدين الإسلامى ، بأن قصده هو الوصول إلى الحق وكشف حقيقة الحال ، فلا تسمحوا للنفس والهوى ، أن تحجب الحق عن أنظاركم

---

(١) أشرفى : نوع من العملة الذهبية التى كانت تعادل ثلاثة أرباع المثقال .

(٢) عبدالقادر بدايونى : منتخب التواريخ ، ص ٢٠٠—٢٠١ .
نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٢٧—٣٢٨ .
أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ، ج ٢ ص ١٠١ .
احسان حقى : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ١٦٧ .
V.A. Smith : Akbar the Great Mogul, PP. 93 - 94

فتقولوا خلاف الحق ، وان عدلتم عن قول الحق ، فحسابكم على الله[1] ، ولكنه على الرغم من هذا كان يتعصب كل مشترك فى هذه الندوات إلى رأيه ومذهبه وتناسوا أدب النقاش ، فبدأوا بتوجيه الشتائم ضد بعضهم البعض ، وبتكفير بعضهم البعض ، وكتب عبدالله سلطانپورى الملقب بمخدوم الملك ، رسالة ضد الشيخ عبدالنبى صدر الصدور ، ادعى فيها أنه لا يجوز الصلاة خلفه ، كما أصدر الشيخ عبدالنبى بيانات يجهل فيها مخدوم الملك ويضلله ، فانقسم العلماء بين المؤيد والمخالف لهذا وذاك ، فاغتنم أهل البدع هذا الوضع وبدأوا يخرجون من مخابئهم ليصطادوا فى الماء العكر ، وكان السلطان ينظر إلى هذه التطورات نظرة الاندهاش والحيرة ، ثم سمح فى سنة ٩٨٦هـ(١٥٧٨م) لجميع أرباب الملل والنحل بالحضور إلى تلك الندوات ، فجمع فى تلك المنتدى فقهاء وحكماء الشيعة والسنة المسلمين ، وعلماء النصارى والزردشتيين والبراهمة[2] واليهود والزنادقة ، وسائر المشارب الرائجة فى ممالك الهند وإيران وتوران والروم والإفرنج والأرمن ، وكان السلطان يدفع علماء هذه المذاهب إلى المباحثة

---

(١) عبدالكريم : زبدة التواريخ ، ق ٤٣ ب .

(٢) البراهمة : إن الهندوسية أو الهندوكية هى ديانة الجمهرة العظمى فى الهند ، ولقد أطلق عليها البرهمية ابتداء من القرن الثامن قبل الميلاد ، نسبة إلى براهما وهو القوة العظيمة السحرية الكامنة التى تطلب كثيرا من العبادات ، ومن براهما ، اشتقت كلمة البراهمة ، لتكون علما على رجال الدين الهندوكيين .

(أحمد شلبى : أديان الهند الكبرى ، ص ٣٩) .

فينصت لهم ، وكان كل واحد منهم يريد إثبات مدعاه وترويج مشاربه ، فأصبحت المناقشات أكثر حدة من ذى قبل (١) . كما أمر السلطان بتحقيق مذاهب الهندوكيين ، وترجمة كتبهم إلى الفارسية حتى تكون فى متناول أيدى الذين يريدون الاطلاع عليها ، ثم خطا السلطان خطوة أخرى فبنى بيتا لمبيته فى الطابق العلوى لعبادتخانه ، وأخذ يطلب إلى هناك كل من كان يريد لقاءه بمفرده . وفى هذا الإطار كان يطلب فى بعض الليالى إلى الطابق العلوى المذكور ، أحد المتصوفة المعروف فى عصره وهو الشيخ تاج الدين بن الشيخ زكريا أجودهنى دهلوى ، فكان يتذاكر مع السلطان فى مختلف مسائل الصوفية . وتسببت هذه الأمور فى حدوث الفتور والوهن فى معتقدات السلطان ، واغتنم الشيعة أيضا هذه الأوضاع فبدأوا يصرحون بطعن الخلفاء الثلاثة رضوان الله عليهم ، كما كانوا يقولون — وفى مقدمتهم ملا محمد يزدى — بتكفير وتفسيق بعض السلف والخلف الصالحين من المتقدمين والمتأخرين ، واعتبروا غير مذهب الشيعة ضالا ومضلا . كما أزاد فى الطين بلة اختلاف العلماء ، حيث كان الواحد يصرح بتحريم فعل ما ، بينما كان الآخر يبحث عن الحيل لتحليله .

---

(١) عبدالقادر بدايونى : منتخب التواريخ ، ص ٢٢١ .
عبدالكريم : زبدة التواريخ ، ق ٤٣ أ — ق ٤٣ ب .
سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٧١ .
وليام لانجر : موسوعة تاريخ العالم ، ج ٤ ، ص ١٤٠٨ — ١٤٠٩ .
عبدالعزيز سليمان نوار : الشعوب الإسلامية ، ص ٥٢٣ — ٥٢٤ .
إحسان حقى : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ١٦٦ — ١٦٧
رولان موسنييه : تاريخ الحضارات العامة ، ج ٤ ، ص ٥٩٠ .

ثم خطا السلطان خطوة أشد خطورة إذ استدعى إلى ندواته قساوسة النصارى وسمح لهم بالتبشير ، كما أمر بترجمة الإنجيل ، وأجلس ابنه الأمير مراد ليتلقى منهم دروسا فى النصرانية ، وكان أبو الفضل يقوم بترجمتها .(١)

فى سنة ٩٨٧هـ(١٥٧٩م) وهى السنة الرابعة والعشرون من حكم السلطان دارت مناقشات مطولة حول الاجتهاد وعلى من يطلق اسم المجتهد ، وكان كبار المشتركين فى هذه المناقشات هم : مخدوم الملك ، والشيخ عبدالنبى صدر الصدور والقاضى جلال الدين ملتانى قاضى القضاة ، وصدر جهان المفتى العام ، والشيخ مبارك وغازى خان بدخشى ، وهما من أشهر علماء الوقت فى العلوم العقلية والنقلية ، ووقع هؤلاء على المذكرة التى قدموها للسلطان وقد جاء فيها :

((الهدف من تشييد هذه المبانى وتمهيد هذه المعانى ، هو أن هندوستان ـ صنيت عن الحدثان بميامن المعدلة السلطانية ـ مركز أمن وأمان ، ودائرة عدل وإحسان لمختلف الطوائف والأنام من الخواص والعوام ، وخاصة علماء المعرفة وفضلاء دقائق الآثار ، الذين هم هداة بادية النجاة ، وسالكو مسالك أوتوا العلم درجات ، والذين لجأوا من العرب والعجم إلى هذه الديار متوطنين فيها . إن جمهور العلماء الفحول ، جامعوا الفروع والأصول ، حاويو المعقول والمنقول ، والمتصفين بالدين والديانة والصدق والصيانة ، بعد التدبير والتأويل الكافيين فى غوامض معانى الآية الكريمة ((أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم)) (٢) والأحاديث الصحيحة "إن أحب الناس (٣)

---

(١) عبدالقادر بدايونى : منتخب التواريخ ، ص ٢٢٢–٢٢٣ .
شكيب أرسلان : حاضر العالم الإسلامى ، ج ٤ ، ص ٣٠٦–٣٠٧

(٢) سورة النساء ، الآية ٥٩ .

(٣) رواه الترمذى فى الأحكام ، وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد فى كتاب الخلافة .

إلى الله يوم القيامة إمام عادل رفيق " و " من أطاع الأمير فقد أطاعني ومن عصى الأمير فقد عصاني"[1] و" عدل ساعة خير من ستين سنة ، قيام ليلها وصيام نهارها " وغير ذلك من الشواهد العقلية والدلائل النقلية ، قرروا أن مرتبة السلطان العادل عند الله ، أعلى من مرتبة المجتهد ، وحضرة سلطان الإسلام وكنف الأنام ، أمير المؤمنين ،ظل الله على العالمين " أبو الفتح جلال الدين محمد أكبر بادشاه غازى خلد الله ملكه أبدا" أعدل وأعقل وأعلم بالله ، فمن هنا لو نظر في المسائل المختلف فيها ، بذهنه الثاقب وفكره الصائب فرجح جانبا على الآخر ،وحكم به لصلاح معيشة بني آدم ومصلحة انتظام العالم ، تصبح تلك المسألة متفق عليها ، ويلزم اتباعها على جميع البرايا وكافة الأنام ، وكذلك إذا حكم بموجب رأيه الصائب حكما لا يخالف النص ويتسبب في ترفيه العالمين ، يتحتم العمل به على الجميع ،ومخالفته توجب السخط الأخروي وخسران الدين والدنيا .

وصدر هذا الحكم وحرر بحضور علماء الدين والفقهاء المهتدين ، وكان ذلك في شهر رجب سنة ٩٨٧ هـ" .[2]

ولقد كتب هذا المحضر بخط الشيخ مبارك ، ووقع عليه السائرون بالاستكراه ولقد كتب مبارك في ذيل المحضر ، أن هذا ما كنت انتظره بفارغ الصبر

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإمارة تحت باب "وجوب طاعة الأمراء في غير معصية" .

(٢) نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبرى ، ص ٣٤٣—٣٤٤ .

عبد القادر بدايوني : منتخب التواريخ ،ص ٢٢٦—٢٢٧ .

أبو الفضل علامي : أكبر نامه ،ج ٣ ، ص ٢٢٦ — ٢٢٧ .

V.A. Smith : Akbar the Great Mogul, PP. 128 - 129

منذ سنوات طوال ، وأنا راض به تمام الرضا .

وقد وضعت هذه الوثيقة السلطة كلها في يدى أكبر ورفعته إلى مرتبة أعلى من مرتبة المجتهد ، وهى مرتبة الإمام العادل (١) ، واغتر السلطان بهذا التفويض ، وانتهى به الحال إلى ابتداع مذهب جديد سمى بدين إلهى ، وذلك بمساعدة من أبى الفضل وأخيه أبى الفيض فيضى ، ولقد كان هذا المذهب موضوع جدل ونقاش طويل ، وكان أسوأ ما ختم به العصر ، عصر أكبر في الهند .

ويذكر بدايونى أنّ السلطان ، نتيجة اختلاطه ومجالسته لعلماء المذاهب المختلفة ، ومناقشتهم فى المسائل المتعددة ، أصبح يقول بأن العقلاء وأرباب الرياضات والكشف والكرامات موجودون عند جميع الطوائف ، وأن الحق يوجد فى كل مكان ، ويضيف بدايونى أنه بعد نفى مخدوم الملك عبد الله سلطانپورى ، وصدر الصدور شيخ عبد النبى إلى الحجاز ، تقول البعض بما ليس فى الدين ، وأنه أضيف إلى كلمة الشهادة " أكبر خليفة الله " وللحذر من ظهور الخلل ، شاعت هذه الأقوال على أفواه عدد محدود داخل القصر كما غير السلطان التاريخ الهجرى وأخذ بأشهر ملوك العجم ، ووضع تاريخا جديدا ابتدأ من تاريخ جلوسه على الحكم ، وسميت شهور هذا التاريخ وسنواته بالشهر الإلهى والعام الإلهى ، كما استخف بالعربية والفقه وغيره من العلوم الدينية ، وروجوا محلها

---

(١) عبد القادر بدايونى : منتخب التواريخ ، ص ٢٢٧ .
جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أباطرة المغول ، ص ١١٠ — ١١١ .

علوم النجوم والحكمة والطب والحساب والشعر والتاريخ والأساطير ، وأبيح لبس الذهب والحرير[١] ، ويبدو من كتابات بدايونى أن الآخرين كانوا يصرحون بهذه الأقاويل وأن السلطان كان لا يطانعهم .

كذلك غير السلطان تحية السلام والرد عليه ،فتقرر أن يقال أثناء لقاء البعض بالبعض ، " الله أكبر " فيرد الآخر " جل جلاله "[٢] ، كذلك حرم أكل لحم البقر وغلظ فى هذا الباب ، لأنه كان يجالس منذ الصغر الهندوكيين ، وتزوج من بنات الراجوات العظام ، فتأثر بهم واحترز من أكل لحم البقر[٣] ، ومنع ذبح البقر فى جميع الممالك المحروسة ، لأنه مذموم عند أهل الهند ، ويعتبر عندهم من الجرائم العظيمة ، وكان السلطان يقول بأن ترك اللحم قد خطر بباله عدة مرات ولكنه نظرا لشماتة الناس ، لم يكن الاحتراز عنه بالمستطاع وكان يعلل احترازه هذا بأن اللحم لا ينبت من غصن الشجرة أو من الأرض ، كالنباتات ، فهو من جسم الحيوان فقط ، ومع وجود أنواع الأغذية وأقسام النعم التى وهبها الله للناس ، يكون تناول اللحم ناتجا من قسوة القلوب ، إذ ليس من الرفق أن يجعل الإنسان صدره — وهو مخزن الأسرار الإلهية — مقبرة للحيوانات ففى هذه الحالة يكون ترك اللحم أولى بوجوه ، كما كان السلطان يصرح أيضا

---

(١) عبدالقادر بدايونى : منتخب التواريخ ،ص ٢٢١ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٤٠ .

(٢) أبو الفضل علامى : آئين أكبرى ، ج ١ ،ص ١٩٢ .

(٣) عبدالقادر بدايونى : منتخب التواريخ ، ص ٢٣٩ .

بأن مشغلة الصيد هي محض شرب الدم والجور والجلادية ، وقساة القلوب الذين لا يتقون الله ، يستسلمون للهوى ، فيجدون تطييب خاطرهم في اصطياد الحيوانات ، ويرسلون العديد من الحيوانات البريئة إلى العدم ، ولا يعرفون أن هذه الصور الغريبة والأجسام العجيبة من صنع الصانع الحقيقي وبدائعه .(١)

وتطور الأمر إلى أنه لو سمع عن جزر بقر لقتل الجزار فورا قصاصا للبقر ، ولو كان الجزار من الأمراء الكبار أو من أبناء الملوك (٢) ، ويذكر جهانكَير أن من الرياضات التي كان يقوم بها والده ، هي ترك أكل الغذاء الحيواني ، وفي طوال السنة كان يميل إلى اللحم في ثلاثة شهور ، وكان يقتنع في تسعة شهور أخرى ، بطعام صوفي ، ولم يكن يرضى مطلقا عن قتل الحيوان وذبحه ، وكان في كثير من الأيام والشهور ، يمنع قتل الحيوان منعا عاما (٣) ، ولكنه من الواضح أن هذه التطورات حصلت في الفترة الأخيرة من سني حكم السلطان ، لأنه في البداية لم يكن يرضى بالصيد فحسب ، بل كان مولعا به ، وخاصة في السنوات الخمس الأولى من حكمه .

---

(١) سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٧٢–٣٧٣ .
غلام حسين طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ١ ، ص ١٨٥ .

(٢) بهكَوانداس : تاريخ آباء وأجداد شاه جهان ، ق ١٠٧ ب .
إحسان حقي : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ١٦٨ .

(٣) محمد هادي : توزك جهانكَيري ، ص ٢٢ .
بهكَوانداس : تاريخ آباء وأجداد شاه جهان ، ق ١٠٦ ب .

يرى أبو الفضل مؤرخ البلاط والذى كان يقف وراء تصرفات السلطان ، بأن هذه التصرفات التى ذكرنا بعضها آنفا ، لا تعتبر خروجا على الإسلام أو الدين الأحمدى حسب تعبيرة ، ويتهم علماء الدين الإسلامى المعاصرين له بأنهم أصحاب عقلية متخلفة ومتزمته ، لا يستطيعون فهم تصرفات السلطان ، فيسيئون التعبير عنها ، ويضيف بأن السلطان كان يمد يد الصداقة إلى مختلف الفرق والطوائف وأنه يحبذ مجالسة علماء المذاهب والمشارب المختلفة وأصحاب الرياضات ، ويحقق معهم فى كل مسألة يطرحونها ، ويطلب منهم إقامة الدلائل المقنعة ، فيحرج الذين ينقصهم العلم والوعى ولكنهم بدل أن يعترفوا بالنقص ويبحثوا عن الكمال ، يكيلون الاتهامات ضد السلطان ، فمرة يتهمونه بالميل إلى التشيع ، لأنه فتح أبواب مجالسه للشيعة أيضا ، ومرة أخرى يتهمونه بأنه يميل إلى البرهمن (١) ، بدليل أنه قبل مجالسة علمائهم ، وأباح للطوائف الهندوكية الانسلاك فى دولته ، ورقى بعضهم إلى مناصب عالية ، ونسوا أن السلطان ينتهج سياسة السلام مع الجميع ، فيفتح أبواب مجالسته ومناقشته ، أمام علماء كل دين ومذهب ومشرب ، ويرجح رأى الذين يقدمون دلائل مقنعة . (٢)

---

(١) البرهمن : بمعنى البرهمية ، ولقد أطلقت هذه الكلمة على الهندوسية منذ القرن الثامن قبل الميلاد .

(٢) أبو الفضل علامى : أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ٢٢٩ — ٢٣٠ .

لقد أصدر السلطان أكبر مرسوما يقضي بوضع تاريخ جديد ، سمى بالتاريخ الإلهـــى ، ويقول في مرسومه مبررا هذا الإجـــراء :

((في هذا الوقت الذى مضى من جلوسنا المظفر قرن (١) من الزمـــان أصدر مرسومى هذا إلى حكام الممالك المحروسة وسائر الموظفين في مختلــف قطاعات الدولة ، وبدرجاتهم المختلفة ، بأن جـل همى هو أن يكون النــاس كلهم في رخاء ورفاه ، وأن يكونوا منشرحى البـال ، وأن يصرفوا أوقاتهم الـتى لا تعوض ، في مرضيات الله ، وأن يطلقوا رقبـة عقيدتهم من قلادة التقليـد .

إن في الهند تواريخ متعددة ، وأن المقصود من وضع التاريخ هو معرفـة أوقات الحوادث والمعاملات بيسـر وسهولة ، وبطريقة لا يكون فيها محل للـنزاع ، ورأينا أن وضع التاريخ الجديد ، أسهـل للجميع من أن نختار واحدا من التواريخ الماضية البعيدة .

إن بداية التاريخ تكون من حدوث أمر عظيم ، كظهور أمة قوية ، وحصـــول سلطنة عظيمة ، والمنته لله تعالى ، أن في هذه السلطنة العظيمة من عظائـــم الأمور ، وجلائـل الأعمال ، ما يجعل واحدة منها ، تستحق أن تكون بدايـة للتاريخ . فهناك على طريق المثـال ، تسخير بلاد عظيمة ، وفتح قلاع حصينة وغيرها ، وتجدر الإشارة الى أنه كما يتوهم عليلو الفطرة ، وقليلو الكياســة ، لا يمس هذا العمـل رفعـة شأن التاريخ الهجرى ، وكما نرى في زمن ملكشاه

---

(٢) القرن : في اصطلاحهم يساوى ثلاثين عامــا .

ومع أن التاريخ الهجرى لم يكن ممتدا بهذا القدر، ولم تكن أمامهم المشاكل التى تقابلنا ،وضعوا لتسهيل أمورهم تاريخا جديدا سموه " تاريخ جلالى "(١) وهذا التاريخ رائج فى تقاويم الممالك الإسلامية من عرب وروم وما وراء النهر وخراسان وعراق وغيره ، ويتمسك بهذه التقاويم المتشرعون والمتدينون فى كل عهد من العهود ، وبالنظر إلى تكرار الالتماس من قبل أهل النظر والمشورة أمرت أن يؤخذ النوروز الذى كان قريبا لسنة الجلوس ،بداية للتاريخ الجديد (تاريخ إلهى) ، وأمرت أن يراعى هذا مستخرجو التقاويم فى ديار الإسلام وأن يطبق هذا التاريخ الجديد فى الهند وأن تمحى التواريخ المختلفة الأخرى ، من التقاويم الهندية ، كما أمرت أن تكون أشهر هذا التاريخ الأشهر الشمسية "(٢)

وهكذا يتضح من نص مرسوم السلطان أن غرضه من ذلك هو تخطى عقبة تعدد التواريخ فى الهند ، وكان من أهم مؤسسى هذا التاريخ هو مير فتح الله شيرازى الملقب بعضد الدولة ، وكان هذا التأسيس فى سنة ٩٩٢ هـ (١٥٨٤م) ولكن الوقائع أرخت به منذ بداية جلوس السلطان على عرش الحكم(٣) كما أن السنة الإلهية عبارة عن السنة الشمسية وبدايتها من يوم نوروز.(٤)

(١) نسبة الى جلال الدين ملكشاه السلجوقى (٤٦٥- ٤٨٥هـ/١٠٧٢-١٠٩٢م)
(٢) أبو الفضل علامى : أكبر نامه ،ج ٢ ، ص ١٢-١٥ .
(٣) محمد شريف : إقبال نامۀ جهانگيرى ، ج ٢ ، ١٢٦ .
(٤) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٤٢ .

وتدل بعض الدلائل على أن السلطان كان لا يصوم رمضان ، وكان يذهب في عيد الفطر إلى مصلى العيد فيؤدي هناك ركعتي العيد ويعطي الصدقات وكان يكفر عدم صومه بتحرير ثلاثمائة عبد وصرف خمسين ألف روبية للفقراء (١) ، كما كان السلطان يقيم احتفالا بمناسبة ذكرى ميلاد الرسول عليه الصلاة والسلام في كل سنة، وفي الثاني عشر من شهر ربيع الأول سنة ٩٨٨هـ (١٥٨٠م) أقام احتفالا بهذه المناسبة ، وحضره السادات والعلماء والمشائخ والأمراء وبسطت الموائد ودعي إليها عامة الناس ، وقيل ، للسلطان ، إن خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين رضى الله عنهم كانوا يقومون دائما بإلقاء خطب أيام الجمعة والعيدين ، ولقد أحيا خلفاء بني العباس هذه السنة السنية وبعدهم قام بنفس العمل السلاطين العظام ، فتقرر رأى أكبر شاه أن يقوم في إحدى الجمع بسنة الخلفاء وأئمة الهدى ، ففي يوم الجمعة غرة جمادى الأولى صعد على منبر جامع فتحپور وبدأ بإلقاء الخطبة الفارسية المنظومة التي تقول : (٢)

هو الله الذى أعطانا الزعامة ... وأعطانا قلبا بصيرا وساعدا قويا

وأرشدنا بالعدل والانصاف ... وأبعد عن خيالنا غير العدل

وضعه خارج عن حدود الفهم ... تعالى شأنه الله أكبر

---

(١) سليم شاه الهندى : تاريخ أكبر شاه ، ق ٤١ أ .

(٢) الأبيات بالفارسية :

خدا وندى كه مارا سرورى داد ... دلى دانا وبا زوى قوى داد

به عدل وداد مارا رهنمون كرد ... بجز عدل از خيال ما برون كرد

بود وضعش زحد فهم برتر ... تعالى شأنه الله أكبر

ثم قرأ الفاتحة ونزل من المنبر وأمر لخطيب الجامع وإمامه ، الحافظ محمد أمين ، أن يؤم المصلين ، فأدى السلطان خلفه ركعتي الجمعة .(١)

هذا ولقد كان لابتداع السلطان مذهب " دين إلهى " انعكاساته في الداخل ، حيث استغل شائعات انحرافات السلطان من قبل المتمردين على حكمه ، كما كان لذلك الإجراء آثاره السلبية في علاقات السلطان مع دولة الأزابكة كما سنراه فيما هو آت .

---

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٤٢ — ٣٤٣ .
عبد القادر بدايونى : منتخب التواريخ ، ص ٢٢٦ .
رولان موسنييه : تاريخ الحضارات العامة ، ج ٤ ، ص ١٩٥ .
V.A. Smith : Akbar the Great Mogul, P. 126

الفصل الرابع

العلاقات الخارجية

و

موقف أكبر من البرتغاليين على الساحل الهندي

الفصل الرابع

العلاقات الخارجية وموقف أكبر من البرتغاليين على الساحل الهندى

- العلاقات مع الأزابكة
- العلاقات مع الصفويين
- العلاقات مع العثمانيين
- موقف أكبر من البرتغاليين

كانت دولة السلطان أكبر تجاور الدولة الإسلامية الأزبكية (١) من ناحية الشمال الغربى ، وبالإضافة إلى العلاقات التجارية التى كانت قائمة بين البلدين المسلمين ، كانت هناك علاقات سياسية بين الدولتين ، فكانت الرسل وكانت الرسائل يتبادلها الجانبان ، وذلك لبحث كل ما يتعلق بالروابط بينهما ، كما كان المبعوثون يحملون معهم هدايا وتحفا لتقديمها إلى زعيمى الدولتين .

فى سنة ٩٨٥ هـ (١٥٧٧م) ودع مبعوث حاكم توران عبد الله خان أزبك ، وكان المبعوث قد وصل إلى البلاط قبل الحملة الأولى إلى كجرات حاملا معه رسالة ودية وتحفا وهدايا نفيسة ، من حاكم توران عبد الله خان إلى

---

(١) أزبك : بمعنى الحر المستقل ، وكان أزبك خان من أولاد چنكيز خان ولقد حسن إسلامه وأسلم على يديه أكثر القبائل الأزبكية التى تنتمى إلى اسمه . وكان أولاد الأمير تيمور يلتمسون العون والمساعدة من قبائل الأزبك أثناء حروبهم الداخلية فيما بينهم ، والتى أدت إلى ضعفهم وبالمقابل أصبح نفوذ الأزبك يتزايد يوما بعد يوم ، إلى أن استطاعوا طاردة التيموريين من أقاليم ما وراء النهر ، وحلوا محلهم فى حكم هذه المناطق ، وفى عهد حاكمهم المعروف ، عبد الله خان بن اسكندر خان (٩٧١ - ١٠٠٦هـ (١٥٦٣-١٥٩٧م) استطاعوا توسعة أملاكهم على حساب مناطق فى خراسان ، وبذلك أصبحوا متاخمين لدولة السلطان أكبر ، وأصبحوا كذلك مصدر قلق له ، خوفا من تقدمهم نحو كابل وقندهار .

السلطان أكبر، ولكن السلطان أكبر لم يهتم به كثيرا ، حيث كان ينظر إلى حكام ما وراء النهر الأزابكة نظرة الكراهية ، لأنهم قاموا بتسخير الممالك الموروثة للتيموريين ، فبقى المبعوث فترة طويلة إلى أن بدأ الهجوم على كَجرات ، وكان المبعوث مصاحبا لهذه الحملة حتى يشاهد عن قرب ، مدى قوة السلطان فى الفتح والتصدى للخصوم ، وبعد أن عاد السلطان من كَجرات ، فاتحا و منتصرا ، قبل التماس أعيان دولته ، فودع مبعوث عبد الله خان محملا إياه رد رسالته التى كان قد بعثها إليه بصحبة ذلك المبعوث ، ولقد رأى السلطان أكبر أن يقطع المراسلة ومبادلة المبعوثين بينه وبين حاكم توران ، فلم يرافق ذلك المبعوث مبعوث آخر من قبل السلطان أكبر ، كما كان متبعا (١) ، ولقد أصبح عبد الله خان قلقا من عودة مبعوثة بهذه الطريقة ، ومن أسلوب معاملة السلطان أكبر معه ، فأسرع بإرسال مبعوث آخر إلى السلطان أكبر ، حاملا إياه رسالة ودية من قبله ، ولقد وصل هذا السفير إلى بلاط الهند فى سنة ٩٨٧ هـ (١٥٧٩م) وكانت الرسالة التى يحملها إلى أكبر ، تتضمن طلبا من عبد الله خان ، بأن يشترك السلطان أكبر معه ، فى الهجوم على إيران ، والقضاء على الحكم الصفوى الشيعى هناك ، ولقد أحسن السلطان معاملة مبعوث عبد الله خان فى هذه المرة وودعه وداعا حارا ، كما أرسل من قبله مرزا فولاد أزبك ومعه خواجه خطيب البخارى ، مبعوثا إلى حاكم توران ،

---

(١) أبو الفضل علامى : أكبر نامه ، ج ٣ ص ١٨٤ .

كما حمله إليه رسالة وتحفا وهدايا هندوستانية نفيسة ، وبخصوص اقتراح عبد الله-خان المبنى على الهجوم المشترك ضد الحكم الصفوى الشيعى فى إيران ، رد السلطان أكبر فى رسالته مدعيا بأن للأسرة الصفوية انتسابا خاصا مع بيت النبوة ، ولا يتمكن من أن يجعل اختلاف المذهب مبررا للهجوم على إيران ، ويتناسى الصداقات القديمة التى كانت بين أسرته والأسرة الصفوية فى إيران ، كما نبه السلطان أكبر فى رسالته عبد الله خان أزبك ، بأن لا يعود فى ذكر حاكم إيران له بسوء ، وفى نفس الوقت أكد فى رسالته على الروابط الخاصة والمصير الواحد بين دولته والدولة الأزبكية فى توران ، خاتما رسالته بالبيت الفارسى الآتى [1] :

چو ما دوست باشيم باهمدگر　　　بود بحر وبر ايمن از شوروشر [2]

فى سنة ٩٩٠ هـ (١٥٨٢م) تمرد أخو السلطان الأصغر ، مرزا محمد حكيم حاكم كابل ، ولكن السلطان تمكن من هزيمته ، فسار هاربا إلى غوربند القريبة من حدود الأزابكة ، ولكن السلطان أكبر أسرع بالعفو عنه ، وأرسل فى طلبه ليعود إلى كابل ويباشر مهامه كالسابق ، وذلك حتى يقطع الطريق أمام لجوئه إلى توران ، وليفوت الفرصة على الأزابكة من أن يستغلوا مثل هذه التطورات ويقوموا بالتدخل فى شؤون كابل . [3]

---

(١) إذا كنا أصدقاء مع البعض　　فسيصبح البحر والبر آمنا من الفتنة والشر

(٢) أبو الفضل علامى : أكبر نامة ، ج ٣ ، ص ١٨٤ - ١٨٥ .
نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٤٣ .
عبد القادر بدايونى : منتخب التواريخ ، ص ٢٢٦ .

(٣) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٤٩ - ٣٥١ .

في سنة ٩٩٣ (١٥٨٥م) استولى عبد الله خان أزبك على بدخشان التي كانت تتبع سلطان الهند اسميا ، فلجأ حاكمها مرزا شاه رخ إلى الهند ، حيث استقبل من قبل كبار أمراء السلطان أكبر ، استقبالا حارا ، كما قدم له السلطان الخلع الفاخرة ومبلغ مائة ألف روبية نقدا ، وأمر بتخصيص منزل مناسب لسكناه . (١)

بهذه التطورات أصبح السلطان أكبر ، أكثر قلقا من نيات الأزبك التوسعية إلى الجنوب ، ففور سماعه بنبأ وفاة أخيه مرزا محمد حكيم حاكم كابل في سنة ٩٩٤ هـ (١٥٨٦م) فإنه فكر في كيفية المحافظة الجيدة على كابل وغزنة وأراد في الأول أن يبقى كابل كما في السابق في أيدي أبناء أخيه المتوفى ، ولكن كبار أمرائه عرضوا له أن أبناء أخيه مازالوا في الصغر وحداثة السن ، ولم يتأهلوا بعد في تحمل مسؤوليات الحكم ، خاصة وأن جند الأزبك قد استولى على بدخشان وهم بالمرصاد للتقدم نحو كابل ، وفي نفس الوقت جاءت الأنباء بأن اضطرابات وقعت بعد وفاة مرزا محمد حكيم ، وأن الجند أرادوا اللجوء إلى توران بصحبة أبناء مرزا محمد حكيم ، فبادر السلطان أكبر بالتوجه الى پنجاب في العاشر من رمضان سنة ٩٩٤ هـ (١٥٨٦م) ليكون على مقربة من حدود ولاية كابل ويراقب التطورات بنفسه من هناك ، كما أسرع بتعيين كنورمانسنگ الهند وكي حاكما على كابل ، وأرسل عددا من رجاله بأن يأتوا بأبناء أخيه إلى الهند ، وكما رأينا في الفصل الثاني تمكن السلطان أكبر من إعادة الهدوء والاستقرار

---

(١) نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبرى ، ص ٣٦٦ .
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٧ .
أرمنيوس فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٣٤١ .

إلى كابل ، ولكن قلقة من هذه التطورات ومن نيات الأزبك التوسعية لم تنته إلى هذا الحد بل اضطر أن يمكث في پنجاب حتى سنة ١٠٠٧ هـ (١٥٩٨) ليباشر بنفسه أعمال الفتح في حدود دولته الشمالية الغربية ، ويراقب أيضا تحركات حكام توران ، كما قام في خلال هذه المدة بجولات تفقدية إلى كابل للاطمئنان على الأوضاع في بوابة التورانيين إلى الهند [١] .

عند ما وصل أكبر شاه إلى پنجاب بدأ في إعداد قواته واتخاذ الاحتياطات اللازمة لمواجهة ما يمكن أن يحدث ، ولقد أمر بتوسعة ممر خيبر ، كما أقام جسرا على نهر السند ، مما سبب قلق التورانيين ، حتى أنهم كانوا يقفلون أبواب بلخ في معظم الأحيان ، فبادر عبد الله خان أزبك حاكم توران بإرسال مبعوث إلى السلطان أكبر ، وهو مير قريشي من أكابر السادات وصحبته هدايا كثيرة من خيول وجمال وتحف أخرى من نفائس تلك الديار ، كما كان يحمل رسالة ودية من عبد الله خان ، إلى السلطان أكبر ، ولقد أخر السلطان استقبال المبعوث المذكور لعدة أيام ، بسبب أنه حزين من قتل قائد الهند وكى راجه بيربل في حروبه ضد القبائل الأفغانية ، ثم استقبله في الديوان الملكي الذي كان قد أقامه على مقربة من نهر السند [٢] ، ولقد بادر السلطان أكبر بإرسال رسالة جوابية إلى ملك التوران ، قال فيها : " كانت رسالتكم رابطة الود والصفاء

---

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٦٧ .
أبو الفضل علامى : أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ٤٧٤ - ٤٧٦ .
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٧ - ٢٧٠ .
محمد شريف : إقبال نامهٔ جهانگيرى ، ج ٢ ، ص ٤٥٨ .
V.A.Smith: Akbar the Great Mogul , P. 195

(٢) أبو الفضل علامى : أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ٥٠٠ - ٥٠١ ، ٧٤٧ .

وواسطة المحبة والولاء ، تؤكد نسبة القرابة والمحبة السابقة ، وتمهد لتشييد قواعد الصداقة الصحيحة ، كما أورثت لنا صفاء الخاطر وانجلاء الباطن والظاهر" كما يذكر له فى رسالته أن المقصود من السلطنة والحكم والأبهة والفتح ، هو القيام بأعمال الراعى والإقدام على الحراسة ، وليس لجمع المال والمنال والانغماس فى الحظوظ النفسانية واللذات الجسمانية ، وأن طريقه هو المداراة والمواساة مع الصديق والعدو والقريب والبعيد ، وأن عنان توجهه معطوف لترفيه أحوال عموم الخلائق وطمأنة أوضاع جمهور الأنام ، ويذكر فى رسالته مشهدا الله على قوله بأن تسخير ممالك الهند الفسيحة والمتصلة بالمحيط من الجهات الثلاث ، لم يكن بمقتضى الهوى والهوس ، بل هو من أجل رعاية الملهوفين وحماية المظلومين ثم يؤكد فى رسالته مخاطبا عبد الله خان حاكم ما وراء النهر ، بأنه إذا كانت هذه شيمته وسجيته مع سائر العباد ، فكيف تكون معه " وهو المؤيد من رب العزة والكبرياء " ثم يضيف بأن روابط الصداقة وضوابط المحبة ، بين الجانبين متحققة ومتمكنة ، إضافة إلى القرابة الموجودة بينهما ، وأن واحدة من هذه الروابط تكفى للمحبة والولاء ، فكيف إذا اجتمعت كل تلك الدواعى ، ولا شك أن من ميامن بركات هذه الموافقة والموالاة ، انتظام أحوال العالم وانتساق أوضاع بنى آدم.(١)

لقد أشيع فى توران أن أكبر شاه ادعى الألوهية والنبوة ، فتوقف عبد الله خان عن إرسال الرسائل إليه ، ومع أن أكبر شاه بعث إليه رسائل كثيرة إلا أنه لم يتلق منه أى جواب ، إلى أن أرسل عبد الله خان رسالته الآنفة الذكر ، وذكر فيها أن انشغاله بالحروب إضافة إلى سماعه الأنباء التى تشير إلى ادعاء

---

(١) عبد الصمد : مكاتبات علامى ، ص ١١ - ١٣ .

السلطان الألوهية والنبوة ، كان وراء تأخر المراسلة ،فكتب السلطان أكبر، إليه فى رسالته المذكورة ،بأن ما أشير إليه فى أسباب تأخر إرسال الرسائل وعدم إظهار لوازم الصداقة ،من موانع غريبة بقيت فى حجاب الكتمان ، وأن الأسباب التى ذكرت فى باب ترك مراعاة الرسميات ،تبدو عجيبة وغريبة ، ولا يعرف كيف يمكن أن يكون مثل هذه الأمور موانع لذلك ، لأن القلق من الأعداء والمحاربة معهم لا يفسر ذلك ، ولأن من أعمال السلطنة الحروب والمعارك مع الأعداء ،فلا يعقل أن تكون مانعة فى إرسال الرسل والرسائل وإلا لاختفى هذا الرسم من السلاطين ، ويضيف أكبر شاه فى رسالته مخاطبا عبد الله خان أزبك : " إن الإشارة إلى موانع إرسال الرسل والرسائل والتى جاءت فى رسالتكم ، يرجح فى نظر العقل البعيد النظر عدم الخوض فيها ،ولكن الإغماض فى هذه المسألة غير لائق كالتطويل فيها ، فأكتفى بذكر هذه القطعة المنقولة عن أجلة أكابر الدين :

" قيل إن الإله ذو ولد قيل إن الرسول قد كهنا
مانجا الله والرسول معا من لسان الورى فكيف أنا " (١)

ويرد السلطان على مثل هذه الاتهامات بشدة ويقول : "إن الذين اسودت قلوبهم وقصرت بصائرهم ،تقولوا أقاويل ونسبوها إلىّ ، وأضلوا بها جمعا من البسطاء والجهلاء ،وهم فئة حمقاء لا يعرفون أنفسهم ،وكل همهم أن يبحثوا عن العيوب لا الفنون ، فهم دخان لكل دماغ ورياح لكل مصباح "

---

(١) عبد الصمد : مكاتبات علامى ،ص ١٣

ويعاتب السلطان فى رسالته حاكم توران بأنه لم يستخدم بعد نظره ودقته فى هذه المسألة ،ويتعجب من إصغائه لمثل هذه الاتهامات ، ثم امتناعه عن إرسال رسائل الصداقة بسبب هذه الشائعات ، مذكرا إياه أن عددا من خصومه قد هربوا إليه بقصد الخداع والرياء ، وليكدروا صفاء العلاقات الودية والأخوية بين الجانبين ، ويلقى أكبر شاه اللوم على عبد الله خان لعدم تحقيقه فى هذه الأخبار والشائعات قائلا له : " كانت الصداقة تقتضى مبادرتكم بإرسال المبعوثين الواعين للتعرف على لب الموضوع ودقائقه "(١).

ولقد شرح أكبر فى رسالته تلك ،منزلة العقل فى حياة الإنسان ، مؤكدا أن عقل السلاطين وفهمهم يفوق عقول السائرين من الناس ، فقال فى رسالته : "بالاستناد إلى النيرين وهما الكتاب والسنة ،وشهادة من أهل النظر ، وإشارات من أرباب الكشف والتحقيق ، وفى المجموع باتفاق أهل الملل والنحل ، تقرر أن عمدة موجبات شرف الرتبة ورفعة المنزلة للنوع الإنسانى الذى كرمه الله بقوله ،" وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا "(٢) هو العقل الذى تعتمد عليه معرفة الله ، والتعرف على مخلوقاته ،وباتفاق من أصحاب النقل وأرباب العقل فإن عقول السلاطين العظام أكثر نورانية ، لأنهم أصحاب العروش المحبين للعلم والمعرفة ، وإذا كان فى مصنع الخلق قد أعطى من العلم والوعى كل حسب حاجته واستعداده ،فان هذه الطائفة العلية ، يتصفون بمزيد من الفهم والذكاء" (٣) ويذكر السلطان فى رسالته أيضا ، أن جميع المستكبرين من

---

(١) عبد الصمد : مكاتبات علامى ، ص ١٩ - ٢٠ .
(٢) سورة الاسراء : الآية ٧٠ .
(٣) عبد الصمد : مكاتبات علامى ، ص ٢٠ .

الهنود وجنود هم وغير هؤلاء قد وضعوا حلقة الطاعة فى آذانهم ، وانضموا إلى العساكر المنصورة ،فحصل لمختلف طوائف الأنام الارتباط والانضباط التام ، ويمقتضى " وأحسن كما أحسن الله إليك "(١) نبذل جل همنا لتمهيد قواعد الرأفة وتأسيس مبادئ النصفة وإشاعة أنوار العاطفة ،كما نعمل لطراوة حدائق أمانيهم وآمالهم ،برشحات سحاب المكرمة والإحسان ، وقطرات أمطار الفضل ، والامتنان ، كما يؤكد السلطان أنه بعد الفراغ من التأليف بين طوائف الهند ،سيبذل جهده لتطهير طريق الزائر والتاجر من مزاحمة كفار الإفرنج الذين وصلوا إلى جزائر البحر المالح ، ويقومون بأعمال الفتنة والفساد ويتعدون على زائرى الحرمين الشريفين " زادهما الله شرفا " كما يتمنى السلطان أن يوفقه الله ليباشر بنفسه أداء تلك المهمة . (٢)

ويحذر السلطان ، عبد الله خان أزبك من الإصغاء الى العلماء أصحاب الغرض ، ويؤكد مجددا على أهمية العقل فيقول : إن على أصحاب هذا العقد الفريد ، أن لا يعطلوه وأن يستمدوا به فى مسالك المعاش والمعاد " خاصة أثناء التحدث مع بعض رجال الدين أصحاب القلوب المسودة والأعمال المكدرة ، الذين لا هم لهم إلا الأنانية والأغراض الشخصية ، والذين يلقون نظرات إلى الأوراق فيحرفون الكتاب الخالد المنزل من عند الله والمبلغ من قبل الرسول ، والذين يؤلون مجملات النصوص ، ويطلبون مشاركة الملوك ،

---

(١) سورة القصص : الآية ٧٧ .

(٢) عبد الصمد : مكاتبات علامى ، ص ١٤ .

في تصريف الأمور ، وإننا نسمع عن كثرة الاختلاف في كل باب فنطلب الدلائل والبراهين في المسائل العلمية والعملية ، ونحاول دائما استكشاف غوامض المسائل الدينية وتنقيح مقاصد المجتهدين ومستنبطات عقائد السلف ومراجع أقاويل الخلف ، ونتفحص في موارد الخلاف ونتصفح مواقع الاختلاف ومنشأ الخلاف الدائر بين علماء الأمة في خلال ألف عام والمفصل في الكتب المتداولة ، وإن القيام بهذا العمل ، أدى إلى كساد سوق الجهلاء المزورين والمتلبسين بثوب العلم والذين حصلوا بهذه الطريقة على امتيازات كبيرة ، كما أدى انتهاجنا لهذا الأسلوب ، إلى ظهور جمع من أرباب العلم الذين كانوا في زوايا الخمول بسبب سوء نفسية الطائفة الأولى (١) " " وهؤلاء الأشقياء نسبوا إلى ادعاء الألوهية تارة وادعاء النبوة تارة أخرى ، فافتضحوا عند الخاص والعام ، وبادروا الى دار البوار (٢) "

كما يقترح السلطان أكبر في رسالته على عبد الله خان حاكم ما وراء النهر اللقاء المباشر والتعرف على البعض وذلك في حدود خراسان ، لتدعيم أسس المحبة بالمشافهة ودون وساطة رسول أو رسالة ، خاصة أن رابطة المحبة ونسبة القرابة قديمة بين الجانبين ، وأن ضوابط الود وقواعد الاتحاد ، استحكمت مجددا ، إثر إرسال الخطاب الودى مع مير قريشى ، ويضيف أكبر شاه في هذا الصدد بأنه إذا تحقق هذا الأمل ، ووجدنا أن واحدا منا أكثر معرفة للحق وأكثر طلبا له ، فعلى الآخر استرضاء خاطره والوقوف معه موقفا

---

(١) عبد الصمد : مكاتبات علامى ، ص ٢١ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٢٢ .

أخويا كاملا وأن لا يعدل عما يراه صلاحا ، لأن هدف الجانبين هو الحصول على رضاء الحق سبحانه وتعالى ، بعيدا عن استحصال الشهرة والتسلط على البريسة[١] .

هذا ولقد حمل هذه الرسالة الى عبد الله خان مبعوث السلطان الخاص حكيم همام ، ولقد وصفه السلطان فى رسالته وذكره بأنه زبدة المقربين والموالين والخبير الصادق ، وأنه يستطيع عرض الأمور إليه بدون واسطة ، كما ذكر السلطان فى رسالته أنه أرسل مير صدر جهان وهو من السادات الكبار ، لينوب عنه فى تقديم التعازى بمناسبة وفاة سكندرخان والد عبد الله خان ، وذكر السلطان بأنه أرسل اليه أيضا تحفا وهدايا برفقة محمد على خزانچى عملا بمقتضى " تهادوا تحابوا "[٢] وختم أكبر شاه رسالته تلك قائلا : " أرجو أن تستمروا دائما فى إرسال صحائف المحبة ورسائل المودة التى تحرك سلاسل الإخلاص وتؤسس مبادئ الاختصاص[٣] " .

وعلى الرغم من تبادل هذه الرسائل الودية إلا أن السلطان أكبر استمر فى حيطته وحذره ، وكل ما فعله أنه غادر ضفة نهر السند إلى لاهور حيث استقر هناك لعدة سنوات وأشرف بنفسه على التطورات فى توران ، كما عمل على تدعيم نفوذه فى كابل وفى المناطق التى تقع بين هذه الولاية الهامة وبين ولاية پنجاب ، وكل هذا ليكون جاهزا لمقابلة كل الاحتمالات

---

(١) عبد الصمد : مكاتبات علامى ، ص ١٥ - ١٦ .
(٢) رواه الإمام مالك فى الموطأ ، ضمن الأحاديث المتعلقة بحسن الخلق .
(٣) عبد الصمد : مكاتبات علامى ، ص ١٦ - ١٧ .
أبو الفضل علامى : أكبر نامة ، جـ ٣ ، ص ٥١٢ .
نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٧١ .

وليطمئن على أمن دولته من تلك النواحى (١) ، فلقد اتجه إلى كابل فى سنة ٩٩٧ هـ(١٥٨٩م) ونزل فيها فى الثانى والعشرين من ذى القعدة ، وهناك عاد إليه حكيم همام وميرصدر جهان ، مبعوثاه إلى توران ، وبصحبتهما مبعوث عبد الله خان وهو أحمد على أتاليق ، الذى كان يحمل رسالة ودية من حاكم توران إلى سلطان الهند ، يدعو فيها إلى الاتحاد والتعاون بين الجانبين كما كان يحمل المبعوث تحفا وهدايا من البضائع النفيسة الموجودة فى تلك الديار ،فاستقبله السلطان واستلم منه رسالة عبد الله خان والهدايا المرسلة من قبله ، ولكن الذى حدث بعد ذلك ، أن أحمد أتاليق لم يعد إلى بلاده دون أن يعرف عن مصيره شئ ، فأصبح عبد الله خان قلقا من هذه الناحية ، خاصة وأن المذكور كان من كبار رجالاته ومستشاريه ،فبادر حاكم توران بإرسال مبعوث آخر ، وهو مولانا حسين خراسانى ، حاملا رسالة ودية وتحفا وهدايا منه إلى أكبر شاه ، كما استفسر فى رسالته عن مصير مبعوثه السابق ، ولكن مولانا لم يعد هو الآخر إلى عبد الله خان ،ولم يعرف شئ عن مصيره ، كما لم يقم أكبر شاه بإرسال أية رسالة أو مبعوث إلى عبد الله خان ، حتى سنة ١٠٠٤هـ (١٥٩٥م) وفى هذه السنة قام السلطان بإرسال أحد رجالاته وهو خواجه أشرف نقشبندى مبعوثا منه إلى حاكم ما وراء النهر ، وحمله رسالة مطولة يشرح فيها السلطان بعض الأحداث الداخلية فى دولته ، كما يجيب فيهما

---

(١) أبو الفضل علامى : أكبر نامة ،ج ٣ ،ص ٥٠٦ ، ٥٠٨ .

عن استفسارات عبد الله خان التى جاءت فى رسائله (١) ، ولقد بدأ السلطان رسالته المذكورة بالحمد لله المبدع الذى وحد طوائف الأنام إما بانخراطهم وانتظامهم فى وحدة إرادية بواسطة الأنبياء والرسل على نبينا وعليهم الصلاة والسلام ، وإما بواسطة حكام الصورة لانتظام عالم الظاهر .. بعد هذا يدعو السلطان لعظماء عهده الذين ليس لهم هم إلا أن يعيش جمهور الأنام من المتفق والمختلف فى بساط الأمن والعافية ،ثم يدخل السلطان إلى الموضوع بذكر المجاملات التمهيدية وإظهار حسن النية ، فيذكر أنه تسلم رسالته فى منتزهات كابل ،بكامل السرور والرضا ، وأنها كانت لوحة الصفوة والصفا ، وديباجة القربة والاصطفاء وصحيفة الود والإخاء (٢) ، ثم يبدى السلطان رغبته فى التعايش السلمى وحسن الجوار ، مستحسنا جعل هندوكوه (٣) حدا فاصلا بين دولته ودولة الأزابكة ، ثم يضيف بأنه " لا يوجد أمر أشرف من التودد والوفاق والذى يرتكز عليه انتظام الكائنات ، ولو ظهر هذا الأمر فى طبقة السلاطين ، فلا شك أنه يثمر البركات والحسنات للحال والمآل ، وسيعيش ألوف النفوس وأصناف ذوى الحياة ، عيشة هادئة مطمئنة ، وكان الأجدر بنا البدء فى إظهار مراسم المصالحة وإبراز لوازم المصادقة ، لأنه خلافا لمعظم الحكام السابقين ،كانت همتنا موجهة إلى أن تكون معاملتنا

---

(١) أبو الفضل علامى : أكبر نامة ،ج ٣ ،ص ٥٩١-٥٩٢، ٦٠٥، ٧٤٧.
نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ،ص ٣٧٣.

(٢) عبد الصمد : مكاتبات علامى ،ص ٤-٥.

(٣) هندوكوه : وتسمى الآن بهندوكش ،وهى عبارة عن سلسلة جبال عالية ممتدة شرقا وغربا ، وهى تقع شمال كابل ،ويمر منها حاليا طريق سالنك الإستراتيجى .

مبنية على نهج الائتلاف والارتباط ،ولما أصبح حضرة العالى بادئا لهذا فإنه يلزم علينا أكثر من السابق ، أن نهتم بمراعاة هذه النسبة والرابطة "(١) وفى الإشارة الى إثبات حسن نيته تجاه دولة الأزابكة ، يذكر السلطان فى رسالته لعبد الله خان ،بأنه قد راعى تلك النسبة والرابطة ، فلم يلب طلب حاكم إيران الذى أرسل إليه مبعوثا خاصا يستعين به ، ويطلب وقوفه إلى جانب إيران فى نزاعها مع الأزابكة ، وذلك على الرغم من سوابق المعرفة وسوالف حقوق الصداقة الموجودة بين الدولتين ، كما كان شاه رخ مرزا حاكم بدخشان الهارب ، يرغب أن يقطعه فى كابل أو كشمير أو فى غيرهما من الولايات البارده والقريبة من بدخشان ، ولكنه نظرا إلى حسن الجوار فإنه لم يستجب لالتماسه ، وأقطعه فى ولاية مالوه ، وكذلك يذكر أكبر شاه فى رسالته لعبد الله خان حاكم توران ، بأنه قد استدعى مرزاوات قندهار(٢) ، وفوض حراستها إلى الملازمين البابريين ،لأن قندهار كانت قبل ذلك جزءا من أراضيه ، وأنه أقدم على هذا الإجراء ، حتى لا يعتبرها جنود توران من أملاك إيران ، فيجعلوها هدفا لتوسعهم ، ولكى لا يقع هناك خلط بين الأراضى المتعلقة بتوران وبين أراضى دولته ، كما يذكر السلطان أكبر فى إطار إثبات حسن نياته تجاه توران ، بأنه قد ظهر فى جبال بدخشان واحد من الغوغاء ، فادعى أنه ابن شاه رخ مرزا حاكم بدخشان السابق واللاجئ إلى الهند ، فانضم إليه ملاك

---

(١) عبد الصمد : مكاتبات علامى ، ص ٥٠

(٢) المصدر نفسه : ص ٥٠
أبو الفضل علامى : أكبر نامة ،ج ٣ ، ص ٧١٢ ٠
جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أباطرة المغول ،ص ١٠٢ ٠

الأراضي في تلك الضواحي ، وأرسل إليه عرائض الاستمداد ، ولكنه لم يهتم به فكان مصيره الفشل والإدبار(١) .

تجدر الإشارة الى أن أكبر شاه يؤكد هذا الأمر في رسالة أخرى ، كان قد بعثها إلى حاكم خانديس ،راجي عليخان في سنة ١٠٠٠ هـ (١٥٩٢م) ويقول فيها : انه كان ينوى استرداد بدخشان من سلطة توران وإعادتها إلى مرزا شاه رخ ، ولكن عبد الله خان أزبك بدأ بإرسال المبعوثين واحدا بعد الآخر ، طارقا أبواب الصداقة وحسن الجوار ،فانصرف عن ما أراده ورجع إلى لاهور. (٢)

ويجدد أكبر شاه في رسالته هذه أيضا اقتراح اللقاء المباشر بينهما ويقول : " لأول مرة تتردد بيننا كلمة الصلح ،فيرغب القلب أن يتم السلام على هيأة تتناسب وشأن الذين رقاهم الله إلى العظمة ، وفي حالة ما سيذكره المبعوث والرسالة ، فيا حبذا لو عين حضرة العالي مكانا ما ، لنجتمع فيه اجتماعا أخويا مباشرا دون أية وساطة ،فننقح ونوضح المقاصد الدينية والدنوية والمطالب الصورية والمعنوية " وكذلك ينفي أكبر في رسالته أن يكون له أية مطامع توسعية في أراضي توران ويقول : " سمعنا أن هناك بعض من جرت على ألسنتهم أقاويل بشأن وجودنا في حدود پنجاب ، وذكروا في هذا الصدد

---

(١) عبد الصمد : مكاتبات علامي ،ص ٥ - ٦ .
(٢) المصدر نفسه : ص ٧١ .

ما يخالف مبادئ الصداقة ، فحاشا أن نظهر خلاف ما نبطن ، وأن نقوم بعمل يخالف التقرير والتحرير ، فعلى الرغم من أن الجو كان لطيفا ومنعشا ، وأن الانشغال بالصيد كان محببا فى هذه الديار ، إلا أننا رأينا أن نتوجه إلى آكره حتى نقطع لسان المتقولين "(١) .

وعلى الرغم من هذا التأكيد فان السلطان لم يعد إلى آكره بل بقى فى لاهور حوالى ثلاث سنوات أخرى .

كان عبد المؤمن بن عبد الله خان قد خطب ابنة أكبر شاه دون علم والده فأرسل حاكم توران رسالة إلى أكبر يعتذر عما أقدم عليه ابنه ويضيف أنه بسبب حداثة سنه ، قد هوى أمورا لا تليق به ، فأجابه أكبر فى رسالته هذه بأن المبعوث قد غرق فى الماء (٢) أثناء الطريق وقبل الوصول إليه ، فلم يعرف مضمونه ، كما يبدى تأثره من وقوع هذه الواقعة ، ثم يؤكد أن روابط القرابة مع ضوابط المحبة الجديدة ، انتظمت والتأمت على شكل لا يمكن أن يتسرب من خلاله غبار على صفاء الصداقة ، ويضيف أن العهود الجليلة والمواثيق الشريفة التى تقررت مرة بعد الأخرى من قبل المبعوثين الخبراء ، مرتسمة

---

(١) عبد الصمد : مكاتبات علامى ، ص ٥٦

(٢) ويذكر فى هذا الصدد أن أكبر شاه قد اطلع قبل هذا على مهمة المبعوث ، فأغرقه فى أثناء الطريق ، ثم يأسف من أن مبعوثه قد غرق . (المصدر نفسه ص ٧ ، الهامش رقم ١) ، وهناك إشارة فى أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ٧٤٧) ، يستشم منها بأن أحمد على أتاليغ ومولانا حسين المبعوثين من قبل عبد الله خان قد لقيا مصرعهما بإيعاز من سلطات الدولة ، ولكن السلطان أكبر يؤكد فى رسالته أن الأول توفى وفاة طبيعية وأن الثانى قد غرق فى الطريق .

ومنقوشة فى خـاطـره وأن فى طريق الإسلام ومذهب الكرام ما يكفى عشرها للإبقاء على أركان الصداقة والأخوة ،بين محبى الحقيقة وأصحاب المروءة ،ثم يشير السلطان إلى مصير مبعوث عبد الله خان السابق قائلا : "لقد اتضح مما حرر أن بعض الحملات موقوفة بعودة أحمد على أتاليق ، وربما سمعتم أنه قد ودع العالم الفانى ، ولقد كان رجلا أصيلا واعيا ،فلو قدر أن عاد إلى مجلسكم ،لعلم من لسانه الصدوق، كثيرا من أسرار المصادقة وغوامض الموافقة "(١) ويصرح السلطان فى رسالته عن استعداده لتذليل كل العقبات ،وأنه مستعد لتقديم كل مساعدة تلزمها طبيعة الصداقة .

كما يشير السلطان بشئ من التفصيل إلى فتوحاته ومصير خصومه ، وكذلك مروءته فى معاملة أعدائه الذين حاربوه ، ومع ذلك لقد صفح عنهم بعد أن انقادوا ، وإضافة إلى ذلك أبقى الكثيرين منهم فى حكم أقاليمهم : « ويذكر أكبر شاه فى هذا الصدد وكنوع من العرض للقوة ، فتوحاته فى كشمير والسند وكجرات وأوريسة وبعض المناطق الأخرى ،كما يشير إلى انتصاراته على الأفغانيين والبلوچيين ويصفهم فى رسالته بقطاع الطرق الذين كانوا يتعرضون لقوافل توران وإيران وينهبون الناس باسم التمغا ، ولقد استخدم أكبر شاه هذا الأسلوب للرد على المناورة النفسية الموجودة فى رسالة عبد الله خان ، حيث ذكر فيها تفاصيل الفتوحات التى قام بها ، ويصرح أكبر شاه أنه اعتبر ذكر هذه الفتوحات من نتائج حسن النية وفرح بها "(٢)

---

(١) عبد الصمد : مكاتبات علامى ،ص ٧

(٢) المصدر نفسه : ص ٦ - ١١ .

ومع كل هذه المجاملات والعبارات الودية التي كانت تحملها رسائل الجانبين إلا أن أكبر شاه ظل قلقا وحذرا ،فبقي في لاهور إلى أن قتل عبد الله خان بواسطة ابنه عبد المؤمن في سنة ١٠٠٦ هـ(١٥٩٧م) وجلس على عرشه ذلك الابن القاتل الذي لم يكتف بقتل والده فحسب بل قتل كبار قواد الدولة وأمرائها وأعيانها ، ولكن عبد المؤمن نفسه اغتيل أثناء انشغاله بالصيد ، وقام أهل سمرقند بنهب خزائنه وأمواله ، وبذلك انتهت دولة الشيبانية الأزبكية من الوجود ، وأصبحت ما وراء النهر في حوزة ملوك الطوائف ، ولما اطلع أكبرشاه على أنباء الاضطرابات وأعمال الشغب في توران ، أشاره جمع من مستشاريه وأمرائه بأن يستغل الوضع الجديد ، ويقوم بالهجوم على توران بقصد إخضاعها وضمها إلى دولته ، ولكن السلطان رجح أن يتوجه إلى دكن في الجنوب ، فترك لاهور مطمئن البال متوجها إلى عاصمته آكَره [١].

وأما بالنسبة للعلاقات مع ايران ،فإنها قديمة وتاريخية بين التيموريين والصفويين ، فعندما كان الأمير تيمور في طريق حملته ضد العثمانيين [٢] ، التقى صدفة مع خواجه على الصفوي من أجداد الشاه إسماعيل ، الذي دعا له بالظفر والنصر ، ولما رجع تيمور منتصرا ومعه عدة آلاف من الأسرى ، جاء إلى خواجه على

---

(١) محمد شريف : إقبال نامهٔ جهانكيرى ،ج ٢ ، ص ٤٥٨ .
أبو الفضل علامى : أكبر نامة ،ج ٣ ،ص ٧٩٠- ٧٩١ .
عبد المؤمن : أضواء على تاريخ توران ،ص ١٠٣ .
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ،ج ١ ،ص ٢٧ .

(٢) كان ذلك في سنة ٨٠٤هـ/١٤٠٢هـ ولقد تقابل الجيشان في معركة أنقره في يوم الاربعاء السابع عشر من ذى الحجة والتى انتهت بانتصار الأمير تيمور ،كما وقع السلطان العثمانى بايزيد الأول في أسره .
(ابن عرب شاه : عجائب المقدور في أخبار تيمور ، ص ٤٧٢) .
(إبراهيم أحمد العدوى : التاريخ الإسلامى ، ص ٤٠٢) .
(محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ،ص ٥١) .

مرة أخرى فى أردبيل مقدما إليه الهدايا ، فطلب منه خواجه على أن يطلق سراح هؤلاء الأسرى ، فأطلق الأمير تيمور سراحهم ، وبعد فترة عظم شأن الصفويين بمساعدة هؤلاء الأسرى الذين أطلق سراحهم بطلب خواجه على إلى أن أصبح إسماعيل الصفوى حاكما ببلادهم فى سنة ٩٠٧ هـ (١٥٠٢م) (١) . كما استنجد بابر شاه جد السلطان أكبر بشاه إسماعيل الصفوى فى نزاعه ضد الأزبك الذين طردوه من أملاك آبائه فى فرغانة وسمرقند ، بعد أن سبقهم فى ذلك عمه وخاله ، ولقد لبى شاه إسماعيل طلبه وأمده فى سنة ٩١٦هـ (١٥١١م) بجيش صفوى استطاع به أن يفتح سمرقند للمرة الثالثة ولكنه لم يتمكن من الاحتفاظ بها ، حيث طرده الأزبك من ما وراء النهر نهائيا (٢) .

كذلك لجأ همايون والد أكبر شاه إلى شاه طهماسب الصفوى حاكم إيران (٩٣٢ -٩٨٤هـ/١٥٢٤ -١٥٧٦ م) ، بعد أن خذله إخوته فطرده شير شاه سور من حكم الهند ، وتمكن همايون أن يعيد تنظيم قواته فى إيران ويبدأ استرداد أملاكه شيئا فشيئا إلى أن عاد إلى عرش الهند للمرة الثانية (٣) ، ليسلمه إلى ابنه الصغير أكبر بعد قرابة ثلاثة شهور (٩٦٣هـ/١٥٥٦م

---

(١) عبد الصمد : مكاتبات علامى ، ص ٧٠ ، الهامش رقم ٣ .
محمد عبد القادر : أويماق مغل ، ص ٧٦٧- ٧٦٨ .
عبد العزيز سليمان نوار : الشعوب الإسلامية ، ص ٢١٨ .

(٢) عبد الحى حبيبى : ظهير الدين محمد بابر شاه ، ص ١٨ - ١٩ .
أرمنيوس فاميرى : تاريخ بخارى ، ص ٣٢٧ ، ٣٢٩ .
عبد العزيز سليمان نوار : الشعوب الإسلامية ، ص ٢٢٩- ٢٣٢ .

(٣) أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الإسلامية ، ج ٢ ، ص ٥٤٥ .

وعند ما كان همايون فى إيران قال له شاه طهماسب : إنه بعد أن أخرج بابر شاه حكم الهند من تصرف الأفغانيين ، كان يستحسن فى مثل ذلك البلد ، قيام مصاهرة وانتساب مع كبار ملاك أراضيها ، وعندئذ لأصبحوا مدين ومعاونين أثناء التفرقة ، ولم يكن يحدث هناك اختلال فى السلطنة ، ولما تولى همايون عرش الهند للمرة الثانية ، كان يتذكر فى خاطره هذا المطلب ، ولكن لم يتيسر له حصوله ، وعند ما تولى أكبر شاه الحكم ، اهتم بحصول ذلك المأمول اهتماما بالغا وذهب فى تطبيقه إلى أبعد الحدود (١) .

كانت علاقات السلطان أكبر بالشاه طهماسب ، علاقات ود واحترام ، وتعاون ، ولقد قام (٢) بهادرخان شقيق خان زمان بالهجوم على قندهار ، فاستعان حاكمها شاه محمد قلاتى الذى كان يتولى أمورها من قبل بيرم خان ، بشاه ايران لمحاربة بهادرخان ، مقابل أن يتنازل له عن قندهار وفق ما وعده همايون والد أكبر ، ولكن قلاتى لم يف بوعده ، فأرسل حاكم إيران ابن أخيه سلطان حسين مرزا للاستيلاء على قندهار ، وقد أقام المذكور حصارا حول قلعتها ، ودام الحصار دون أن يحصل سلطان مرزا على شئ ، وأخبر قلاتى السلطان أكبر عن تطور الأمور ، فأصدر أوامره إليه ، بأن أباه همايون كان يقول : إننا اذا انتهينا من فتح هندوستان ، فسوف نترك قندهار للشاه ،

---

(١) سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٧٣

(٢) كان هذان الاخوان من الذين تمردوا على حكم السلطان ، كما رأينا فى الفصل الأول .

كما عاتب السلطان واليه على قندهار من أنه حارب الصفويين وتسبب فى تفاقم الوضع إلى هذا الحد ، وأمره أن يسلم القلعة إلى رجال الشاه ، وأن يقدم لهم الاعتذار ثم يعود إلى آكره (١) .

كذلك أراد شاه طهماسب أن تكون علاقاته مع سلطان الهند ، علاقات متينة وعمل على تجديد استحكام الروابط القديمة بين الأسرتين ، وبعد جلوس السلطان أكبر على عرش الهند ،أرسل شاه إيران ابن عمه سيد بيگ ، مبعوثا خاصا منه إلى أكبر ،ليقدم له تهانيه بمناسبة جلوسه على العرش ، وذلك فى سنة ٩٦٩هـ (١٥٦١م) ،حاملا معه التحف والهدايا الكثيرة ، ولما وصل سيد بيگ الى آكره ، كان فى استقباله عدد من كبار أمراء السلطان الذين رافقوه بالترحيب والتكريم ، ومكث مبعوث شاه إيران الخاص فى آكره لمدة شهرين ، ثم أنعم له بمبلغ سبعمائة الف تنكه والحصان والخلع الخاصة ، وعاد إلى بلاده حاملا معه تحفا وهدايا كثيرة (٢).

وبعد وفاة شاه طهماسب الصفوى ٩٨٤هـ(١٥٧٦م) وإلى أن تولى الشاه عباس عرش إيران ٩٩٥هـ-١٠٣٧هـ (١٥٨٧ - ١٦٢٨م) لا تذكر المصادر شيئا عن تبادل الرسائل أو المبعوثين بين الدولتين ،وقد ترجع ذلك إلى الاضطرابات والتنازع على السلطة بين أفراد الأسرة الصفوية ، والذى حدث بعد وفاة طهماسب إذ تذكر مصادر (٣) البلاط وفاة شاه طهماسب وقتل السلطان حيدر الذى خلفه

---

(١) أبو الفضل علامى : أكبر نامه ،ج٢ ، ص٩٨-٩٩ .
(٢) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص٢٥٧ .
عبد القادر بدايونى : منتخب التواريخ ،ص ١٤٨ .
(٣) أبو الفضل علامى : أكبر نامه ،ج ٣ ، ص١٩٢ .

فى نفس السنة ثم تولى ابنه الآخر العرش وهو إسماعيل الذى لم تصل مدة حكمه
إلى عامين (١) ، وبعد تولى الشاه عباس عرش الصفويين ٩٩٥هـ(١٥٨٧م) ،
بدأ تبادل المبعوثين بين الجانبين من جديد ، ففى عام ٩٩٩ هـ(١٥٩٠م) ،
أرسل شاه عباس مبعوثه مرشد تبريزى إلى أكبر شاه يستنجد به فى حروبه مع
الأزبك فى خراسان ، ولكن أكبر شاه أبدى عدم رضائه مما أقدم إليه الشاه
عباس وهو إبعاد والده محمد خدا بنده ٩٨٥ هـ- ٩٩٥ هـ(١٥٧٨-١٥٨٧م)
عن العرش ، وجلوسه هو محله ، وأعرب أنه لا يمكن أن يساعد من يعامل سيده
بهذا الاسلوب ، فعاد المبعوث إلى إيران صفر اليدين ، ولكن الشاه عباس
أسرع بإرسال مبعوث آخر إليه، وهو يادگار سلطان ، الذى وصل الى بلاط أكبر
شاه حاملا إليه رسالة ودية من عاهله ،ولقد جدد الشاه عباس فى رسالته هذه
طلبه من أكبر شاه ، وهو أن يساعده فى استرداد خراسان من أيدى الأزبك
حكام ما وراء النهر، ولقد استشار أكبر كبار أمرائه فى كيفية التعامل مع إلحاح
عاهل إيران فى هذا الأمر ، وأبدى البعض رأيه بأن يبادر السلطان بإرسال
أحد أبنائه على رأس جيش إلى خراسان ،ليساعدوا إيران فى طرد الأزبك
واسترداد خراسان من أيديهم ،كما عارض هذا الرأى البعض الآخر ، ولقد
رجح السلطان الرأى الأخير ،بدليل أن حاكم توران عبد الله خان والى
فى إرسال مبعوثيه طارقا أبواب الصداقة ونسبة القرابة(١) ، وتقرر أن يتخذ موقفا
محايدا بين الجانبين ،فاعتذر عن تلبية طلب الشاه عباس كما اعتذر قبل ذلك
عن تلبية مثل هذا الطلب من عبد الله خان أزبك الذى كان يريد هو الآخر

---

(١) أبو الفضل علامى : أكبر نامة ،ج ٣ ،ص ٦١٢-٦١٣
عبد الصمد : مكاتبات علامى ،ص ٥٥

مشاركة سلطان الهند في هجومه ضد إيران ،ولكن أكبر شاه رحب في هذه المرة بمبعوث الشاه عباس وودعه حسب العادة المتبعة بين الدولتين في مثل هذه الحالات ،وهو أن يبادر سلطان الدولة بتوديع المبعوثين ثم يتبعه بإرسال مبعوثه الشخصي ليحمل إلى الجانب الآخر رسالته وهداياه ،وكان هذا الإجراء دليلا لإبداء حسن النية والرغبة في إيجاد العلاقات الحسنة ، فأرسل أكبر شاه سنة ١٠٠٢ هـ (١٥٩٣م) ضياء الملك مبعوثا من قبله إلى الشاه عباس حاملا رسالته الجوابية إليه كما أرسل معه أبا ناصر ، ليكون مشرفا على نقل الهدايا والتحف وتقديمها إلى شاه إيران (١) .

ولقد ذكر السلطان أكبر في رسالته هذه إلى الشاه عباس بأنه قد استلم رسالته الودية والتي أرسلت برفقه يادكار سلطان حسين شاملو ، ويذكر السلطان العلة لتوقف إرسال الرسائل بأنها مشاغله الداخلية والحروب والفتوحات (٢) .

هذا ويذكر في هذا الصدد أعماله وفتوحاته في الهند وانتصاراته على خصومه ، ثم يصرح بالواقع فيضيف أن الأصل في توقف المراسلة بعد وفاة طهماسب ،هو عدم انضباط الأحوال في إيران ،وحدوث الاضطرابات في تلك الديار ، « وفي هذا الوقت الذى وصل فيه المبعوث حاملا الرسالة الحميدة عرف أن ذلك الاختلال قد خف ، ولا شك أن خاطرنا القلق اطمأن لسماع هذه الأنباء المطمئنة » (٣) .

---

(١) أبو الفضل علامي : أكبر نامة ،ج٣ ،ص ١٨٤ - ١٩٥ .
(٢) يلاحظ أن أكبر شاه ذكر في عتابه لعبد الله خان ، اندهاشه من أن تكون المعارك والمشاغل الداخلية سببا في انقطاع تبادل الرسائل .
(٣) عبد الصمد : مكاتبات علامي ،ص ٢٨ .

ويذكر أكبر شاه أن مطلق السؤال عن الأوضاع وفى مثل تلك الظروف، بعيد عن المروءة والفتوة، بل كان عليه أن يلبى أى طلب للمساعدة والإمداد، ولكن قضية قندهار حالت بينه وبين ما كان يريد عمله، لأن المرزاوات وهم من أفراد الأسرة الصفوية قد تكاسلوا فى المحافظة على قندهار، وفى نفس الوقت لا يقومون بمعاضدة الشاه عباس، فكان عليه أن يسلم أمور قندهار إلى رجاله، وبعد وصول عساكره إلى قندهار سيكون من السهل تلبية أى إمداد أو معاضدة، ولكن إرسال الجيوش قبل الاستفسار ربما كان يعنى فى نظر العوام عدم الترابط بين الجانبين، فانصرف عن هذا القصد.

ويؤكد السلطان على هذا الموضوع فى رسالته التى كان قد بعثها إلى راجى عليخان حاكم خانديس فى سنة ١٠٠٠هـ (١٥٩٢م) اذ يشير فيها، بأن استخلاص قندهار كان فى مكنون خاطره، ولكن الشاه عباس، نظرا إلى روابط الصداقة السابقة فبادر بإرسال مبعوثيه مع الرسائل الودية والهدايا النفيسة، طالبا المدد والمساعدة، فرأى أن فى هذا الوقت الذى يواجه فيه الشاه عباس المشاكل الداخلية والخارجية، لا تقتضى مروءته أن تعبر عساكره إلى تلك النواحى، فترك قندهار إلى المرزاوات الذين ينتسبون إلى الأسرة الصفوية.

فى محرم من سنة ١٠٠٢ هـ (١٥٩٣م) لجأ مرزا رستم بن سلطان حسين مرزا ابن بهرام مرزا ابن الشاه اسماعيل الصفوى، حاكم قندهار إلى

أكبر شاه ، ومعه إخوته وأبناؤه وعياله ، ولما وصلوا إلى ضفة نهر چناب في پنجاب استقبلوا من قبل كبار أمراء أكبر من أمثال خان خانان عبد الرحيم خان ،وزين خان كوكه وغيرهما ، ولقد استقبله السلطان بنفسه أيضا فأنعم عليه ، وعينه قائدا على وحدة مكونة من خمسة آلاف جندى ، كما أقطع له فى ملتان وهى أكبر بكثير من قندهار ، وبالمقابل سلم مرزا رستم ، قندهار إلى رجال أكبر شاه ، ولقد أشار السلطان فى رسالته إلى الشاه عباس لهذه التطورات ، وبذلك تمكن من استرداد قندهار ، بمهارة سياسية فائقة أبقت على العلاقات الودية بينه وبين جارته إيران . (١)

ويذكر أكبر شاه فى رسالته إلى الشاه عباس الصفوى حاكم إيران ، بأن فى دستور السلطنة وفى نهج المروءة ، يقدم الاتفاق على الاختلاف ويكون الصلح أصلح من الحرب ، وأنه لا يضع فى عين الاعتبار اختلاف المذاهب واختلاف المشارب فى تعامله مع السائرين ،بل يرى أن طبقات الأنام كلهم عباد الله ، وعليه السعى لانتظام أحوالهم وفق ما " تقتضيه العناية العظمى " (٢) .

---

(١) عبد الصمد : مكاتبات علامى ، ص ٢٩ ، ٥٧٠
نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ،ص ٣٧٩ ٠
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٦٩ ٠
أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ، ج ٢ ،ص ٩٧ ٠

(٢) عبد الصمد : مكاتبات علامى ، ص ٢٩ ٠

ويشير السلطان فى رسالته إلى علاقاته مع الأزابكة حكام ما وراء النهر ، ويؤكد أنه عند ما ترك عاصمته متوجها إلى پنجاب ، كان عازما أن يسير الحملات إلى ما وراء النهر ، لجعلها تحت تصرف أولياء دولته ، وفى نفس الوقت يكون قد قدم مساعدة للبيت الصفوى ، كما يشير السلطان إلى بلاد ما وراء النهر بأنها ملكه الوراثى ، ثم يضيف أن عبد الله خان ، بادر بإرسال الرسائل الودية التى تذكر بالقرابة السابقة ، وتمهد للمحبة اللاحقة وبرفقة المبعوثين الخبراء ، فأصبح محركا لسلسلة الصلح والصلاح ، ومؤسسا لمبادئ الود والوفاق ، ولأن الحرب مع الذى يطرق باب الصلح ، غير محمود فى الشريعة الغراء أبعدنا ذلك التفكير عن خاطرنا "(١)

ويشير أكبر شاه فى رسالته تلك أيضا ، إلى الاضطرابات فى إيران ، كما يقدم نصائحه إلى الشاه عباس الصفوى ، فيبدى دهشته من أنه لا يسمع من القادمين من إيران ، ما يفيد عن تدارك الأوضاع المتوترة هناك ، كما يصرح بأنه مهتم بكل مطلب ومقصد منه ، ويطلب منه أن يسلك طريق المراسلة ويبلغه بحقائق الأحوال اليومية فى بلاده ، ثم ينبهه إلى أن العلماء الخبراء قد قل وجودهم فى إيران ، فعليه أن يبذل جهدا بليغا فى انتظام الملك والقيام بأحوال جمهور الأنام ، وأن يراعى فى كل أمر الحزم والتأمل ، وأن يتحمل ويغمض عن زلات الملازمين القدامى والجدد ، وأن يقدم أرباب الإخلاص ، ويصقل أرباب النفاق ، وأن يحتاط كثيرا فى قتل الآدميين " وهدم البنيان

---

(١) عبد الصمد : مكاتبات علامى ، ص ٣٠ .

الربانى " «وما أكثر الأصدقاء الذين أبعدوا عن بساط القرب بحيل من الأعداء فلبوا داعى الأجل ، وما أكثر الأعداء الذين لبسوا ثوب الصداقة والولاء والإخلاص ، ثم عملوا على هدم الدولة من الأساس" فعليه أن يبذل المزيد من المراقبة لضمائر هؤلاء الناس وسرائرهم ، وأن ينظر إلى طبقات الأنام بنظرة الإشفاق ، وأن يسعى لتأليف القلوب ، وبذلك يكون قد اطمأن من تدعيم دولته ، وعليه أيضا أن يعتبر الرحمة الإلهية شاملة لجميع الملل والنحل ، وأن يحاول جاهدا الدخول فى "صلح كل"(١) الذى هو "منتزه دائم الربيع" وليعلم أن الله جعل طائفة السلاطين لانتظام العالم وحراسة جمهور الأنام ، وليحافظوا على أعراضهم ونواميسهم ، وليعلم أيضا أن الإنسان لا يتعمد الخطأ فى أمور دنياه وهى فانية وغير باقية ، فكيف يمكن أن يتساهل فى أمور الدين والمذهب وهى باقية ومستدامة » فلا تخلو حال كل طائفة من أمرين : فإما أن يكون الحق معه فليس للمسترشدين المنصفين إلا تبعيته ، وإما أن يكون خاطئا فى اختيار منهج معين ، فهو معذور بجهالته وقابل للترحم والشفقة ، ولا يليق فى هذه الحالة الإشارة عليه وتعزيره . ويستمر السلطان أكبر فى تقديم نصائحه إلى الشاه عباس ويوجهه بأن عليه الاهتمام فى باب الصبر والتحمل ، لأن من ميامنه سعة الصدورة والمعنى وفسحة العمر والدولة ، ومن نتائجه أن لا يضرب الأصدقاء بشبه الأعداء ، أثناء ضيق الفرص واستيلاء الغضب ، وعليه أن لا يبقى مكانا

---

(١) صلح كل : الصلح مع الجميع .

لخداع الأعداء المتلبسين بثوب الأصدقاء ، وليسع فى الحفاظ على الوعد والعهد . لأنه عماد الحكم ، وليكن الصبر والتحمل مصاحبين دائمين لأن أساس الدولة الثابتة ينطوى عليهما . (١)

وفى ختام رسالته يذكر الشاه عباس بأن يعتبر البيت الحاكم فى الهند ، بيته هو ، وأن يسلك خلاف ما كان فى الأيام الماضية ، وأن يعتبر الاستمرار فى إرسال الرسل والرسائل وهى اللقاء الروحانى والمجالسة المعنوية ، من شمائل الأخوة والوحدوية ،ثم يختتم رسالته بالدعاء له فيقول : " حفظك الله من مكاره آخر الزمان ومكائده ،ويؤيدك بتأييدات غيبية ، وأنت نقاوة بيت الاصطفاء والارتضاء ، وخلاصة آل الاجتباء والاعتلاء " (٢)

---

(١) عبد الصمد : مكاتبات علامى ،ص ٣٠ - ٣٢ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٣٣ .

وأما بالنسبة لعلاقات الدولة المغلية فى عصر أكبر ، بالدولة العثمانية أكبر الدول الإسلامية فى ذلك الوقت، فلا تزودنا المصادر المتوفرة لدينا بأى توضيح أو شرح ، ولا تشير إلى أنه قد تم بين الجانبين تبادل الرسائل أو السفراء ، إلا أن السلطان أكبر ، أرسل خطابا إلى أحد رجالاته الكبار فى مكة المكرمة وهو أعظم خان كوكلتاش أخوه من الرضاعة ، والذى كان حاكما على كَجرات المطلة على الساحل الغربى لدولته ، وكان قد استدعى من قبل السلطان إلى العاصمة ، إلا أنه رفض الذهاب إليها ، وأخذ أهله وعياله فى سفينة ولجأ إلى الحجاز ، دون إذن من أكبر ، فأرسل السلطان إليه رسالة بصحبة أحد رجالاته ، يذكره فيها بقبح ما فعل ويدعوه أن يعود إليه واعدا إياه بالعطف والعفو ، ويشير السلطان فى هذه الرسالة ، أنه كان يفكر دائما إرسال أحد مبعوثيه الخبراء إلى سلطان الروم [1] ، لتحكيم مبادئ المحبة بين الجانبين ، والآن فقد أصبح جازما أن يرسل أحدا إليه ، أو يرسل هذا الذى يحمل خطابه إلى مرزا عزيز كوكه [2] ، فعلى الرغم من أن هذا الخطاب يشير إلى تفكير أكبر شاه بإقامة علاقات ودية مع العثمانيين إلا أنه يبدو بأن ذكر هذا الموضوع فى الرسالة الموجهة إلى حاكم كَجرات الهارب إلى الحجاز ، كان تخويفا له أكثر من أن تشير إلى عزم السلطان على إقامة مثل هذه العلاقات ، لأن الحجاز فى ذلك الوقت كانت فى حوزة

---

(١) يقصد السلطان العثمانى .

(٢) عبد الصمد : مكاتبات علامى ، ص ٥٧ .

العثمانيين ، فيخوف أكبر شاه أخاه من الرضاعة والهارب إلى الحجاز ، بأنه لو لم يعد إليه طواعية ،فسوف يعيده مضطرا ، وذلك باستعانة من السلطات العثمانية فى الحجاز ، وهناك إشارة أيضا بأن موانئ البنغال والسند فى عهد أكبر اشتهرت ببناء السفن ، وبلغت تلك الموانئ بهذه الصناعة حدا من الاتقان ، جعل سلطان العثمانيين أن يصنع سفنه هناك[1] ، وفيما عدا هذه الإشارات ليس هناك ما يبرهن على وجود العلاقات الحسنة بين هاتين الدولتين الإسلاميتين ،بل هناك ما يشير إلى أن السلطان أكبر كان مؤيدا للصفويين فى نزاعهم مع العثمانيين ،ففى الرسالة التى بعثها أكبر إلى سلطان الأزبك فى ما وراء النهر والموالى للعثمانيين ، يصرح بأنه كان ينوى تطهير طريق الزائر والتاجر من أشقياء الإفرنج الذين جاؤوا إلى المحيط الهندى ، ويقومون بأعمال الفتنة والفساد ، وخاصة أنهم يقومون بإيذاء زائرى الحرمين الشريفين ، ولكن يسمع أن غوغاء قزلباش[2] قد انحرفوا عن جادة الإخلاص والولاء مع واليهم ، فيرى أن يرسل أحد أبنائه لمعاضدته

---

(١) ول ديورانت : الهند وجيرانها ، ص ١٥٧ .

(٢) قزلباش : إن هذه الكلمة لا تدل على قبيلة ،ولا توجد فى القبائل المغلية قبيلة بهذا الاسم ،ولقد أطلقت هذه الكلمة على أنصار الصفويين وأتباعهم منذ زمن السلطان حيدر والد الشاه اسماعيل الصفوى ، حيث لبس قلنسوة حمراء وقلده فى ذلك أتباع الأسرة الصفوية ،فشاعت تسميتهم بقزلباش أى أصحاب الرؤوس الحمراء .

(محمد عبد القادر : أويماق مغل ،ص ٧٦٧) .

ولكن بعد أن سمع بأن سلطان الروم قد نقض العهود (١) والمواثيق التي كانت بين الجانبين ، واستغل الأزمات الموجودة في إيران ، وأرسل ضد الصفويين الأفواج على دفعات(٢) فيلزم عليه التوجه إلى هناك بنفسه والقيام بمساعدتهم وذلك بالنظر إلى انتسابهم إلى بيت النبوة حسب رأى أكبر ورعاية لحقوق الأسلاف السابقة ، وبغض النظر عن انحرافهم عن طريق السنة والجماعة.(٣) وعلى الرغم من أن مساعدة من هذا النوع لم تتم ، إلا أن عبارات الرسالة ، تدل صراحة على تعاطف السلطان أكبر مع الصفويين في نزاعهم ضد العثمانيين .

وبالنسبة للحجاز إحدى الأقاليم العثمانية ، فقد كانت هناك اتصالات بين السلطان أكبر وبين أشراف مكة المكرمة ، وكان السلطان يرسل في كل سنة

---

(١) في شهر مايو سنة ١٥٥٥ م تم التوقيع على الصلح الرسمي بين السلطان سليمان القانوني وبين الشاه طهماسب الصفوي ، احتفظ العثمانيون بموجبه بالعراق ، وتخلوا عن مطالبهم في تبريز وبعض المناطق الأخرى.
(جلال يحيى : العالم الاسلامي ، ص ٣٩٥) .

(٢) سيرت هذه الحملات في زمن السلطان العثماني مراد الثالث (١٥٧٤-١٥٩٥) الذي استجاب لمشورة بعض كبار المسئولين في استانبول ، فقامت بين العثمانيين والصفويين حروب بين سنتي ١٥٧٩ و ١٥٨٨ ، انتهت بعقد صلح بين الجانبين في سنة ١٥٩٠ تنازل بموجبه الشاه عباس للعثمانيين عن تبريز ، وبعض المناطق الأخرى.
(جلال يحيى : العالم الإسلامي ، ص ٤٥١ - ٤٥٥) .

(٣) عبد الصمد : مكاتبات علامي ، ص ١٥ ، ٢٣ .

أحد الشخصيات الكبار فى منصب أمير الحج ، كما كان يسلم إليه مساعدات نقدية وعينية لتوزيعها على المحتاجين فى مكة المكرمة ، كما كان يرسل تحفا وهدايا إلى الأشراف. (١)

ولقد أرسل السلطان رسالة مطولة إلى أشراف مكة المكرمة ، أشار فيها إلى الأعمال التى قام بها فى الهند ، وبدأ رسالته هذه بالحمد لله سبحانه وتعالى والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكر أن كل همه أن تكون طوائف الأنام من الخواص والعوام مرفهى الحال ومتشرحى البال ، يواظبون فى أداء مراسم العبادة ، ولا تمد إليهم بوجه من الوجوه أيدى التسلط والتعدى ، وأن يتلذذ الجميع بقدر ميسور من موائد النعم الوافرة التى فوضه الله توزيعها ، سيما إلى سكان خير البلاد ومتوطنى أحسن البقاع ، فلقد تقرر أن يعين فى كل سنة واحدا من ملازمى البلاط المتصف بمزيد من حسن الظن ، على منصب أمير الحج ، وترسل معه الإنعامات من النقود وغيرها .

ويضيف أكبر فى رسالته الى أشراف مكة المكرمة ، بأن انشغاله بإخماد تمرد أخيه مرزا محمد حكيم حاكم كابل فى سنة تسع وثمانين وتسعمائة ، تسبب فى عدم إرسال الإنعامات فى هذه السنة ، ويبدى أمله أن لا يتكرر ذلك مرة أخرى ، كما يشير أكبر إلى أنه قد عفا عن أخيه وأعاده مجددا إلى حكم كابل شريطة أن يبذل جهوده فى إحياء مراسم الشريعة الغراء ، ويجد فى ترفيه عباد الله ، ثم يضيف بأنه قد أرسل برفقه كل من الشيخ عبد النبى

---

(١) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبر ، ص ٣٤٧ - ٣٤٨ .

ومخدوم الملك وحكيم الملك ، مبالغ سوى المبلغ المرقوم ، لتوزيعها على الشرفاء العظام والقضاة الكرام وبعض الوجهاء والمعارف ، بالسرو الكتمان ودون مشاركة أحد ، ويأمل السلطان أن يكتب له تقرير عن تفصيل ذلك المبلغ بالكيفية التى سيوصله المشار إليهم ، مختما بختم الشرفاء والقضاة . (١)

ويشير أكبر شاه فى رسالته أيضا ، قضية (٢) أحد أنصاره الذى أوذى فى الحجاز ، وهو الشيخ معين الدين محمد هاشمى شيرازى ، ويضيف إلى أن بعضا من الأشرار وبدافع من البغض والعداوة والحسد ، نسبوا إليه تهمة لا أساس لها من الصحة ، وهى أنه قد كتب فى الرسالة التى ألفها باسم السلطان ، ما يخالف الشرع ، ثم يضيف بأن هذا الأمر محض افتراء وبهتان " نعوذ بالله من شرور أنفسهم " ، ويؤكد أنه لم يسمع من المشار إليه أصلا وقطعا ما يخالف المعقول والمنقول ، ولم يعرف عنه إلا الصلاح

---

(١) عبد الصمد : مكاتبات علامى ، ص ٣٤ - ٣٦ .
نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٤٧ - ٣٤٨ .

(٢) لقد صنف المذكور رسالة فى التعريف بأكبر شاه ، يقال إنه أشار فيها بطريقة ضمنية إلى الإلهامات وإثبات النبوة للشاه الممدوح ، فعندما علم الناس بهذا الأمر ، قاموا بإيذاء الشيخ المذكور ، فكتب أكبر لشرفاء مكة المكرمة ينفى التهمة الموجهة إلى الشيخ ويعتبرها كذبا فادحا .

(المصدر نفسه : ص ٣٦ ، الهامش ٥) .

والتقوى واتباع شريعة محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ، ويطلب أكبر شاه في رسالته من شرفاء مكة ، أن يقوموا بتأديب من يسميهم الأشرار والحسدة ، وأن يقوموا برفع الإيذاء عن الشيخ المذكور ، ويتعجب السلطان من الذين أصغوا إلى هذه التهم " التي لا يصدقها البله والصبيان " كما يطلب أن يطرد هؤلاء من الأماكن الشريفة وأن لا يسمح لهم بدخولها ثانية . (١)

---

(١) عبد الصمد : مكاتبات علامي ، ص ٣٦ - ٣٧ .

وكذلك كانت هناك اتصالات بين دولة السلطان أكبر والد ويلات المجاورة لها ، ومن هذه الاتصالات ، الرسالة التى بعثها أكبر شاه إلى حاكم كاشغر بعد فتح كشمير التى تجاورها ، ويذكر السلطان فى هذه الرسالة بعد الحمدلله ، أن الله سبحانه وتعالى جعل سلاطين العصر وأصحاب عروش الزمان ، يحركون له سلسلة المصادقة والوحدوية ، ثم يطلب من حاكم كاشغر أن يفرح خاطره بإرسال الرسل والرسائل ، خاصة أن كشمير أصبحت فى تصرف أولياء دولته ، ويشير فى رسالته أيضا إلى الجوار وقرب المسافة بينهما ، ويعرب عن أمله أن يفتح حاكم كاشغر طريق الصفوة والمحبة ، وأن يطلب من نفائس هندستان ما يرغب فيه بدون أى تكلف [1] وأن يعتبر أكبر عونا له .

وكذلك يشير السلطان فى رسالته إلى وصول شاه محمد مبعوث حاكم كاشغر إليه وأنه كرمه وأحسن استقباله ثم ودعه ، كما يضيف أنه أرسل إلى حاكم كاشغر مبعوثا من قبله وهو معتمد الخواص إبراهيم ، ليتحدث معه بالمشافهة ، كما ذكر أن أحد التجار يرافق المبعوث المذكور ، وهو فتاحا الذى يقوم بالرحلات المتعددة فى أنحا العالم ثم يعود إلى السلطان ، كما يستفسر السلطان فى رسالته عن وجود مشاهير الفنانين والحرفيين والصناعيين فى كاشغر [2] .

---

(١) عبد الصمد : مكاتبات علامى ، ص ٣٣ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٣٤ .

ولقد أقلق استيلاء السلطان على كشمير ، حاكم تبت ، فبادر أكبر شاه في سنة ٩٩٧هـ (١٥٨٩م) بإرسال مرزا بيگ وملا طالب أصفهانى مبعوثين إليه ، حتى يقوما بطمأنته وإزالة قلقه . (١)

كما كانت هناك علاقات وتبادل الرسل والرسائل بين السلطان وحكام دكن في الجنوب ، كما رأينا في الفصل الثاني من البحث .

(١) أبو الفضل علامى : أكبر نامة ، جـ ٣ ، ص ٥٨٠ .

وأما بالنسبة للبرتغاليين فإنهم نزلوا أول ما نزلوا فى ساحل مليبار الواقع فى الجنوب الغربى لشبه القارة الهندية ، وذلك فى بداية القرن العاشر للهجرة النبوية الشريفة الموافق للقرن السادس عشر الميلادى ، وعلى الرغم من أن حكام مليبار لم يكونوا مسلمين إلا أنهم كانوا متسامحين ومتعاطفين مع المسلمين الذين جاؤوا من مناطق مختلفة وخاصة من البلدان العربية وتوطنوا هناك وقاموا بأعمال التجارة ، حتى أن اليهود والنصارى الذين كانوا موجودين فى مليبار ، أصبحوا يحسدون هؤلاء المسلمين ، نظرا لنشاطهم الدينى والتجارى من جهة ، ونظرا لقربهم إلى حكام مليبار من جهة ثانية ، وأخذوا يعادون المسلمين ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يعملوا شيئا ما ، إذ أصبحت ممالك دكن وكجرات المجاورة تابعة لسلاطين دهلى ، وقوى شأن الإسلام فى دكن ، فأصبح حكامها سندا للمسلمين المليباريين ، مما جعل اليهود والنصارى يختارون الصمت وعدم اظهار المعاداة ، الى أن دخل القرن العاشر الهجرى ووصل البرتغاليون إلى المحيط الهندى ونزلوا فى سواحل مليبار(١) وبدأوا فى إقامة القلاع فى السواحل الهندية ، ولقد قارنت هذه التطورات ضعف السلطنة البهمنية المسلمة فى دكن ، ثم زوالها من الوجود لتحل محلها خمس إمارات إسلامية .

---

(١) فرشته : تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ٣٧١ .
أرنولد ويلسون : الخليج العربى ، ص ٢٠٣ .
سعاد ماهر : البحرية فى مصر الإسلامية ، ص ١٢٧ - ١٢٨ .
محمد فؤاد شكرى ومحمد أنيس : اوربا فى العصور الحديثة ، ج ١ ، ص ٧٧ .

في سنة ٩٠٤ هـ (١٤٩٨م) وصلت أربع سفن برتغالية إلى كالى كوت في ساحل مليبار، واستطلع ملاحوها الأوضاع ثم رحلوا . وبعد سنتين منها وصلت ست سفن برتغالية إلى كالى كوت، وطلبوا من المليباريين بأن لا يسمحوا بسفر المسلمين إلى البلدان العربية ، لأن المعاملة مع البرتغاليين ستكون أكثر نفعا لهم ، وعلى الرغم من أن السامرى حاكم مليبار لم يستجب لهذا الطلب ، إلا أن النصارى بدأوا يتعدون على المسلمين ، مما أغضب السامرى ، فأمر بأن تدبر ضدهم مذبحة عامة ،فقام المليباريون بنهب أموالهم ، كما قتل حوالى سبعون نفرا من الإفرنج ، وركب الناجون السفن هاربين إلى ميناء كوچى الواقع فى الجنوب من كالى كوت ، حيث كان حاكمها فى نزاع وعداء مع السامرى ، فأذن للبرتغاليين بأن يقيموا قلعة قرب كوچى ويختاروا التوطن فيها ، فطار البرتغاليون فرحا من هذه الفرصة السانحة وأقاموا القلعة فى خلال فترة وجيزة(١) ، كما هدموا المسجد الذى كان بجوار الساحل وأقاموا على أنقاضه كنيسة ، وكانت هذه أول قلعة بناها الإفرنج فى الديار الهندية ، ثم سمح لهم بأن يقوموا ببناء قلعة فى ميناء كنور الواقع فى الشمال من كالى كوت ،فبدأوا يتجارة الفلفل والزنجبيل ، ومنعوا الآخرين

---

(١) زين الدين المليبارى : تحفة المجاهدين ،ق ١٣ ب-ق ١٤ أ-
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ٣٧١ .
محمد فؤاد شكرى ومحمد أنيس : أوربا فى العصور الحديثة ،ج ١ ،ص ٧٨
أنور الجندى : العالم الإسلامى والاستعمار السياسى والاجتماعى والثقافى ،ص ١٠١ - ١٠٢ .
بدر الدين عباس الخصوص : دراسات فى تاريخ الخليج العربى ، ج ١ ص ١٣ .
عبد القادر أحمد اليوسف : العصور الوسطى الأوربية ،ص ٣٦٩ .

من القيام بهذه التجـــارة . (١)

لم يتحمل السامرى تواطؤ جيرانه وتعاونهم مع البرتغاليين ، فهاجـــم كوچى وقتل حاكمها ، إلا أن ورثته قاموا مقامه ، وأعادوا النظام فى ولايتهم ولقد جهز السامرى قواته وهاجم المتواطئين ثلاث مرات أخرى ، إلا أن البرتغاليين كانوا يقومون بإمداد الكوچيين ،فلم يترتب على هذه الحملات الهدف المطلـــوب وهو الاستيلاء على كوچى ثم طرد البرتغاليين منها ، لأن قوة المدفعيــــــة البرتغالية كانت تحول أمام دخول كوچى ، فبادر السامرى بإرسال مبعوثيــه إلى سلاطيـن مصر وجده ودكن وكجرات ، يبلغم بأن اعتداءات الإفرنــــــج على بلاده قد تجاوزت حدها ، وعلى الرغم من هذا فإن أكثر ما يقلقه هو مصـير المسلمين المقيمين والمتوطنين فى هذه البلاد ، وأنه يعتبر الدفاع عنهم مـــن واجبه ولا يقصر فى هذا الســبيل من صرف الخزائن والدفائن ، ولكن حاكم البرتغال معروف بكثرة خزائنه ، فيوالى بإرسال السفن المشحونة بالمقاتلــين الأشداء ، دون أن يصيبه ضعف من ضياع أفراده ، فمن هنا أحتاج لمساعدة سلاطين الإسلام ، وأطلب تيســير السفن المشحونة بالمقاتلين الشجعــــــان الأقــوياء لنقوم بقهر أعداء الإسلام . (٢)

استجاب سلطان مصر قانصوه الغورى بطلب حاكم مليبار ، فأرســـل

---

(١) زين الدين المليبارى : تحفة المجاهدين ،ق ١٤ أ-ق ١٤ ب.
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ،ج ٢ ، ص ٣٧١ .

(٢) المصدر نفســه : ج ٢ ،ص ٣٧١ .
زين الدين المليبارى : تحفة المجاهدين ،ق ١٥ أ -ق ١٦ أ .

إلى الساحل الهندى ثلاث عشرة سفينة مشحونة بالمقاتلين والأسلحة وعلى رأسها الأمير حسين ، كما بادر شاه محمود شاه كجراتى حاكم كجرات بتجهيز قواته وإعدادها لقتال الإفرنج ، ووصلت السفن المصرية إلى ديو ، ومن هناك اتجهت مع السفن الكجراتية الى ميناء چيول ، حيث كان محل اجتماع الإفرنج ، وانضم اليهم أيضا أربعون سفينة من السامرى حاكم مليبار وعدة سفن من حكام گووة ودابل ، ثم خططوا للمواجهة مع الإفرنج ، واستولوا على سفينة منهم ،فعادوا إلى ديو ، ولكن الإفرنج باغتوهم فى ديو ، فاضطر ملك إياز حاكم ديو والأمير حسين قائد القوات المصرية إلى محاربتهم انتهت باستيلاء الإفرنج على عدد من السفن المصرية واستشهاد الكثير من المسلمين (١) ، فعاد الإفرنج إلى موانئهم واستغلوا غياب السامرى فهاجموا كاليكوت فى يوم الخميس الثانى والعشرين من سنة ٩١٥ هـ (١٥٠٩م) وأحرقوا جامعها ، وقاموا بأعمال النهب والتخريب وفى اليوم التالى قام المليباريون ضدهم بالهجوم وقتلوا حوالى خمسمائة شخص منهم ، كما غرق الكثير منهم فى البحر وهرب الباقون إلى ميناء كولم الواقع على سواحل دكن ، وأقاموا قلعة على بعد نصف فرسخ منه ، كما استولوا

---

(١) زين الدين المليبارى : تحفة المجاهدين ،ق ١٦ ب - ١٧ أ .
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ،ج ٢ ، ص ٣٧١
محمد صالح ضرار : تاريخ سواكن والبحر الأحمر ، ص ٤٢
أحمد حسين : موسوعة تاريخ مصر ،ج ٢ ،ص ٧٩٧ .

على ميناء كَووه التابع لحاكم بيجاپور ، بعد أن قدموا رشاوى إلى حاكم الميناء ، وبالغوا فى استحكامات قلعة كَووه وجعلوها مقرا لحاكم الإفرنج فى الموانئ الهندية.[1]

توفى السامرى هما فى سنة ٩٢١ (١٥١٥م) وخلفه أخوه الذى سالم البرتغاليين فى الأول ، وسمح لهم أن يبنوا قلعة بالقرب من مدينة كالى كوت ، وأخذ منهم عهدا بالسماح بإرسال أربع سفن من الفلفل والزنجبيل الى موانئ العرب بجدة وعدن فى كل سنة ، والتزم البرتغاليون بوعدهم إلى أن أتموا بناء القلعة ،فنقضوا عهدهم ومنعوا تجارة البضائع المذكورة إلى الموانئ العربية واعتدوا على المسلمين المليباريين كما دبروا أسر السامرى بحيلة الدعوة إلى الضيافة ولكنهم لم ينجحوا فى ذلك ، وانضم إليهم أيضا طائفة اليهود بعد أن رأوا ضعف حاكم مليبار ، واستشهد على أيديهم كثير من المسلمين ، فندم السامرى[2] من تعامله مع البرتغاليين وبدأ بالقضاء على اليهود ، حيث لم يبق منهم أثر فى تلك البلاد ، وكان ذلك

---

(١) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ،ج ٢ ،ص ٣٧٢.
زين الدين المليبارى : تحفة المجاهدين ، ق ١٧ ب - ١٨ ب.
محمد فؤاد شكرى ومحمد أنيس : أوربا فى العصور الحديثة ،ج ١،ص ٨٠.
P. Spear : A History of India, V. II, P. 69

(٢) أتباعا لوصية السامرى الأول فى القرن الثالث الهجرى ، كان يسمى بهذا الاسم كل من كان يتولى الحكم فى كالى كوت بطنا بعد بطن.
(تاريخ فرشته ،ج ٢ ، ص ٣٦٩).

فی سنة ٩٣١ هـ (١٥٢٥م) ثم اتجه باتفاق مع جميع المسلمين المليباريين إلى كالی كوت ، وقاموا بضرب الحصار حول القلعة ، وغلبوا الإفرنج وفتحوا القلعة بصعوبة بالغة وكان ذلك فی السادس عشر من محرم سنة ٩٣٢هـ/١٥٢٥م وقويت بذلك شوكة المليباريين ، فقاموا بإرسال السفن المشحونة بالفلفل والزنجبيل وغيرهما إلى الموانئ العربية دون استئذان من الإفرنج أو دفع الرسوم لهم ، ولكن الإفرنج قاموا ببناء قلعة شاليات[١] على بعد فرسخين من كالی كوت ،فقطعوا الطريق أمام تردد السفن المليبارية ، وذلك فی سنة ٩٣٨هـ (١٥٣١م) ، كما أقاموا قلعة ريكدنده بالقرب من ميناء چيول وتوطنوا فيها ، وكذلك استولوا على ديو وبعض الموانئ الكجراتية فی سنة ٩٤١ هـ (١٥٣٤م)[٢] .

---

(١) قلعة شاليات : لقد نجح السامری حاكم كالی كوت فی السادس عشر من جمادی الأخرى سنة ٩٧٩هـ (١٥٧١م) من استرداد القلعة ، وإجبار من كان بداخلها من البرتغاليين للاستسلام ، كما أخذ ما فی القلعة من المدافع وغيرها وهدم القلعة حجرا حجرا وجعل موضعها كالصحراء ، ونقل كثيرا من الأحجار والأخشاب الى كالی كوت وسلم بعضها لعمارة المسجد الجامع القديم الذی هدمه البرتغاليون عند بناء القلعة . (تحفة المجاهدين ،ق ٤٣ أ - ق ٤٣ب) .

(٢) زين الدين المليباری : تحفة المجاهدين ،ق ٢٠ ب ، ٢١أ ، ٢٢أ ، ٢٣ ب ، ٢٥ب ، ٢٦ب ، ٢٧ب .
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ،ج ٢ ، ص ٣٧٢ .

في سنة ٩٤٤ هـ (١٥٣٧ م) أراد السلطان سليمان العثماني أن يطرد الإفرنج من الموانئ الهندية ، فرشح لأداء هذه المهمة وزيره سليمان باشا ومعه حوالي مائة سفينة ، وأمره أن يخضع أولا ميناء عدن الذي يقع على طريقه ثم يتقدم إلى الموانئ الهندية ، فاستولى سليمان باشا على عدن وقتل حاكمه الشيخ عامر بن داؤد ، ثم تحرك إلى ديو ، وبعد الوصول إليها أراد أن يدخل مع البرتغاليين في معركة بحرية ، ولكنه عاد أدراجه دون الدخول في معركة حاسمة بسبب النقص في التموين ونفاد الخزانة (١) ، واستمر البرتغاليون في تثبيت أقدامهم في الموانئ الهندية (٢) ، وبحلول عام ٩٦٣ هـ (١٥٥٥ م) امتد

---

(١) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ٣٧٢ .
زين الدين المليباري : تحفة المجاهدين ، ق ٣١ ب .
علي حسون : الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية ، ص ٥٦ .
عبد المتعال الصعيدي : المجددون في الاسلام ، ص ٣٦٠ .

(٢) يذكر مؤلف تحفة المجاهدين مشيرا إلى عوامل نجاح البرتغاليين وفشل المسلمين في القضاء عليهم فيقول ((وهم لعنهم الله أهل مكر وخديعة ، عارفون بمصالح أمورهم ، فيتذللون لأعدائهم وقت الحاجة غاية التذلل ، وإذا انقضت سطوا عليهم بكل ممكن ، وكلهم على كلمة واحدة ، لا يخالفون أمر كبرائهم مع بعد المسافة عن رعاتهم ، وقلما يصدر بينهم الاختلاف ، ولم يسمع أن أحدا منهم قتل كبيرهم لأجل الولاية ، ولذا دانت لهم مع قلتهم رعاة مليبار وغيرها ، بخلاف ما عليها عساكر المسلمين وأمراؤهم من الاختلاف وطلب الاعتلاء على الغير ولو بقتله .))
(زين الدين المليباري : تحفة المجاهدين ، ق ٢١ ب) .

نفوذهم الى موانئ هرمز ومسقط وسقطرة فى الخليج وبحر العرب ، كما امتد نفوذهم إلى سيلان فى الجنوب والى ملقا وميلايو فى الجنوب الشرقى [1] .

ويتبين من هذا العرض التاريخى ، أن البرتغاليين كانوا متمكنين فى بعض الموانئ الهامة فى الساحل الغربى للهند ، قبل أن يتولى أكبرشاه عرش دهلى وقبل أن يضم كَجرات إلى دولته .

وكما رأينا محاولات السامرى فى طرد البرتغاليين من موانئ مليبار [2] ، لقد حاول الدكنيون أيضا أن يقضوا على الوجود البرتغالى فى موانئ دكن ، ولقد حصن الإفرنج قلعة ريكنده التابعة لإمارة أحمد نكر ، وأصبحوا يتعدون حدودهم ويستحقرون أرباب الإسلام ويقومون بإيذائهم وإهانتهم .

فى سنة ٩٧٧ هـ (١٥٦٩م) تحرك مرتضى نظام شاه حاكم أحمد نكر إلى قلعة ريكنده القريبة من ميناء چيول ، وذلك باستصواب من شاه جمال الدين حسين [3] وسائر أمرائه وقواده الذين كان مدار المهام عليهم ،

---

(١) زين الدين المليبارى : تحفة المجاهدين ، ق ٣٥ ب .
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ٣٧٢ .
أحمد حمود المعمرى : عمان وشرقى إفريقية ، ص ٤٩ .
ج . ج لوريمر : دليل الخليج ، ج ١ ، ص ١٦ .

(٢) استمرت محاولات حاكم كالى كوت لطرد البرتغاليين بلا انقطاع ، وكانوا جادين فى محاولاتهم تلك ، ويشير مؤلف تحفة المجاهدين إلى أعمال السامريين فى هذا المجال ، حتى عام ٩٨٦هـ (١٥٧٨م) .

(٣) هو وكيل مرتضى نظام شاه ، وهو ما يشبه منصب رئيس الوزراء .

وبعد أن وصلوا إلى القلعة قاموا بضرب الحصار حولها ، ورفع العيسويون أعلام المدافعة والمجادلات ، واستمرت الاشتباكات حوالى سنتين ، واستشهد خلالها كثير من المسلمين بضرب المدفعية والبندقية والمتفجرات ، وكانت الصرخات ترفع من كل جندى وفى كل ناحية [١] ، ولم تكن هناك فرصة التكفين والتجهيز ، لأن الأمراء الدكنيين كان ينقصهم التدبير ، وكانوا يجهلون أساليب فتح القلاع ، فلم يكونوا يهتمون بإحداث خاكريز [٢] والنقب والساباط ، وكان كل همهم وضع السلالم للصعود إلى القلعة بقصد إخضاع من فيها ، ولما كان النصارى ذوى مهارة فائقة فى إطلاق النيران ، فقد كانت محاولات الدكنيين تنتهى بالفشل ، وكان النصارى يرمون على المسلمين من فوق القلعة ، بمواد حارقة تحرق فى كل مرة أعدادا منهم [٣] .

لما باءت محاولات تسخير القلعة بالفشل ، تقرر أن تسد أبواب الدخول إلى القلعة ، والخروج منها ، وأن لا يسمح بوصول أسباب المعيشة لمن بداخلها ، فأصبح العيسويون فى بحر من الاضطراب ، وفكروا فى ترك القلعة والفرار إلى موانئ أخرى ، ولكن بعضا من الإفرنج امتنعوا وقالوا : إننا سننصرف لحراسة القلعة الأموال السلطانية الموجودة بحوزة التجار فى داخل القلعة فإذا لم نجد فرصا بعد هذا ، فسوف نختار الهروب إلى موانئ

---

(١) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ١٣٤ .

(٢) خاكريز : محل فى جانب الخندق ، يصب فيه التراب المحفر لسد العبور والمرور . (عميد : فرهنگ عميد ج ١ ، ص ٨٢٣) .

(٣) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ١٣٤ .

أخرى .

كان أمراء مرتضى نظام شاه وعلى الخصوص إخلاص خان وفرهاد خان حبشى قد استلموا رشاوى من النقد والجنس ، فكانوا يرسلون إلى الإفرنج إزاء هذا وفى أثناء الليل ، صناديق من الخمر البرتغالى مع سائر ما كان يحتاجه أهل القلعة ، ودبر الأمراء استمرارية هذا الوضع فيما بينهم ، فكان واحد منهم يتكفل فى كل ليلة إيصال قوت الإفرنج ، وسائر الأجناس ، وفى أثناء النهار كانوا يعملون لدفع المظنة عن أنفسهم : ، فكانوا يقيمون السلالم الخشبية ويأمرون الجند للقيام بالمعارك المصطنعة ، وكان النصارى يطلقون النيران على المسلمين ، فتحرق عددا منهم وترفع صرخاتهم فى السماء ، وهكذا كرس الإفرنج قواهم لمدافعة جند الإسلام بكامل الاطمئنان ، فلم يتيسر فتح القلعة .(١)

كان شاه جمال الدين حسين مشغولا بالعيش والعشرة ، ولم يكن يهتم بالمهام الملقاة على عاتقه ، وعين خواجه ميرك وكيلا له ، لقد تضايق مرتضى نظام شاه حاكم أحمد نگر من طول مدة الحصار ومحنة السفر ، وحدث أن أسرت سفينة إسلامية كانت متجهة الى ميناء چيول ، فاستولى الإفرنج عليها وعلى ما فيها ، كما أسروا ركابها ، وكان بين هؤلاء الركاب شابان

---

(١) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ١٣٤ .
زين الدين المليبارى : تحفة المجاهدين ، ق ٤١ أ .

مسلمان ، وهما رستم خان و شمشير خان ، وكان تتضح فيهما علائم الجندية ، فأجبرهما الإفرنج على محاربة المسلمين ، فسيرا إلى برج القلعة ، وكانا يطلقان النيران على جند الإسلام مضطرين ، وسمعا يوما عن زعيم الإفرنج الذى كان يخاطب جلساءه ،بأن جميع أمراء مرتضى نظام شاه متفقون معنا إلا خواجه ميرك الذى يحاول دائما منازعتنا ، فقرر الشابان المسلمان أن يرميا بأنفسهما من القلعة ويسمعا خواجه ميرك ما سمعاه من زعيم الإفرنج ، فكتبا عما يكنانه ، وعلقاه على سهم ،فأطلقا السهم إلى جند خواجه ميرك ، وفى أثناء الليل كسروا القيود والسلاسل ، ورميا بأنفسهما إلى الأسفل بواسطة الحبال أمام مورچيل خواجه ميرك ، وبهذه الطريقة نجيا من أسر الإفرنج (١) ، ولما سمع نظام شاه هذا النبأ طلبهما في الخلوة إلى مجلسه واستفسر منهما عن حقائق الأوضاع داخل القلعة وعن كيفية قوة الإفرنج وضعفهم فيها ، فحكيا له بالتفصيل ما هو واقع دون أية ملاحظة ، وأطلعاه بأن الإفرنج يعيشون بكامل الاطمئنان وطيب الخاطر ، ولا يلاحظ فى سيماهم بأنهم محاصرون ، لأن أسباب المعيشة تصل إليهم فى كل ليلة من أطراف القلعة ، وأن الأمراء الأحباش والدكنيين استلموا منهم صناديق من الذهب فيأتون إليهم بالحبوب والسمن والدجاج والأغنام وكل ما يريده أهل القلعة ،وفى أثناء النهار يقومون بمعارك اصطناعية فيعرضون الناس للقتل ، وخواجه ميرك هو الوحيد الذى لا يواكب الإفرنج، فكرم مرتضى نظام شاه خواجه ميرك أكثر من السابق ، واستشاره فى ترك الحصار

---

(١) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ،ج ٢ ، ص ١٣٤ .

فعرض إليه بأن الوقت يقتضي هذا ويستحسن العودة إلى أحمد نكَر ، ليظهر هناك ما يريده ، فعاد نظام شاه إلى أحمد نكُر حيث قبض على فرهاد خان ، وإخلاص خان حبشي ووضعهما في السجن ، وطرد شاه جمال الدين حسين مع زوجته إلى برهانپور وأعطى منصب الوكالة إلى خواجه ميرك . (١)

وبعد هذا كله لم يقم مرتضى نظام شاه حاكم أحمد نكَر بأى عمل أوتدبير ضد الإفرنج ، بل قضى وقته في العزلة من الناس وفي المنازعات الداخلية بين حكام دكن وبينه وبين أخيه اللاجئ إلى السلطان أكبر وهو برهان الملك .

لقد استطاع برهان الملك هذا أن يجلس على كرسي الحكم في أحمد نكَر بعد وفاة أخيه مرتضى نظام شاه - كما ذكرناه في السابق - ولقد حاول هو الآخر في سنة ١٠٠١هـ أن يطرد الإفرنج من ريكدنده ، ورشح جمعا من أمرائه إلى ميناء چيول ، وأمر أن تبنى قلعة على الجبل الذي يقع بجانب البحر ، لتشرف على سفن الإفرنج التي تتردد من هناك إلى ريكدنده ، وأمر بنصب المدافع على أبراج تلك القلعة حتى يمنعوا تردد الإفرنج ، فأتموا بناء هذه القلعة التي سميت بقلعة كهواله ، وقام الإفرنج بطلب المساعدة من جميع الموانئ التي كانت بحوزتهم ، فوصلت إليهم المساعدات من كل مكان ، وباغتوا المسلمين مرتين بهجوم ليلي قتلوا فيهما آلافا من الدكنيين (٢) ، وكان برهان شاه

---

(١) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ١٣٤ - ١٣٥ .

(٢) المصدر نفسه : ص ١٥٤ .

يرتاح من قتل هؤلاء الدكنيين ولكنه كان يتظاهر بالأسى ، فأرسل إلى هناك حوالى عشرة آلاف فارس مع فرهاد خان وشجاعت خان الحبشى ، وسائر أمراء دكن الذين لم يكن يثق فيهم ، وبذلك لم يكن يهتم بالمقتولين فى أى جانب كانوا ، كانت أنواع المساعدات تصل لأهالى ريكدنده من ميناء دامن الواقعة بين كجرات ودكن ، فرشح برهان شاه ، بهادر خان كيلانى على رأس جيش آخر ، وأرسله إلى تلك الموانئ ، ولما وصل بهادر خان إلى هناك ، قاومه حوالى ألف من الإفرنج وكثير من الزنوج ، ولم يقصر الأحباش والدكنيون المأمورين فى قلعة كهواله ، فقتلوا حوالى ثلاثمائة من النصارى ، ولما سمع برهان شاه أنباء النصر أمر بإقامة حفلات الفرح ، وأقام فى عمارة آئينه خانه(١) محفلا كبيرا حضره الحكماء والشعراء والمطربون ، وشبهوا ذلك المحفل بالجنة ، فأمر برفع التكليف عن الوضيع والشريف وأن يحضر للجميع كل ما يتمنونه ، فكانت هناك أنواع من الأشربه والمكيفات والخمر الأحمر والرقص (٢) !

ولقد أثبتت قلعة كهواله جدارتها فى التصدى للإفرنج وقطع الطريق أمام الامدادات لقلعة ريكدنده من جميع الجهات ، وقام بحراسة تلك القلعة فرهاد خان حبشى وأسد خان وتاج خان وغيرهم ، وكاد أن يغادر النصارى هذه الأماكن ، إلا أن برهان شاه أصبح أسيرا للنفس الأمارة ،فحرص على مباشرة النسوة ومخالطتهم وتسبب فى إغضاب الأمراء الذين كانوا يقومون بحراسة

---

(١) آئينه خانه : أى بيت المرآة .

(٢) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ،ج ٢ ، ص ١٥٤ .

قلعة كهواله وعلى رأسهم فرهاد خان ،فلم يهتموا كالسابق بحراسة القلعة ومحاربة الإفرنج ،بل فكروا فى التوجه إلى أحمد نكَر ورفع أعلام البغى ضد برهان شاه ، ولقد اطلع الإفرنج على هذه التطورات فشحنوا ستين سفينة من المقاتلين وأسباب القتال ، وفى صباح يوم الجمعة السادس عشر من شهر ذى الحجة سنة ١٠٠١ هـ/١٥٩٣م ، توجه إلى قلعة كهواله حوالى أربعة آلاف من الإفرنج ، وكانت أبواب القلعة مفتوحة ، حيث لم تزل دجى الليل باقية ،فهاجم جيش الإفرنج القلعة ، ولم يجد أهل القلعة فرصة قفل أبوابها ، حيث كانوا فى النعاس الصباحى ، إضافة إلى عدم اهتمام الأمراء بحراستها كما ذكر ، ومع أن الموجودين فى القلعة كانوا أضعاف مضاعفة الإفرنج إلا أنهم وقفوا مبهوتين متحيرين ، وبدأ الإفرنج بقتلهم وذبحهم كالأغنام ، واستشهد حوالى عشرة آلاف شخص ، ودمر الإفرنج قلعة كهواله ، واستولوا على مدافعها وما فيها ، كما قتل جميع الأمراء ، ماعدا فرهاد خان الذى جرح فأسر ، ولما سمع برهان شاه هذه الأنباء اعتبر قتل هذه الجماعة فتحا بعينه. (١)

هكذا كانت الأوضاع فى موانئ دكن ، وهكذا كانت المنازعات الداخلية والمنافسات على السلطة والفساد الموجود فى جهاز الحكم ، من العوامل الرئيسية فى تثبيت أقدام البرتغاليين فى الموانئ الهندية تلك ، وأما بالنسبة لولاية كَجرات المطلة على الساحل الغربى للهند ، فإنها ضمت إلى دولة

---

(١) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ،ج٢ ،ص ١٥٥.

أكبر في سنة ٩٨٠هـ(١٥٧٢م) ولقد باشر السلطان أكبر بنفسه إخضاعها
كما باشر إخضاع قلعة سورت إحدى موانئها الهامة ، وتفقد القلعة بعد فتحها
وأمر بإصلاحها ، وبذلك أصبحت دولته في مواجهة البرتغاليين أصحاب
السيادة البحرية ، وعرف أكبر أن هذه القلعة أحدثت واستحكمت للتصدى
ضد البرتغاليين الذين كانوا يلحقون أنواع الخراب للمسلمين ، كما شاهد فيها
بقايا من المدافع العثمانية التي كانت تسمى ((سليماني)) ، وكان السلطان
سليمان قد بعث بقواته وهذه المدافع الثقيلة لمحاربة الإفرنج في الموانئ
الهندية والجزر الموجودة في المحيط الهندي ، الا أن هذه القوات لم تتمكن
من عمل شئ ما وذلك بسبب امتناع السلطات الكجراتية عن مساعدتها
وبسبب العسرة في المعيشة ،فاضطرت القوات العثمانية إلى العودة دون أن تتمكن
من حمل هذه المدافع التي كانت قد أنزلت في قلعة سورت(١) .

إن هذه الآثار تكون قد ألهمت لأكبر مدى جسامة المسؤولية الملقاة على
عاتقه وهو قد أطل على المحيط الهندي ، وأصبح على مرأى من الأسطول
البرتغالي الذي كان قد احتكر السيطرة على ذلك المحيط ، وأخذ يستولى
على السفن العربية والإسلامية غصبا ، وينهب ما فيها ثم يحرقها بمن فيها
من حجاج بيت الله الحرام. (٢)

---

(١) نظام الدين احمد الهروى : طبقات أكبرى ،ص ٢٩٦- ٣٠٠ .
محمد شريف : إقبال نامهٔ جهانگيرى ،ج ٢ ، ص ٢٥٧ .
عبد المنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٢٠٥ .

(٢) عبد العزيز سليمان نوار : الشعوب الإسلامية ، ص ٥٢٨ .

فى سنة ٩٨٢هـ (١٥٧٤م) أرادت گلبدن بيگم عمة أكبر أن تسافر بحرا لأداء فريضة الحج ، وكانت تتمنى دائما أن تفوز بهذه السعادة إلى أن أصبحت ولاية گجرات تابعة لدولة أكبر ، فأرادت أن تقوم بالسفر إلى الأماكن الشريفة فى الحجاز وبصحبتها عدد من الأميرات من أمثال سليمه سلطان بيگم وحاجى بيگم وگلعذار بيگم بنات مرزا كامران عم أكبر(١) ، ويذكر أن أكبر اتصل بالبرتغاليين وطلب منهم عدم التعرض للأميرات وفى مقابل ذلك حصلوا على موقع فى ساحل دامن(٢) إحدى الموانئ الگجراتية القريبة من دكن ، وقد انتظرن فى گجرات لمدة سنة حتى تم الإعداد لسفرهن ثم سافرن إلى الحجاز فى شهر شعبان سنة ٩٨٣هـ (١٥٧٥م) ومكثن فى الحجاز لعدة سنوات ، وفزن خلالها بأربع حجات وعدة عمرات ، وفى أثناء العودة إلى الهند ، اضطررن أن يبقين فى عدن لمدة سنة أخرى ، وذلك بسبب ضياع سفينتهن ، ثم عدن إلى الهند فى سنة ٩٩٠هـ (١٥٨٢م) حيث كان فى استقبالهن الأمير سليم أكبر أبناء السلطان أكبر. (٣) .

كانت شدة سيطرة البرتغاليين فى المحيط الهندى على درجة جعلت كبير علماء الدين فى الدولة وهو مخدوم الملك عبد الله سلطان پورى ، بأن يفتى

---

(١) أبو الفضل علامى : أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ١٢٤ .

(٢) عبد العزيز نوار : الشعوب الاسلامية ، ص ٥٢٨ .

(٣) عبد القادر بدايونى : منتخب التواريخ ، ص ٢٠٥ ، ٢٤١ .

نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٥٣ .

أبو الفضل علامى : أكبر نامة ، ج ٣ ، ص ٢١٤ .

فى سنة ٩٨٣هـ(١٥٧٥م) بعدم فرضية الحج فى مثل تلك الظروف،بدليل أن الطريق إلى مكة المكرمة ينحصر فى العراق برا أو فى كَجرات بحرا ، فإذا اختار الحجيج طريق البر فيجب أن يتحملوا شتائم قزلباش الشيعة ، وإن اختاروا طريق البحر فيجب أن يقبلوا الذل وهو الاستئذان وأخذ العهد من الإفرنج ودفع الرسوم لهم ، مع العلم بأن كتاب العهد هذا يحمل صورتى مريم وعيسى عليهما السلام ، مما يكون فى حكم الوثنية ، ففى الحالتين كلتيهما يكون المنع أولى (١) ، وعلى الرغم من أن الدولة لم تلتزم بهذه الفتوى ، إلا أنها تشعر بمدى سيطرة البرتغاليين على طريق حجاج الهند البحرى .

فى سنة ٩٨٤ هـ (١٥٧٦م) تقرر أن يرأس فى كل سنة أحد رجالات الدولة الكبار قافلة الحجيج وينوب فى ذلك عن السلطان أكبر ، لأن سفر السلطان بنفسه إلى مثل هذه المسافة الطويلة ربما يتسبب فى اختلال أحوال البلاد والعباد ، ففى هذه السنة عين سلطان خواجه على منصب مير حاج (٢) لينوب السلطان فى قيادة قافلة الحج الهندى ، وقد لبس السلطان أكبر لباس الاحرام ثم أخذ من يد سلطان خواجه ، مؤكلا إياه فى إمارة الحج ،ورخص سلطان خواجه فى يوم الخميس الثانى من شعبان سنة ٩٨٤ هـ (١٥٧٦م) وكلف عددا من أعيان الدولة لتوديع قافلة الحجاز ومصاحبتها إلى أحمد آباد عاصمة ولاية كَجرات (٣) ، ولقد توقفت القافلة فى كَجرات خوفا من حكام موانئ الإفرنج ، وأبلغ السلطان أكبر عن هذا الأمر ، فأمر قليج خان الذى كان

(١) عبد القادر بدايونى : منتخب التواريخ ، ص ٢٠١-٢٠٢ .
(٢) ميرحاج : أمير الحجيج .
(٣) محمد شريف : إقبال نامة جها نگيرى ،ج ٢ ،ص ٣١١ .
نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٣٤ .

فى جند أيد ر والذى كان له أيضا بعض موانى ء كَجرات ، بأن يسرع فى الذهاب إلى ساحل كَجرات لإزالة الموانع عن طريق الحجيج ، ولكى يسرع فى الوصول إلى ساحل كَجرات ، أمره بأن يستخدم فى ذلك فرس " يام [1] " وبعد أن وصل قليج خان إلى سورت فى ساحل كَجرات استطاع أن يزيل العقبات عن طريق الحجاج وحصل على عهد من الإفرنج ، فتحركت السفن ، وكان حكام نصارى وزعماء البلدان التى تقع فى طريق الحجيج ،يرجبون بهؤلاء الحجاج ، وأميرهم [2] .

وهناك حادث آخر يذكره بايزيد بيات كبير طباخى أكبر فى مذكراته فيقول :

" فى السفر المبارك إلى البيت العتيق ركبت السفينة فى ٢٤ من محرم سنة ٩٨٨ هـ (١٥٨٩م) وبقينا الى آخر الشهر المذكور فى نواحى ميناء دامن ، وكان مستأجرو ذلك الميناء يطلبون الرسوم ، وكانوا لا يقررون الرسوم إلا بعد أن يصعدوا على السفينة ويشاهدوا داخلها ،فطلبوا ابنى المسمى سعادت يار رهينا لهم حتى يصعدوا على السفينة ،فقلت لهم ان ابنى

---

(١) فرس يام : يام على وزن لام هو الحصان الذى يكون جاهزا فى كل منزل ، حتى يركبه كل من تحتاج مهمته سرعة الوصول إلى منزل آخر.

(٢) أبو الفضل علامى : أكبرنامة ،ج ٣ ،ص ١٦٩ .
نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٣٣٦ .

هذا يجيد اللغة الهندية واللغة الإفرنجية ،فإذا صعد تم على السفينة بدون أن يكون هناك مترجم تتعطل الأمور ، وإننى أضع فى اختياركم واحدا من ابنى الآخرين وهما افتخار وذو الفقار ، فاستقر رأيهم أخيرا بأخذ افتخار رهيناعندهم فبقى هو فى غراب(١) الإفرنج من الصباح وحتى صلاة المغرب ، وكان الإفرنج يطلبون من أهل السفينة مبلغ عشرة آلاف محمودى (٢)ازاء هذه الرسوم، ولم يكن مع سائر الركاب محمودى واحد ، فقدمت لهم عشرة آلاف محمودى كقرض حسن ، حتى يخلص المسلمون من الإفرنج ،ثم ترد هذه المبالغ إلىّ فى جدة بدون ربح (٣)" ، وهكذا كان البرتغاليون لا يسمحون بعبور حجاج الهند إلى جدة ، إلا بعد أن يحصلوا منهم على ضرائب ،كما كانوا قد استأجروا ميناء دامن الكَجراتية ، وكانوا يبالغون فى إهانة المسلمين وإيذائهم ، ولقد حدث أن سافرت بعض سفن جلال الدين محمد أكبر شاه إلى جدة دون أن يستأذنوا البرتغاليين ويحصلوا منهم على عهد ، ولكن فى أثناء العودة من جدة نهبوا السفن وآذوا ركابها كثيرا ، فامتنع السلطان أكبر بعد ذلك عن إرسال السفن والمراكب إلى موانئ العرب والعجم ، لأنه اعتبر الاستئذان من الإفرنج ودفع الرسوم لهم عارا ومذلة ، وإن أرسل المراكب بدون الاستئذان ودفع الرسوم كان فيه ضياع الأموال وهلاك النفوس ، ولكن أمراؤه من أمثال مرزا عبد الرحيم

---

(١) غراب : نوع من السفن الرياحية فى ذلك الوقت.

(٢) محمودى : عبارة عن العملة الكَجراتية ،نسبة إلى السلطان محمود أحد سلاطين كَجرات .

(٣) بايزيد بيات : تذكرة همايون وأكبر ، ص ٣٥٤ - ٣٥٥ .

الملقب بخان خانان ، كانوا يحصلون من الإفرنج على عهد ثم يرسلون المراكب إلى الموانئ الأخرى .(١)

على الرغم من هذا كله كانت هناك علاقات واتصالات بين دولة أكبر وبين الوجود البرتغالي في المياه الهندية وسواحلها ، ولقد أرسل السلطان في سنة ٩٨٢هـ (١٥٧٤م) بعثة إلى ميناء كَووه (٢) الذي كان مقرا للحاكم البرتغالي في الموانئ الهندية ، للتعرف على الأوضاع هناك ، وكان يرأس البعثة حاجي حبيب الله ، وكان هذا الأمر بعد فتح گجرات وبعد أن تم إخضاع الكثير من موانئها ، كما كان حكام موانئ الإفرنج يتوددون فرأى السلطان أكبر أن يتعرف على صنائع الإفرنج البديعة وفنونهم النادرة في ميناء كَووه ، فاختار لأداء هذه المهمة حاجي حبيب الله المذكور ، الذي كان خبيرا في مثل هذه الامور ومقربا من السلطان ، كما دفعت له مبالغ كبيرة ، ومقادير من البضائع الهندية ليحملها إلى ميناء كَووه ثم يرجع من هناك بغرائب تلك الديار وعجائبها (٣) ، كما ضم إلى البعثة عددا من الخبراء والفنانين المهرة ، ليقوموا بدورهم في نقل المصنوعات الغريبة وصنائع تلك الديار البديعة إلى آكره ولقد تابعت البعثة مهمتها إلى عام ٩٨٥ هـ(١٥٧٧) ثم عادت إلى آكره حيث قدمت للسلطان تقارير عما شاهدتها ، كما قدمت إلى السلطان أكبر

---

(١) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ،ج ٢ ، ص ٣٧٣ .

(٢) گووه : هذا الميناء يذكر في المراجع العربية باسم " غوا " أو " جوا " .

(٣) أبو الفضل علامي : أكبر نامه ،ج ٣ ،ص ١٢٥ .
V.A. Smith : Akbar the Great Mogul , P. 98

بضائع منتخبة من تلك الديار ، ولقد تعلم أعضاء البعثة بعض الفنون والصناعات الموجودة فى تلك الديار ، كما صاحب البعثة فى العودة إلى آكره ، جمع من الموسيقاريين الإفرنج الذين قدموا فنونهم الموسيقية فى بلاط السلطان ، وعلى الأخص موسيقى "أرغنون" التى وضعها أفلاطون . [1]

كذلك كان التجار البرتغاليون يأتون ببضائعهم إلى عاصمة الدولة آكره ، ففى سنة ٩٩٨ هـ (١٥٩٠م) جاءت من ميناء گوه قافلة تجارية تحمل بضائع إفرنجية وأرمنية وصينية وسائر السلع الموجودة فى تلك الديار ، وقام السلطان أكبر بمشاهدة هذه البضائع ، وكان يرأس تلك القافلة بادهرى فرمليون الذى كان يعرف الكثير من المسائل العقلية والنقلية [2] ، وفى سنة ١٠٠٣هـ (١٥٩٤م) وصلت الى آكره قافلة تجارية كبيرة تحمل مختلف البضائع الموجودة بميناء گوه ، وكان يصحب هذه القافلة جمع من الرهبان وأصحاب الرياضات [3] كما كانت فى العاصمة آكره ، محلة خاصة لتجار الإفرنج ، يقومون فيها بتسويق بضائعهم ، وكانت تسمى هذه المحلة بفرنگى توله . [4]

كذلك كانت هناك علاقات ثقافية بين أكبر والبرتغاليين ، حاول السلطان من خلالها التعرف على معارف حكام گوه ومعتقداتهم الدينية ، وقد بدأ

---

(١) أبو الفضل علامى : أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ١٩٦ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٦٠٢ .

(٣) المصدر نفسه : ص ٧١٢ .

(٤) لاله سيل چند : تفريح العمارات ، ص ٩٦ .

تردد البرتغاليين إلى محافل أكبر منذ سنة ٩٨٣ هـ (١٥٧٥م) وكان يشترك فلاسفتهم ورجال دينهم في المناقشات التي كان السلطان يقيمها بين أتباع الأديان والمذاهب المختلفة[1] ، وقد أدى هذا التعامل مع البرتغاليين إلى أن يطمعوا في تنصير أكبر ، فقاموا بإرسال بعثات متعددة ، منها ما أرسلوه في سنة ٩٨٨هـ (١٥٨٠م) برئاسة الأب رودلف Rudelf والأب مونسرات Monssorat ، وقابل أكبر الإرسالية بكل ترحاب واحترام وسمح لهم أن يبنوا كنيسة في مدينة آكره ، كما أظهر السلطان إعجابه بصورة المسيح والعذراء ، وأجلس السلطان ابنه الأمير مراد عند هؤلاء الآباء ليتعلم منهم دروسا ، وكان الشيخ أبو الفضل يقوم بترجمة هذه الدروس[2] ، ومع هذا فإن الآباء لم يلبثوا أن شعروا بخيبة الأمل ، لأن السلطان لم يكن غنيمة سهلة ، وبعد أن أقامت البعثة ثلاث سنوات في بلاط أكبر ، عادت في سنة ٩٩١هـ (١٥٨٣م) دون أن تستطيع تحقيق أهدافها ودون أن تتمكن من تنصير أكبر .

ووصلت إرسالية ثانية إلى آكره في سنة ٩٩٩ هـ (١٥٩٠م) ، ولم تكن أكثر نجاحا من سابقتها ، ولبثت هذه البعثة في بلاد أكبر ثلاث سنوات أخرى .

---

(١) أبو الفضل علامي : أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ٢٢٩ .
عبد القادر بدايوني : منتخب التواريخ ، ص ٢٠٥ .

(٢) جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أباطرة المغول الاسلامية في الهند ، ص ٩١ - ٩٢ .
عبد القادر بدايوني : منتخب التواريخ ، ص ٢٢٣ .

ثم عادت تجر كأختها أذيال الفشل ، ووصلت الإرسالية الثالثة إلى لاهور حيث كان السلطان أكبر يقيم هناك ليتابع التطورات فى كابل بعد وفاة أخيه محمد حكيم مرزا ،وقوبلت البعثة بحفاوة وتكريم ، وسمح لها ببناء الكنائس فى لاهور وآكره ، كما سمح لها بالتبشير. (١)

فى شهر ربيع الأول ٩٩٠هـ(١٥٨٢م أرسل أكبر رسالة ودية إلى فرديناند الثانى ملك أسبانيا والبرتغال حينذاك ويقال أن الرسالة لم تصل الى الملك (٢) ، ويقول أكبر فى رسالته :

((الحمد للملك الحقيقى ، المصونة ملكته من صدمة الزوال ، والمأمونة سلطنته من لطمة الانتقال ، المدبر الذى جعل انتظام العالم وبنى آدم منوطا بمساعدة عقل الملوك العادلين ونصفتهم ، المقدر الذى ألقى طنطنة الائتلاف والالتيام ، ودبدبة الامتزاج والاستيناس فى أفراد الكائنات ، برابطة المحبة وضابطة المودة ، والصلاة والسلام على أرواح معاشر الأنبياء والرسل على نبينا وعليهم الصلاة والسلام الذين كانوا سالكى أصوب الطرق وهادئ أصلح السبل ، وبعد :

لا يخفى على ضمائر أرباب البصائر المقتبسة من أنوار الولاية ، والمتجلية من أشعة الحكمة والدراية ، أن فى عالم الناسوت الذى هو مرآة لعالم اللاهوت ،

---

(١) جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية فى الهند ص ٩٢ .
ول ديورانت : الهند وجيرانها ، ص ١٤٠ .
رولان موسنييه : تاريخ الحضارات العامة ،ج ٤ ،ص ٥٩٠ .

(٢) عبد العزيز سليمان نوار : الشعوب الإسلامية ، ص ٥٢٩ .

لا يفوق على المحبة أى شئ ، ولا يوجد أى أمر أليق من المودة ، لأن صلاح العالم ونظام الكون ، وضعا على التودد والتآلف ، وكل قلب أضاءته شمس المحبة ، يطرد الظلمة البشرية من عالم الروح ، فكيف إذا تحقق هذا الأمر ، فى السلاطين الذين يكون فى صلاحهم صلاح العالم والعالميين ، وبناء على هذا كان كل همنا منصبا على تشييد روابط المحبة والوداد ، وضوابط الارتباط والاتحاد ، بين كافة عباد الله ، سيما فى طائفة الملوك العلية ، المشرفين والمختصين بمزيد من العناية الإلهية ، خصوصا مع صاحب السلطنة مورد التجليات المعنوية ومحيى المراسم العيسوية ، الغنى عن التعريف والتوصيف ، المتحقق تفوقه بواسطة الجوار ورعاية حقوق الجوار ، والمحبة معه محققه ومؤكدة ومن أشرف مقتضيات المودة الروحية ، هو التآلف الصورى والتآنس الظاهرى ، وبواسطة الموانع العظمى والبواعث الكبرى ، يتوقف إحراز المشاهدة الجسمانية ، والأمر الذى يمكن أن يقوم مقامها ، هو إرسال الرسل والرسائل ، الذى يراه أرباب الفطنة والذكاء ، نائبا مناب المكالمة والمشافهة ، والرجاء هو أن تكون أبواب الرسل والرسائل مفتوحة من الجانبين وعلى التواتر والتوالى ، وأن تبين من الجانبين سوانح الأحوال ولطائف الآمال .

واضح عند الضمير المنير وباتفاق من جميع أربال الملل والنحل وأصحاب الدين والدول ، بأن العالمين الدينى والدنيوى مشخصان ومعينان ومدللان ومبرهنان ، وأن العالم الصورى الدنيوى ، لا يساوى شيئا فى مقابل العالم المعنوى الأخروى ، وأن عقلاء العصر وكبراء الديار ،كم يبذلون من المساعى

الجميلة والدواعي الجزيلة ، لتكميل هذه الحالة الظاهرية الفانية ، وكيف
يصرفون خلاصة أعمارهم وزبدة أوقاتهم في استحصال المقاصد الصورية ، وكيف
ينهمكون في الحصول على المستلذات التي تزول بسرعة ، ولكن الله تعالى
جعلنا نجتهد في طلبه بمحض عنايته الأزلية ، وهدايته التي لم تزل ، وذلك
على الرغم من العديد من المشاغل والعوائق والروابط والعلائق الظاهرية ،
ومع أنه جعل ممالك عديد من السلاطين العظام في حوزة تصرفنا. وليسع بمقتضى
العقل في انتظام هذه الممالك والتيامها على نهج يصبح به جميع الرعايا وكافة
البرايا ، مرفهي الحال ومنشرحي البال ، والحمد لله أن استرضاء الله والشوق
لما هو الحق ،بداية لكل المطالب وفاتحة لجميع المآرب . إن أكثر أبناء
العصر أسيرون في ربقة التقليد ،و يختارون المذهب الذي نشأوا فيه وطريقة
آبائهم وأجدادهم وأقاربهم ومعارفهم ، دون أن يتأملوا في الدلائل والبراهين
فيحرمون من شرف التحقيق الذي هو العلة الغائية لإيجاد العقل ؛ فمن
هنا نقضي أوقاتا طيبة في صحبة علماء جميع الأديان ، فنستفيد ونستفيض من
الكلمات النفيسة والمقاصد الغالية لكل واحد منهم ، إن هناك تباين الألسنة
وتغاير اللغات ، والأليق أن تجعلونا مسرورين بإرسال من يعبر عن المطالب
العالية بأحسن العبارات ، وسمعنا أن هناك كتبا سماوية مثل التوراة والإنجيل
والزبور ، قد ترجمت إلى اللغة العربية والفارسية ، فلو وجدت في تلك الولاية
هذه الكتب المترجمة أو غيرها مما ينفع نفعا عاما ويفيد فائدة
تامة ، فسوف ترسلونها إلينا .

لتأكيد مراسم الوداد وتشييد مبانئ الاتحاد ، أرسلنا إليكم سيد مظفـــــر صاحب الفضائـل الصادق العقيدة والإخلاص ، والمختص بمزيد الالتفـات والعناية ،فسوف يتحدث معكم بالمشافهة ولتثقون فيه ، ولتضعون أبواب المكاتبة والمراسلة مفتوحة دائمة .

والسلام على من اتبع الهدى ، حرر فى ربيـع الأول سنة تسعـين وتسعمائة)) (١)

ويبدو فى هذه الرسالة أن السلطان أكبر اعترف بالوجود البرتغالـى فى مجاورة دولته ، ولكن القـرائن تشير إلى أن أكبر شاه اتبع هذه السياسة مع البرتغاليين كنوع من المماطلة معهم ، كسبا للوقت ، حتى يتيسر له الفـراغ من مشاكله الداخلية والإعداد اللازم لمحاربتهم وطردهم من موانئ الهنـد ، وتطهير طريق الزائر والتاجر من مزاحمتهم ووضع حد لعبثهم بأرواح الأبرياء .

---

(١) عبد الصمد : مكاتبات علامى ،ص ٣٧ - ٣٩ .

الخاتمة

الخاتمة

التحليل والنتائج

من خلال هذا العرض التاريخى لعصر جلال الدين محمد أكبر شاه ، سلطان الدولة المغلية الإسلامية فى الهند ، والذى استمر حكمه أكثر من خمسين عاما ، فانه يمكننا أن نصل إلى نتائج هامة .

لقد ورث أكبر شاه حكما ، تحيطه المخاطر من كل جهة ، ومن مراكز القوى المتنافسة فى داخل الدولة أيضا ، ولكن الحظ كان حليفا لهذا السلطان ، الذى لم يكن يتجاوز عمره أثناء إسناد الحكم إليه ، الرابعة عشرة سنة ، واستطاع بفضل دهائه ومباغتته لخصومه ، أن يمكن لدولة لم تكن فى البداية أكثر من تعبير جغرافى ، فكانت الفترة الأولى من حكمه (٩٦٣هـ/١٥٥٦م - ٩٧٥هـ/١٥٦٧م) ، عبارة عن فترة التمكين للدولة ، وهى ما بحثناه فى الفصل الأول من هذا البحث .

لقد رأينا أن همايون استعاد دهلى وآكره من سلطة الأفغانيين خصوم الدولة المغلية التقليديين ، ولكنه لم يتمكن من إزالتهم والقضاء عليهم نهائيا ، بل بقى لهم نفوذهم هنا وهناك ، وخاصة فى الأقاليم الشرقية ، وكانوا يحاولون تجميع قواهم لمقارعة قوات الدولة المغلية ومطاردتها من الهند ، والدولة المغلية بقيادة السلطان أكبر وأتابكه بيرم خان ، جعلت خطر الأفغانيين فى مقدمة اهتماماتها ، ولما كان اسكندر شاه سور متحصنا فى جبال سوالك الواقعة فى پنجاب ، خططت الدولة كيفية مطاردته ، لأن پنجاب تقع فى طريق العودة إلى كابل وفى ظروف ، كتلك كان تأمين خط الرجعة إلى كابل فى الدرجة الأولى

من الأهميــة ، ولكن الخطر الأكبر جاء من قبل الهندوكي هيمو ، قائد عادلشاه سور ، أحد سلاطين الأفغان ، إذ استطاع هذا القائد الهندوكي المحنك ، أن ينال انتصارات عديدة ،في المنازعات الداخليــة بين الأفغانيين، وكون على إثرها قوات كبيرة وشهرة أُسطوريــة ،أغرتــه على مهاجمة الوجود المغلى في آكَره ثم في دهلى ، وتمكن من الاستيلاء عليهما ، فأجل السلطان اهتمامه باسكندر شاه سور ، ليدبر كيفية مواجهة هيمو وقواتــها ، وكما رأينــاه تمكنت قوات الدولة المغلية من هزيمة هيمو في پانى پت ،وأسر هذا القائــد الهندوكي وقتله ، وبذلك لم يتخلص السلطان من أقوى عدو خارجى له فــى تلك الفترة فحسب ،بــل وكان لهذا الحادث تأثيره في تضعيف معنويــات خصومه هنا وهناك ، وانتبه الجميع أنه ليس من السهل القضاء على هــذه الدولــة ، وأنه من الخطأ أن يوضع صغر سن السلطان في الاعتبار، كمــا كان يظن هيمو ذلك ، وكان من نتائج هذا الانتصار ، أن حلت قضيــــة اسكندر شاه سور سلميا ،إذ سئم طول مدة حصاره في قلعة مانكوت بجبــال سوالك ، وسلم مفتاح القلعة إلى أعوان الدولــة المغلية ، مقابل عدم التعرض لــه أثناء خروجه منهــا .

في الحقيقــة كان هيمو أكبر خطر يهدد بقاء الدولة المغليـــة ، إذ كان لانتصاره في آكَره ودهلى ، أثارا نفســية سيئة على الكثير من قــواد الدولــة ، حتى أنهم رأوا العودة إلى كابــل ، لتجميع القوات هنــاك ، ثم التحرك إلى الهند من جديد ، ولكن بيرم خان عارض هذا الرأى بشــدة ،

وقرر مقاومة هيمو والدفاع عن وجود الدولة ، والتضحية بكل غال ورخيص في هذا السبيل ، ولقد أيد السلطان هذا الرأى ، وبدأ بيرم خان برسم خطته وتوزيع الأدوار على القواد ، ورأينا أن النصر كان في النهاية حليفا لقوات السلطان ، وكان لعنصر الجاسوسية العسكرية ومباغتة مقدمة قوات هيمو والاستيلاء على مدفعيته وأخذ زمام المبادرة ، الأثر الحاسم في تعيين مصير المعركة ، إضافة إلى أن قوات السلطان ، كانت تحارب للبقاء ، في حين استخف هيمو بصغر سن أكبر ، والظروف التى كانت تحيط بالدولة الناشئة ، كما كانت لثقته المفرطة في قوته والانتصارات التى اكتسبها قبل الدخول في هذه المعركة الحاسمة ، دورها في رجحان كفة المعركة إلى جانب قوات الدولة المغلية ، وبالقضاء على هيمو ، لم يتخلص أكبر شاه من عدو مقتدر فحسب ، بل ونجت الهند الإسلامية من خطر هندوكى كان يهدد الكيان الإسلامى ، إذ على الرغم من أن هيمو كان قائدا لعادل شاه ، إلا أنه أصبح خارجا على سلطته ، واختار لنفسه لقب راجه بكه باجيت (١) ، تأكيدا لهندوكيته وتمجيدا لانتصاراته .

بعد القضاء على هيمو وخطره وبعد الانتهاء من قضية اسكندر شاه سور سلميا ، بدأ السلطان يوجه اهتمامه إلى الحد من سلطة مراكز القوى في دولته ، والتى لم يكن بعضها أقل خطرا من الأخطار التى أشرنا إليها ، ولقد بدأ السلطان في هذا الاتجاه ، من وكيله وأتابكه وخان خانانه بيرم خان ، وكان السلطان من الحنكة والمهارة السياسية بحيث لم يبدأ بضرب

---

(١) هو من الأبطال الذين يمجدهم تاريخ الهند القديمة وأساطيرها .

مراكز القوى دفعة واحدة ، بل أوقف كل واحد عند حده ، مرحلة بعد مرحلة ، واستفاد فى هذا السبيل من سياسة الترغيب والترهيب وضرب الخصم بالخصم ، ورجح مرارا الحل السياسى على الحل العسكرى ، كما عفا عن تقصيرات أمرائه وعصيانهم كلما أمكن ذلك ، وكان البدء فى هذا الاتجاه من بيرم خان أمرا طبيعيا يدل على ذكاء أكبر شاه ، إذ بإعفاء بيرم خان من مهامه ، أثبت السلطان وجوده ، بعد أن كانت الأمور فى خلال السنوات الخمس السابقة فى قبضة بيرم خان ، هذا من جهة ومن جهة أخرى كانت نساء القصر ورجال البلاط قد رحبوا بهذا الإجراء ، وهذا ما كانوا ينتظرونه ، بل خططوا له من قبل بزعامة السيدة ما هم آنكه مرضعة السلطان ، فسخروا كل إمكانياتهم ليساعدوا السلطان فى تنحية بيرم خان من مركزه القوى فى الدولة ، إضافة إلى أن بيرم خان ، كان متشددا فى معاملته مع رجالات الدولة ، كما ضيق عليهم كثيرا بدافع الحرص على بقاء الدولة وقطع الطريق أمام تكرار ما حدث لهمايون ، وهذا ما كون له خصوما كثيرين استغلهم السلطان ، عندما أراد إعفاء بيرم خان من سلطاته فى الدولة ، ولا ننسى أن هذا الرجل كان على قدر كبير من الهيبة بحيث أنه عندما أراد مقابلة السلطان بعد توتر العلاقات بينهما ، تخوف بعض الأمراء واعتبروه خدعة ، فاقترحوا أن لا يسمح السلطان له بمقابلته ، فإذا أصر وتوجه إلى دهلى ، فعلى السلطان وحاشيته أن يتوجه إلى پنجاب ، فإن جاء بيرم خان إلى هناك فيلتزم التوجه إلى كابل ، وعلى الرغم من أن السلطان لم يقبل هذا الرأى لأنه لا يتناسب مع هيبة الملك ، إلا أنه يشير إلى مدى الرعب الذى كان بيرم خان قد ألقاه فى قلوب خصومه .

إذا أمعنا النظر فى أعمال بيرم خان ، نجد أن هذا الرجل يرجع إليه الفضل فى التمكين لدولة أكبر الناشئة فى الهند ، فكما رأينا فى وقائع هيمو ، كان أمراء أكبر شاه ، قد فقدوا زمام المبادرة فى المعارك وكان سوء الأوضاع وتوالى وصول الأخبار المؤلمة ، ضاغطا على أعصابهم وأفكارهم ، فرأوا صلاح الأمر فى العودة إلى كابل ، حتى يعطوا هناك على دعم السلطنة وتمكنها ، ويجمعوا الجنود ،ثم يتجهوا إلى فتح الهند من جديد ،ولكن بيرم خان لم يصغ لهذه المشورة ، وصمم على خوض المعركة المصيرية والتى انتصر فيها على هيمو ، كما أوضحناه فى حينه .

فى ضوء المصادر التاريخية التى توفرت لدينا والتى تعالج قضية بيرم خان وملابساتها وتطوراتها ، نرى أبا الفضل مؤرخ البلاط ، قاسيا فى كتاباته عن بيرم خان ، حيث يتهمه بالبغى وعدم كونه أهلا لما تولاه فى خلال السنوات الخمس الأولى من جلوس أكبر شاه على العرش ، ولكنه يستحسن أن ننظر إلى رواياته وأفكاره فى مثل هذه الأمور ، بحذر وحيطة ، لأنه معروف بغلوه فى مدح أكبر شاه وتصرفاته من جهة ، ولأنه عندما كان يقوم بكتابة مؤلفاته التاريخية ، كان من أقرب المقربين للسلطان ، وكانت سلطاته تشبه إلى حد ما ، ما كان يتمتع بها بيرم خان فى أوائل سنوات حكم أكبر شاه ،فربما يقسو فى حكمه على بيرم خان ، حتى يبدو أكثر منه ولاءً وكفاءة وفهما .

كذلك يبدو أن بيرم خان ، كان مواليا صادقا لدولة السلطان أكبر ، وأن ما قام به من تصرفات ضد منافسيه فى البلاط ، كان بدافع من الحذر

والحفاظ على الدولة والتمكين لها ، وذلك بالقضاء على مراكز القوى في مثل تلك الظروف التي كانت تقتضي فيما تقتضيه النظام والحسم ، وهذا ما نراه في معاملته مع تردى بيگ خان حاكم دهلى المنهزم والهارب أمام هيمو وقواته ، وذلك على الرغم من رأى أبى الفضل الذى يقول بأن بيرم خان كان يعتبر تردى بيگ خان منافسا خطيرا له ، وكان كل منهما يدبر الإطاحة بالآخر ، ويستند أبو الفضل في رأيه هذا إلى أن بيرم خان أرسل پير محمد شيروانى ، لينوب عنه في تنظيم الجبهة ، فيمكن أن يكون قد وظف لتخريب صفوف تردى بيگ خان ، ويمهد لهزيمته أمام هيمو حتى يتذرع بها بيرم خان للقضاء عليه ، كما حدث أن شيروانى كان أول من هرب من المعركة في اللحظة التي كان الانتصار حليفا لقوات تردى بيگ خان ، ويؤكد أبو الفضل أن خان خانان وجد في هزيمة منافسه وهروبه من المعركة ، فرصة ذهبية للقضاء عليه ، إذ طلبه إلى بيته بمسعى من شيروانى ، متظاهرا بإحياء الصداقة والود ، فخرج هو من البيت بحيلة التوضؤ ، وقضى على تردى بيگ خان ، بواسطة أعوانه . (١)

نلاحظ أن اتهام أبى الفضل لبيرم خان ، يستند على وجود شيروانى في المعركة نيابة عن خان خانان ، وهذا ما لا يدعو إلى الاستغراب ، لأن شيروانى في ذلك الوقت كان وكيلا لبيرم خان ، ينوب عنه في الحضور في

---

(١) أبو الفضل علامى : أكبرنامة ، ج ٢ ، ص ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٣٩ .

بعض المناسبات التى لم تكن باستطاعته الحضور شخصيا ، وفى هذه المرة ، كان بيرم خان بصحبة السلطان فى بنجاب ، لمطاردة اسكندر شاه سور ، الذى كان التصدى له فى مقدمة اهتمامات الدولة كما ذكرنا ، إضافة إلى هذا فإن شيروانى عزل عن منصبه فيما بعد من قبل بيرم خان ، ونفى إلى الحجاز ولكنه استدعى من الطريق وأصبح من المقربين على الرغم من إرادة بيرم خان ولقب بلقب ناصر الملك ، مما كان لهذا الإجراء الأثر الكبير فى انفعال خان خانان وعزمه على معاقبة المتسلطين فى البلاط ، فلو كان ما قاله أبو الفضل صحيحا ، لاعترف بذلك شيروانى بنفسه ، حيث أصبح فيما بعد خصما لدودا لبيرم خان ، وهذا ما لم يشر إليه أبو الفضل ولا غيره من المصادر التى توفرت لدينا .

كذلك نلاحظ أن ثورة بيرم خان أو انفعالته ، كانت موجهة ضد خصومه فى البلاط ، وعلى رأسهم السيدة ماهم آنكه مرضعة أكبر ، وأن استياء السلطان منه ، كان بتدبير من هؤلاء الخصوم من جهة ، ومن سوء تصرفات المقربين لبيرم خان وعلى رأسهم الشيخ گدائى من جهة أخرى ، ثم لا ننسى أن أكبر شاه بلغ العشرين من عمره ، وكان يرى فضل بيرم خان عليه وعلى بقاء دولته واضحا ، وهذا ما أكده فى رسائله إليه ، وفى نفس الوقت ، كان شعوره بالنقص وحبه للظهور ، وراء إجابته لمطلب خصوم بيرم خان ، فكان بصدد الإفصاح عن مطالبه فى مباشرة أمور الحكم وممارسته بنفسه ، ولكنه حدث أن أفصح عن هذا وهو فى وسط خصوم بيرم خان ، على الرغم من أنه لا يوجد ما يثبت عدم تلبية بيرم خان لتلك المطالب لو أفصح عنها له رأسا ، وأن ما فعله أكبر ، هو من قبيل أخذ الحيطة والحذر ، وليس معنى هذا ، التقليل من دور خصوم بيرم خان ، فى توسيع الشقة

بينه وبين سيده ، بل نرى هذا الدور واضحا ، على الأقل في التعجيل بما حدث ، ولكن دور أكبر نفسه ، كان دورا رئيسيا وحاسما ، لأنه لم يقم بهذا ، ليكون ألعوبة في أيدى أفراد القصر ، وعلى رأسهم مرضعته ما هم آنكه وابنها أدهم خان ، ولأنه عفا عن بيرم خان ، بعد كل الذى حدث ، واستقبله استقبالا حارا ، يليق بمكانته التى كان يتمتع بها ، وهذا ما لم يكن يحلو لخصومه ، لأنهم كانوا يخشونه ، ويعتبرون كل تصرف منه من قبيل الخدعة وكسب الوقت .

وهناك مصادر تاريخية متأخرة ، تؤكد براءة بيرم خان من تهمة البغى وجاء فى إحداها : " إن بيرم خان قد اتهم من قبل البعض بالبغى ، ولكنه لا يخفى على العقلاء الواعين ، وخاصة الذين قرأوا كتاب تاريخ طبقات أكبرى ، بدقة وإمعان ، يعرفون مدى ولاء تركمان ووفائهم فى حق ولى نعمتهم ، وأنه قلما ظهر منهم خلاف الولاء والوفاء ، وأن بيرم خان برئ من تهمة البغى التى ألصقها به البعض ، وأن البادشاه من جانبه أيضا لم يقصر فى حقه ، وصحيح أن المعاندين نجحوا فى خطتهم ، ولكنهم لقوا جزاء عملهم فى خلال فترة وجيزة "(١) .

لا شك أن صاحب (طبقات أكبرى) قد أنصف بيرم خان ، ويلاحظ

---

(١) محمد هاشم : منتخب اللباب ، ج٢ ، ق ١٢٤ أ .

هذا من خلال ما أخذنا منه فى هذا الموضوع ، فعلى الرغم من أنه كان أحد رجالات أكبر ، إلا أنه لا يغلو مثل أبى الفضل فى مدح أكبر وتصرفاته ، ولا يقسو كذلك فى إصداره الأحكام ضد بيرم خان .

لقد ذكر البعض[1] أن بيرم خان ، بعد أن هزم أمام قوات أكبر ، أسر وحمل إلى السلطان ، ولكن المصادر التاريخية - كما رأينا - لا تؤيد هذا صحيح أن بيرم خان انهزم ، لأنه لم يعد لمثل هذه المعركة ، ولم يكن يتوقعها ، ولأنه فور ما جاءه أمر السلطان بالتخلى عن سلطاته والتوجه إلى الحجاز ، قبل ذلك الأمر ، ورد علامات الجاه والسلطان إلى أكبر شاه بصحبة أحد أقربائه ، ولا شك أن لهذا الإجراء تأثيره فى التقليل من أنصاره ، حيث اتجهوا إلى أكبر ، بعد أن رأوا بيرم خان يتجه إلى الحجاز مودعا سلطاته ، إضافة الى أن خصومه ، كانوا يخططون لمثل هذا اليوم منذ سنوات ، وكأن الوضع كان بالنسبة لبيرم خان مفاجأة فى حين كان بالنسبة لخصومه أمرا مخططا ومدبرا ، والفرق كبير بين هذا وذاك ، أضف إلى ذلك أن خصومه نجحوا فى استصدار مرسوم من السلطان يبدى فيه استياءه من أتابكه وخان خانانه ، ويعفيه من سلطاته ، وأرسل ذلك المرسوم ، إلى

---

(١) جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية فى الهند ، ص ٨٦ .
أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية وحضارتهم ، ج ٢ ، ص ٨٢ .
أحمد محمود الساداتى : تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها ، ص ٨٤ .
V.A. Smith : Akbar the Great Mogul, P. 34

القريب والبعيد وكافة الأمراء ، وأما أن يكون بيرم خان ،قد أسر وحمل إلى السلطان ،فهذا ما لم يحدث ، والذى حدث ،أن بيرم خان انهزم ، فلجأ إلى جبل سوالك ، تاركا الأسرى وغنائم كبيرة ، ثم ندم على ما حدث ، فأرسل أحد أعوانه إلى السلطان ، ليعلن له أن ما حدث ، كان بدون اختياره ، وعلى الرغم من هذا فهو يطلب العفو والصفح ،فقبل أكبر عرضه واستقبله استقبالا حافلا ، يليق بمكانته التى كان يتمتع بها ، ولكنه لو لم يندم ولم يطلب العفو واستمر فى التمرد ، لصعب على أكبر القبض عليه ، إذا نظرنا إلى ظروف الدولة فى ذلك الوقت ، وإذا انتبهنا أيضا الى البيئة الجبلية التى لجأ إليها بيرم خان ، فإنه كان باستطاعته أن يلجأ إلى أعداء الدولة المغلية ، من الأفغان والراجپوت ، الذين كان لهم شأنهم فى المناطق المتاخمة لحدود دولة أكبر الناشئة ، وكان باستطاعته أيضا أن يظل مختبئا فى الجبال والغابات الموجودة هناك ، وكما رأينا فى الفصل الثانى فإن أكبر شاه ، قد عانى كثيرا من وجود تلك الجبال والغابات ، إذ كان أعداؤه يفلتون من يديه بلجوئهم إليها ، وقلما تمكن أكبر من أن يستأصلهم بتعقبهم داخل الغابات والكهوف ، ولا سيما إذا نظرنا إلى مشاكل أكبر الداخلية التى لم تنته بإبعاد بيرم خان .

ولعل هناك وجوه شبه بين ما حدث لبيرم خان وبين ما حدث للبرامكة فى عهد هارون الرشيد ، ولكن وجوه الخلاف بين الحادثتين ،

أقوى بكثير من وجوه الشبه بينهما ، فبيرم خان والبرامكة ، كانوا يقومون بتصريف أمور الحكم بإذن من السلطان والخليفة ورضى منهما ، وأن خصوم بيرم خان والبرامكة ، كان لهم دورهم فى إثارة السلطان والخليفة عليهما ، وأنهما كانا مخلصين لسيديهما ، وأن هارون الرشيد شب فى حجر يحى البرمكى ، وكان يناديه يا أبت ، كما كان أكبر شاه ينادى بيرم خان (خان بابا) أى يا أبت خان ، وقد اتهم جعفر البرمكى وأخوه موسى بالتقرب إلى العلويين [1] ، كما ذكر عن بيرم خان الشيعى ، تعصبه لأبناء مذهبه وتخصيصهم بالمناسب الرفعية فى الدولة [2] ، وذكر أيضا أن عبد الملك بن صالح العباسى ، كان يدعو إلى نفسه ، وأن البرامكة كانوا يساعدونه [3] ، كما أشيع عن بيرم خان ميله سرا إلى أبى القاسم بن كامران الذى كان يطمع فى الجلوس على عرش الهند [4] ، وذكر أيضا أثر زبيدة أم الأمين فى إثارة هارون الرشيد على البرامكة ، كما رأينا دور نساء القصر ومنهن أم اكبر

---

(١) حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام ، ج ٢ ، ص ١٦٦ ، ١٧٠ .

(٢) أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ، ج ٢ ، ص ٨١
عبد المنعم النمر : تاريخ الإسلام فى الهند ، ص ٢٠١ .

(٣) حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام ، ج ٢ ، ص ١٧٠ .

(٤) أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ، ج ٢ ، ص ٨١ .

حميده بانو بيگم ومرضعته ماهم آنكه ،في توسيع الشقة بين السلطان وأمير أمرائه بيرم خان ، ولكنه على الرغم من وجوه الشبه تلك ، فإن هارون الرشيد لما تولى الخلافة ، كانت الدولة العباسية ثابتة الأركان والدعائم ، وكان الخليفة في الخامسة والعشرين من عمره ،في حين عند ما جلس أكبر شاه على عرش أبيه ، لم يكن عمره قد تجاوز الرابعة عشر ،ولم تكن الدولة إلا تعبيرا جغرافيا كما رأينا ، وأن بيرم خان بانتصاره على القائد الهندوكى هيمو ، مكن لدولة المغل في الهند ، واستطاع في خلال السنوات الخمس التى قضاها في تسيير دفة الحكم ، أن يثبت أركان الدولة وأن يزيل كثيرا من الأخطار التى كانت تهدد بقاء الدولة ، ومن جهة أخرى فإن بيرم خان كان فردا وترك ولدا صغيرا في الرابعة من عمره وهو عبد الرحيم ، الذى شب في حجر أكبر ووصل فيما بعد إلى أعلى منصب وصل اليه فرد من خارج أفراد البيت المالك ، في حين كان البرامكة أسرة وجماعة تتكون من يحى البرمكى وأبنائه الأربعة ، ثم أن بيرم خان ،لم يلب في الآونة الأخيرة ، نداءات السلطان أكبر ،فتطور الوضع إلى حدوث حرب وقتال مسلح ، بين ما بقى من أنصاره وبين قوات السلطات ، في حين لم يحدث شئ من هذا بالنسبة للبرامكة ، إضافة إلى أن هناك خلافا كبيرا في مصير بيرم خان ومصير البرامكة ، وذلك على الرغم من تفاوت الملابسات في الحادثتين ، إذ قضى على البرامكة وقتل جعفر البرمكى

كما قيل بإيعاز من الخليفة هارون الرشيد ، فى حين عفا أكبر عن بيرم خان ، واستقبله بحفاوة وإكرام .

ولقد أخطأت عصابة ما هم آنكه فى تصورها ، وهو أن الأمور قد أصبحت فى قبضتها بإقصاء بيرم خان ، ولم تفهم أن السلطان يملك شخصية قوية ، لا تسمح أن يكون ألعوبة فى أيدى مراكز القوى ، وأن السلطان هو الذى سخر مراكز القوى لصالحه وليس العكس ، وكان أكبر شاه يعرف ما يدور حوله ، فأسند منصب الوكالة إلى واحد من رجال أبيه المخلصين والذى كان موضع ثقته وهو شمس الدين محمد أتكه ، ونفوجئت مراكز القوى بهذا الإجراء واندهشت ، وترجمت عن ثورتها بأن قامت باغتيال وكيل السلطنة المعين ، ولكن السلطان كان صارما فى عقاب أخيه من الرضاعة وهو أدهم خان الذى نفذ الاغتيال ، فأسرع أكبر فى ربط يديه ورجليه ثم رماه من السطح فقتل ، وبهذا الإجراء الصارم أوقف الجميع عند حدهم ، وبدأ الجميع يعيدون حساباتهم ، ويتنبهون بأن السلطان يعترف بالجميل ، وفى نفس الوقت لا يفرط فى شئون الحكم ، حتى بالنسبة لأقرب المقربين اليه . (١)

(١) مؤلف مجهول : تاريخ هندوستان ،ق ٢٣٢ أ ،ـق ٢٣٢ ب .
وليام لانجر : موسوعة تاريخ العالم ،ج ٤ ، ص ١٤٠٤ .
رولان موسنييه : تاريخ الحضارات العامة ،ج ٤ ، ص ٥٨٣ .

بعد التفرغ من تحكيم سلطته فى البلاط وإثبات وجوده فيه ، بـدأ السلطان يهتم بأمور قواده الكبار وولاته ، وضمان ولائهم لدولته أو التخلص منهم ؛ وكان الأزابكة وبنى أعمام السلطان فى مقدمة الذين تسببوا فى قلق السلطان وهددوا بقاء دولته ووحدتها ،إذ لم يكونوا يريدون بسط سيطرتهم على الدولة فحسب ، بل كانوا يرون أنفسهم أحق من السلطان أكبر ، فى تولى أمور الدولة ، ولم يردعهم فى ذلك ما حدث لمراكز القوى فى البلاط.

كان قلق أكبر من الأزبك وتخوفه منهم فى موضعه ؛ لأنهم أبلوا بلاءا حسنا مع همايون فى استعادة ملكه ، كما كان لهم دورهم فى هزيمة هيمو الذى هدد بقاء الدولة ، فكانوا يرون لأنفسهم الفضل فى استعادة الحكم ، وتوطيده ، وبالتالى كانوا يريدون أن تكون لهم كلمتهم فى الدولة ،وهذا ما لم يكن السلطان يقبل به ،لأن تجربة أبيه علمته ألا يسمح ببقاء مراكز القوى داخل الدولة ، وأن لا يفوض أحدا سلطات كبيرة ، وأن يكون هو المسيطر على جميع شئون الدولة ، وفى هذا الإطار كان السلطان يرحب بكل قائد وبكل رجل من رجالات أبيه أن يتولوا مناصب فى الدولة ، ولكن يبدو أن الأزابكة لم يكن يروق لهم هذا القدر من السلطة والمكانة فى الحكم ، لأنه على الرغم من أن السلطان

أكبر عفا عن زعيمهم على قلى خان الشيبانى عدة مرات وأغمض عينيه عن تمرده وعصيانه ، وأقره على منصبه كحاكم لجونپور وقائد من قواد جيشه ، إلا أنه كان يتناسى هذا العفو كلما سنحت له الفرصة كما كان يستغل كل مشكلة للسلطان فى سبيل توسعة نفوذه والإعداد للمجابهة مع قوات أكبر شاه ، ولقد انتهز فرصة ذهاب السلطان للقضاء على ثورة أخيه محمد حكيم مرزا حاكم كابل ، ودفع هجومه على پنجاب ، فتزعم عصيان الأزابكة وجمع هو وشقيقه بهادر خان حولهما حوالى ثلاثين ألف فارس ، وبدأوا فى الاستيلاء على ماتيسر لهم[1] ، ولكن السلطان كان قد أعد لمعركة حاسمة إعدادا سياسيا وعسكريا ، إذ أرسل مبعوثيه إلى حاكم بنگاله الذى كان تربطه علاقات متينة مع على قلى خان الملقب بخان زمان ، ونجح فى إقناعه بأن لا يقوم بمساعدة المتمرد خان زمان ، كما أرسل مبعوثيه حسن خان خزانچى ومها پاتر إلى حاكم أوريسة المجاورة لبنگال[2] ، وكان مهمتهما كسب وده وتحريضه بالقيام ضد سليمان

---

(١) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ١ ، ص ٢٥٤ .
عبد المنعم النمر : تاريخ الإسلام فى الهند ، ص ٢٠٢ .

(٢) نظام الدين أحمد الهروى : طبقات أكبرى ، ص ٢٦٧ .

كرراني حاكم بنكاله ، اذا استمر الأخير في علاقاته الودية مع خان زمان وبهادر بتقديم الإمدادات العسكرية إليه ، إضافة الى أن أكبر شاه باغت بقواته قوات الأزابكة في موسم الأمطار ، كما ذكرناه في موضعه ، وكان لعنصر المباغتة هذه الأثر الحاسم في تشتيت قوات خان زمان وقتله في أواخر سنة ٩٧٤ هـ(١٥٦٧م) وبذلك قضى على تمرد خان زمان وشقيقه بهادر خان ، والذي استمر من بداية السنة الثالثة لجلوس السلطان على عرش الحكم ، الى أوائل السنة الثانية عشرة منه ، وبعد هذه الضربة القاصمة ، استقامت الأمور لأكبر وأصبح مسيطرا على قواده ، بعد أن نجح في القضاء على مراكز القوى المتنافسة في البلاط ، وجدير بالذكر أن تخوف السلطان من الأزابكة لم يكن ناتجا عن طموحاتهم وصراعهم على السلطة فحسب ، بل كانت هناك خصومة تاريخية بين الأزابكة والدولة المغلية في الهند ، لأن الأزابكة هم الذين طردوا بابر جد أكبر من ملك آبائه في سمرقند وفرغانه ، مما دفع ببابر أن يتوجه نحو الهند بعد أن فشلت جميع محاولاته في استعادة عرش آبائه من الأزابكة في ما وراء النهر ، إضافة إلى أن الدولة الأزبكية كانت تجاور دولة السلطان فيما وراء جبال هندوكش ، فلم يكن يستبعد أن يستنجد الأزابكة في الهند ، ببني جلدتهم فيما وراء النهر ، وذلك في حالة اتساع نطاق التمرد واستمراره فترة أطول .

بعد أن قطع أكبر شاه مرحلة التمكين لدولته ، بدأ فى التوسع والفتح ، ولقد استهل هذه المرحلة بالقضاء على خطر الراجپوت العسكرى ، وذلك إما بإخضاعهم قسرا أو باستمالتهم وكسب ودهم بالطرق السلمية ، ومعلوم أن الراجپوت كانوا طبقة عسكرية وأصحاب قلاع محصنة ، ورأى أكبر أن إخضاعهم لا يتيسر إلا بالاستيلاء على هذه القلاع ، حتى يؤمن دولته من أخطار مجاورة من جهة ، وليؤمن خط رجعته أثناء توسعه وتقدمه إلى ما بعد منطقة الراجپوت مثل كَجرات وغيرها ، ولأن بنى أعمامه من أبناء محمد سلطان مرزا وأحفاده قد لجأوا إلى كَجرات واستولوا على بعض موانئها ، وكان السلطان أكبر حذرا جدا من بنى أعمامه ، فلم يكن يتساهل معهم أبدا فيما يخص بقاء دولته ، ولقد اتعظ جيدا فى هذا المجال ، بما حدث لأبيه همايون الذى تساهل فى أمر إخوته ، فكان من العوامل المهمة فى طرده من الهند بواسطة شير شاه سور ، ومن هنا كان خطر بنى أعمامه ، يسير برنامجه فى التوسع أو البدء فيه ، فكان البدء من راجپوتانا ، ليمهد الطريق أمام التقدم فى كَجرات وليؤمن طريق الرجعة إلى العاصمة ، ووفق السلطان فى إخضاع الراجپوت أو إنهاء خطرهم العسكرى ، بعد أن تمكن من فتح قلاعهم ، وأهمها قلعة چتور ، ولقد تحمل السلطان فى فتح هذه القلعة خسائر كبيرة فى الأرواح ، ولكنه تمكن فى النهاية من السيطرة عليها باستخدام وسائل فتح القلاع فى ذلك

الوقت كالساباط والمورچل ، إضافة إلى استخدامه المتفجرات ، كما أقام السلطان مذابح جماعية بعد الفتح ، ليرعب الراجپوت بأنه جاد فيما ينوى عمله ، وفى نفس الوقت ، كان السلطان لا يغفل استخدام الطرق السلمية فى كسب ود الراجپوت وإدخالهم إلى صفوف قواته ، حتى لا يحسوا بمذلة ، وحتى يستفيد السلطان أيضا من مهاراتهم العسكرية بصفتهم طبقة حربية من جهة ، ولأنهم أعرف بطبيعة راجپوتانا البشرية والطبيعية ، ولقد نجح السلطان فى هذا الاتجاه أيضا ، حيث استخدم الراجپوت أنفسهم فى تعقب فلول بنى جلدتهم وضم مناطقهم إلى دولة السلطان ، وبذلك فتح الطريق أمام كَجرات التى كانت تعيش فى ظل من الفوضى وملوك الطوائف وعلى الرغم من أن السلطان أكبر باشر فتح كَجرات مرتين ، واستطاع إلى حد كبير أن يملأ الفراغ الذى كانت تعانى منه هذه الولاية المطلة على المحيط الهندى ، إلا أن الأوضاع لم تستقر فيها إلا فى الفترة الأخيرة من عمر دولة السلطان ، إذ كانت الاضطرابات وحوادث التمرد تحدث بين حين وآخر ، ورأينا أن تمرد المرزاوات وحدهم استمر ثلاثة عشر عاما (٩٧٣هـ - ٩٨٦هـ) وكانت كَجرات فى معظم الأحيان قاعدة لعصيانهم ، إضافة إلى أن ملوك الطوائف الذين فقدوا سلطانهم بعد فتح كَجرات ، كانوا يتربصون كل فرصة سانحة ، لاقتطاع جزء من هذه الولاية .

على الرغم من أن أكبر شاه وضع فى أولوياته ، قضية بنى أعمامه وعدم

إتاحة الفرصة لهم ليصبحوا قوة تهدد دولته ، إلا أنه لم يغفل أيضا خصومه التقليديين من خارج الأسرة التيمورية ، ونقصد بهم الأفغان الذين احتفظوا بنفوذهم فى الأقاليم الشرقية ، وكانوا هم الآخرون لا يرون أنفسهم أحق بحكم الهند من السلطان أكبر فحسب ، بل ومن الأسرة التيمورية أيضا ، فلم يكونوا ليترددوا عن استغلال أى فرصة سانحة ، لطرد أكبر شاه من الهند ، وإرجاع سلطة الأفغان إلى دهلى ، ومن هنا كانت أعمال الفتح متزامنا فى كَجرات والأقاليم الشرقية ، حيث كان السلطان يباشر أعمال الفتح فى الأولى بنفسه ، كما كان الرجل الثانى فى دولته وهو خان خانان منعم خان ، يقود إخضاع الأقاليم الشرقية ، كما توجه أكبر شاه بنفسه إلى الأقاليم الشرقية بعد أن عاد من حملته الثانية على كَجرات ، وترأس مجلس أركان الحرب بعد أن وصل إلى مدينة پتنه التى كان داود زعيم الأفغان وقواته يتحصن فى قلعتها ، وتقرر فى ذلك المجلس أن يقوموا بفتح قلعة حاجى پور أولا ، لأنها كانت منبع الإمدادات لقوات داود وأثبت هذا التكتيك جدواه إذ تمكنت قوات السلطان من فتح قلعة پتنه وانهزم داود وأسرع بالفرار ، وذلك فى شهر ربيع الأول سنة ٩٨٢ هـ كما أوضحناه فى حينه ولقد كان هذا الفتح فى حقيقته فتحا لإقليم البنغال ، لأن الأفغانيين لم يستطيعوا بعده ، أن ينظموا مقاومة تصل إلى هذا المستوى ، وكما لم تشهد كَجرات الاستقرار الكامل بعد فتحها ، فكذلك لم تستقر الأوضاع فى الأقاليم الشرقية أيضا ، وخاصة بعد وفاة منعم خان الذى تركت وفاته

فراغا كبيرا فى إدارة البلدان الشرقية ، نتج عنه حدوث أعمال التمرد والعصيان فى صفوف الموالين للدولة أيضا ، كما أصبحت ولايتا بنگاله وبهار فى سنة ٩٨٩ هـ (١٥٨١م) فى أيدى المتمردين الذين أخرجوا شرف الدين حسين مرزا من سجنه وعينوه قائدا لهم ، ومعروف أنه من أفراد الأسرة التيمورية كما حشد حوالى ثلاثين ألف فارس حول المتمردين ، إلى أن تمكن مرزا عزيز كوكه فى سنة ٩٩٢هـ(١٥٨٤م) من اعادة الأراضى التى استولى عليها المتمردون إلى سلطة الدولة بعد أن إستطاع من استمالة الكثيرين منهم واسترضاءهم وخاصة القاقشاليين منهم.

لقد كان لحوادث التمرد فى الأقاليم الشرقية انعكاساتها فى إقليم كابل الهام ، إذ اتصل المتمردون بحاكمها محمد حكيم مرزا وأغروه بالهجوم على پنجاب ، ولقد لبى محمد حكيم مرزا نداء المتمردين وقام بالهجوم على پنجاب ، فى سنة ٩٩٠ هـ(١٥٨٢م) ولكنه انسحب إلى كابل بعد أن علم بنبأ توجه السلطان بنفسه إلى پنجاب ، وبعد وفاة محمد حكيم مرزا فى سنة ٩٩٤هـ(١٥٨٦م) استقر أكبر شاه فى إقليم پنجاب لترقب الأوضاع فى كابل ، والاطمئنان على ولائها لدولته ، لأنها كانت ذات أهمية إستراتيجية فى الدفاع عن الهند ، أمام تقدم الأزابكة حكام ما وراء النهر ، الذين استولوا على بدخشان من أملاك التيموريين ، كما استولوا على أجزاء كبيرة من خراسان ، وبذلك أصبحوا متاخمين لدولة أكبر شاه ،تفصل بينهما جبال هندوكش الشامخة ، وكان السلطان أكبر فى خلال تواجده فى پنجاب والذى استمر أكثر من عشر سنوات ،

يعد لمقاومة الأزابكة ، إن تعدوا جبال هندوكش إلى كابل ، وفى إطار هذا الإعداد قام فى خلال هذه السنوات بفتح كشمير وضم كابل إلى دولته بعد أن كانت تتمتع بنوع من الحكم الذاتى فى حياة محمد حكيم مرزا ،كما تم فى خلال هذه السنوات ، إخضاع الأفغان الساكنين بين بنجاب وكابل والذين كانوا يهددون الطريق بين الهند وكابل ، كما تم فتح السند وبلوچستان وكذلك استرد السلطان قندهار ، وكل هذا فى إطار الإعداد لمقاومة الأزابكة إن أرادوا التوسع إلى كابل وقندهار وما بعدهما إلى الهند ، لأن الأزابكة استغلوا المشاكل الداخلية للصفويين فى إيران وقاموا بالاستيلاء على خراسان ، وأصبحوا على مقربة من قندهار البوابة الثانية للتقدم نحوالهند ، وتمكن السلطان من إخضاع جميع هذه المناطق بالقسر والقوة أحيانا وبالسياسة أحيانا أخرى ، وبذلك اطمأن على أمن طرق إمداداتها وخط الرجعة إلى الهند إن حدث أن اشتبك مع الأزابكة .

بعد أن اطمأن السلطان أكبر على الأوضاع فى تلك المناطق وبعد أن توفى عبد الله خان أزبك حاكم ما وراء النهر ، وانشغل خلفاؤه فى المنازعات الداخلية ، بدأ أكبر شاه يوجه اهتمامه لفتح الدكن ، وكان قد سبقت أعمال الفتح ، اتصالات وتردد المبعوثين للتعرف على الأوضاع والتمهيد للفتح ، كما كان السلطان قد بذل أقصى جهوده فى أن يتم فتح الدكن سلميا ، ولكن توحش الدكنيين من دولة المغل ، حال دون ذلك ، كما فشلت

محاولاته العسكرية فى ضم جميع الأقاليم الدكنية إلى دولته ، وذلك بسبب استماتة الدكنيين فى الدفاع عن كيانهم والصمود أمام جيش المغل ، إضافة إلى التنافر والتنافس الذى كان بين قواد الجيش المغلى ، مما تسبب فى عدم التنسيق بين العمليات العسكرية ، وحتى حين توجه أكبر شاه بنفسه لم يأت بالفوز الكامل الذى اعتاده أكبر شاه فى فتوحاته السابقة ، فاقتنع بما حصل عليه من دكن فى إقليم أحمد نكر وبرار وخانديس ، ورضى بالصلح الذى تم بينه وبين حاكم بيجاپور والذى وثق بعقد المصاهرة بينهما أيضا ، وهكذا بلغت فتوحات أكبر مداها ولم يتمكن من ضم جميع الهند إلى حكمه كما كان يحلم بذلك ، ولعل للظروف النفسية التى ابتلى بها أكبر ، كان لها أثرها فى وضع حد لفتوحاته ، إذ فقد فى فترة وجيزة ابنيه الأمير مراد والامير دانيال بسبب إدمانهما شرب الخمر ، كما ثار عليه ابنه الأكبر وولى عهده الأمير سليم ، إضافة إلى وفاة أمه التى كان يحبها كثيرا والتى كانت قد نجحت فى الوساطة بين السلطان وابنه ، علاوة إلى قدرة الدكنيين الفائقة فى الصمود أمام حملات المغل ، وذلك على الرغم من منازعاتهم الداخلية التى كانت تقوم بينهم بين الحين والآخر .

وبمتابعة أعمال السلطان فى الفتح والتوسع ، واستقراء حوادثها وملاحظة ملابساتها ، يمكننا أن نقرر أن استراتيجية السلطان كانت هى فتح الهند بأكملها ، ولكنه لم يكن هناك برنامج محدد للفتح أو إطار جغرافى له ؛

بمعنى أن الظروف والمقتضيات الأمنية لدولته وتواجد خصومه هنا وهناك ، هو الذى كان يسير أعماله فى الفتح والتوسع ، ولقد رأينا أن السلطان قام بفتح مالوه لأن خصومه من بنى أعمامه هربوا إلى هناك ، وكذلك بدأ السلطان بفتح راجيوتانا وقلاعها ،لأنها كانت تقع فى الطريق إلى كَجرات ملجأ خصومه المذكورين ، وكذلك كانت الأعمال الحربية فى الأقاليم الشرقية ، لأنها كانت منطقة نفوذ الأفغان خصوم الدولة التقليديين كما كان قد هرب إليها بعض من بنى أعمامه أيضا ، وكذلك رأينا أن التطورات فى كابل وبدخشان وخراسان وإيران ، هى التى فرضت على السلطان توقيت البدء بفتح كشمير وكابل ومناطق الحدود الشمالية الغربية والسند وبلوجستان وقندهار .

وعلى أية حال لقد كان نتيجة كل هذه الفتوحات ، القضاء على عدد من الدول الإسلامية وعدد من الكيانات الراجيوتية الهندوكية ، وضمها جميعا فى دولة موحدة مركزية قوية مترامية الأطراف ، حكمت الهند لعشرات السنين ،وأخرت خضوع الهند للاستعمار الأوربى ، ونحن إذا بحثنا فى العوامل التى ساعدت جلال الدين محمد أكبر شاه فى تكوين هذه الدولة الكبرى ، على أنقاض عدة دول ودويلات ، نجد أن هناك عوامل كثيرة تقف وراء هذا النجاح الكبير أهمها : شجاعة السلطان أكبر وهمته العالية ، وعبقريته السياسية والعسكرية ، وعدم استسلامه لأية موانع ، وتحديه الصعاب والعقبات وعدم تطرق اليأس إليه ، ولقد باشر بنفسه أكثر الفتوحات المهمة والصعبة ، وكذلك الإعداد للمعارك إعدادا سياسيا وعسكريا وأمنيا ، فهناك كما رأينا اتصالات قبل دخول المعركة

فى محاولات للحصول على الفتح والطاعة دون الحرب ، كما وجدنا أنه كان يتصل بالقوى المؤثرة والمجاورة للمناطق التى يراد فتحها ، بغرض كسب ود هذه القوى أو تحييدها على الأقل ، إضافة إلى الإعداد العسكرى إعدادا جيدا فى مجال التجهيز والمعدات والتدريب والمناورات ، للتأكد من قدرات القوات القتالية ، كما كان يعمل دائما لتأمين الطرق وخط الرجعة ، وكانت الوحدات الاستطلاعية تقوم بمهمتها التجسسية العسكرية خير قيام ، فلم يحدث أن بوغتت قوات السلطان أو قطع عليها خط الرجعة وطرق الإمدادات ، إلا إذا استثنينا بعض الحالات النادرة مثلما حدث لقوات السلطان فى الحدود الشمالية الغربية بقيادة راجه بيربل الهندوكى .

كذلك كان لعنصر المباغتة وأخذ زمام المبادرة دور كبير فى انتصار قوات السلطان على أعدائه وخصومه ، وقد رأينا دور هذا العنصر فى معارك كثيرة ، منها معركة السلطان مع قائده المتمرد على قلى خان شيبانى ومنها أيضا عودته إلى كجرات ثانية ، حيث قطع مسافة شهرين فى خلال تسعة أيام وباغت بذلك قوات خصومه المؤتلفة بقيادة محمد حسين مرزا .

كذلك كان السلطان لا يغفل عن استخدام أية وسيلة من وسائل الفتح والحرب ، من قبيل استخدام المدفعية والبندقية والمتفجرات والساباطات والمورچلات وغيرها ، وعلى الرغم من أن خصومه كانوا يملكون أيضا هذه الوسائل إلا أن السلطان نجح فى استخدام هذه الوسائل إلى أبعد الحدود ، إضافة

إلى أنه وفق في تجميع أعداد كبيرة من الفنيين وأصحاب المهارات لتشغيل هذه الوسائل وصيانتها وتدريب الجنود عليها .

كذلك كان لسياسة اللين والشدة دورها في كسب ود المخالفين أحيانا وإرعابهم أحيانا أخرى ، وكان السلطان يرجح دائما العفو واستخدام الطرق السلمية في معاملته مع خصومه ، وإذا لم ينجح هذا الأسلوب ،التجأ إلى الشدة والقسوة أحيانا ، حتى يرعب أعداءه ويكون مصيرهم عبرة للآخرين ، ولقد رأينا السلطان يستخدم هذه السياسية في جميع معاركه وفتوحاته ، فلقد عفا عن قائده المتمرد على قلى خان عدة مرات،وبعد تأكده من أن هذا الأسلوب لا ينفع في معاملته له ،باغته وقضى عليه نهائيا ، كما أنه استخدم مهارات الراجپوت القتالية ورقى بعضهم إلى مناصب عالية في الجيش وفي غير الجيش ، ولكنه عاملهم بقسوة بالغة في فتح قلعة چتور ، حيث أقام هناك مذابح جماعية راحت ضحيتها آلاف من الراجپوت ، وذلك بعد أن تأكد من عدم خضوعهم إلا بهذا الأسلوب ، حتى يعيدوا حساباتهم ويجددوا النظر في معاملتهم مع السلطان ، لأن القلاع المحصنة لا تحميهم أمام جدية السلطان ، وبهذه السياسة وهي اللين والعفو أولا والشدة والقسوة ثانيا وأخيرا ، استطاع السلطان أن يخضع معظم الراجپوت وأن يسخر قدراتهم القتالية لصالح دولته وخططها التوسعية .

ومن ضمن التخطيط الجيد لخوض المعركة ، كان السلطان يهتم كثيرا في ضرب حصار ناجح ضد قوات خصومه وقطع طرق الإمدادات عليها ، ولقد رأينا أثر هذه الخطة في فتح قلعة چتور ومعارك قوات السلطان في الأقاليم الشرقية وفي كُجرات وغيرها ، كذلك كان هناك السعي والتحري لضرب أو قتل أو أسر قائد العدو أثناء المعركة ، ونجح هذا الأسلوب في مواضع متعددة ، منها إصابة هيمو في پاني پت ، وقتل جيمل في قلعة چتور وأسر محمد حسين مرزا في كَجرات وداود أفغان في بنكُاله .

كذلك كان السلطان يكرم الذين يقدمون خدمات ناجحة في المعارك فيرقيهم في المناصب ويقدم لهم الخلع ويزيد في معاشاتهم ، كما أنه كان يمنع قواده من الحضور إليه لفترة ، إذا ثبت أنهم لم يجدوا في طلب الخصم ، وهذا مثل ما رأيناه في معاملته مع قواده الذين أرسلهم لفتح كشمير ولكنهم رجعوا بما هو أقل من الفتح .

أيضا هناك دور كبير لفتح القلاع أو إقامة قلاع جديدة في فتوحات السلطان وأعماله التوسعية ، وفي الحقيقة كانت القلاع عبارة عن قواعد عسكرية فإذا فتحت أو دمرت ، أصبحت المدينة بلا دفاع ، ومن هنا كان الاهتمام بالغا بفتح القلاع ، كما بادر السلطان بإحداث مثل هذه القلاع هنا وهناك لأسباب أمنية ودفاعيه ؛ ولقد رأينا أن محاولات قوات السلطان لإخضاع الأفغان في الحدود الشمالية الغربية لم تثمر ، إلا بعد أن رأى راجه تودرمل إقامة قلاع في المناطق الجبلية ذات الأهمية الإستراتيجية .

كذلك كان خصوم السلطان أكبر ينقصهم التنسيق العسكرى فيما بينهم ، ولكنه لا يقلل بأى حال من الأحوال من أهمية انتصارات السلطان أكبر ، فى المعارك التى خاضها ضدهم ، لأن قوات خصومه لم تكن أقل عددا وعدة من قوات السلطان إن لم تكن تفوقها .... وقبل هذه العوامل وبعدها نرى دور القدر وحسن الحظ يقف بجانب انتصارات السلطان ونجاحه فى تكوين هذه الدولة المترامية الأطراف ، وخاصة فى مثل تلك البيئة الطبيعية والبشرية ، وفى ظل بدائية المواصلات وأسباب الحمل والنقل وتلك الطرق البعيدة التى يستغرق قطعها بوسائل النقل الحديثة ، ساعات وأياما .

لم تكن إنجازات عصر السلطان أكبر هى خوض المعارك والانتصار فيها فقط، بل كانت نتيجة هذه المعارك الكبيرة والكثيرة وانتصارات السلطان فيها، تكوين دولة موحدة قوية مترامية الأطراف، لقد كانت حدود هذه الدولة فى توسع دائم، إلى أن توقفت فى دكن واقتنع السلطان بما استولى عليه فى هذه المنطقة، وترك الباقى إلى حكام دكن المسلمين، وبطبيعة الحال تستوجب مثل هذه الدولة النظم التى تقوم عليها، وتسيرها فى وقت السلم والحرب، فكان السلطان أكبر على رأس هذه الدولة الكبرى وفى جميع مراحل تكوينها وتوسعها، إلا إذا استثنينا السنوات الخمس الأولى من جلوسه على عرش الحكم، فقد كانت جميع السلطات بيده إلا أنه كان يستشير دائما أهل الخبرة، كما كان يساعده فى تصريف مهام الحكم الوكيل أو المشرف على الديوان، والديوان وهو الوزير، إلا أن منصب الوكالة لم يشهد نفوذه الحقيقى بعد إقصاء بيرم خان عنه وإعفائه من سلطاته، ولقد نجح السلطان فى اختيار وزراء أكفاء قاموا بالمهام المخولة إليهم خير قيام، ويأتى فى مقدمة هؤلاء الوزراء، الوزير الهندوكى راجه تودرمل الذى تولى الإشرافية على الديوان أيضا، كما كان هناك العديد من الإدارات فى خدمة البلاط.

لقد قسم السلطان ملكه إلى خمس عشرة صوبة أو ولاية، وكانت كل ولاية تشتمل على عدد من السركارات، كما كان كل سركار يتضمن

العديد من القصبات ، فكان هناك خمس ومائة سركار موزعة فى خمس عشرة ولاية ، كما كانت ٢٧٣٧ قصبة تتوزع فى ١٠٥ سركار ، وكان سپه سالار أو قائد الجيش على رأس كل ولاية ، ينوب عن السلطان فى تصريف مهامها ، كما كان على رأس كل سركار فوجدار ، وعلى رأس كل محلة ، مير محلة ، وبعد أن توسعت الدولة أكثر ، أحدث السلطان منصب الوزارة فى الولايات أيضا وذلك فى سنة ١٠٠٣هـ (١٥٩٤م) ، فكان هؤلاء الوزراء يقومون بتصريف الشئون المالية للولاية ، ويكونون مسئولين أمام الديوان ، ولقد عين السلطان ثمانية وزراء هند وكيين من أصل اثنى عشر وزيرا عينهم على منصب الوزارة فى الولايات .

كان الجيش من أهم أركان الدولة ، وهو يكون العمود الفقرى لدولة قضت معظم أوقاتها فى الحروب المتواصلة هنا وهناك ، ولقد وزع الجيش إلى وحدات تتكون من عشرة جنود إلى عشرة آلاف جندى ، ولقد كان السلطان حذرا من ترقية قواده إلى منصب يقودون فيه وحدة أكثر من خمسة آلاف جندى فكانت الوحدات التى تزيد عن هذا الرقم من نصيب أبنائه الثلاثة الأمير سليم والأمير مراد والأمير دانيال ، كما كان للسلطان حرسه الخاص الذى كان يسمى بأحدى

ولقد اختلف المؤرخون كما رأينا فى حينه ، فى عدد قوات جيش السلطان ، فمنهم من قدره بخمسة وعشرين ألفا ، ومنهم من ذكر أنه كان

مائة وأربعين ألفا ، كما ذكر البعض أن عدد أفراد الجيش كان يصل الى مليونين بل وإلى أربعة ملايين ، ويبدو أن الأرقام الأخيرة ليست مبالغا فيها ، لأنها لا تشمل المحاربين وحدهم ، بل تشمل المحاربين وسائر المنسوبين إلى الجيش ، الذين يقومون بأداء واجباتهم تجاه هؤلاء المحاربين ، لأنه اذا رأينا أن خمسين ألفا من الجنود قد اشترك فى حملة ما ، فيلزم أن يكون هناك ثلاثة أضعاف هذا العدد ممن يصحبون هذا الجند ، فيعدون له المعدات ويقومون بالشئون التموينية للجند ، كما يعملون لتوفير الاكل والخدمات للفيلة والخيول والجمال المشتركة فى هذه الحملة ، لأننا نتكلم عن أوضاع مضى عليها أكثر من أربعة قرون ، فكانت وسائل الحمل والنقل فيها ، عبارة عن الفيلة والجمال والخيول والبغال ، ومعلوم أن تلبية ضروريات خمسين ألفا من الجنود ، ومتطلبات المعركة التي يخوضونها ليست أمرا سهلا وخاصة فى مثل هذه الدولة المترامية الأطراف وتلك الصعاب والتحديات التى كانت أمامها ، ولا ننسى أيضا أن الدولة خاضت حروبا بريه متزامنة فى الغرب والشرق والشمال ، إضافة إلى ترقبها للاضطرابات التى كانت تحدث هنا وهناك ، فطبيعى أن يضم مثل هذا الجيش فى صفوفه آلافا مؤلفة من الجنود والمنسوبين إليه ، ومن هنا نرى أن ميربخشي يجئ ذكره فى كل حملة وفى كل جند ، وهو الذى كان يرأس الشئون التموينية للجيش ويقوم بصرف معاشاتهم ومستحقاتهم .

لقد وضع السلطان دستورا لدولته وسماه " دستور العمل " وطلب من كبار منسوبي دولته وصغارهم التقيد بما يتطلب منهم ذلك الدستور، ولقد أكد في الدستور الحرص على تسهيل أمور الناس والسهر لخدمتهم وتلبية طلباتهم ، كما تضمن على حرية البيان والرأى وحرية العقيدة ، وكذلك أكد لمنسوبي الدولة ضرورة الأخذ بالمشورة والابتعاد عن الاستبدادية ، كما أشار الدستور الى ضرورة العمل للتنمية الزراعية وتقديم التقاوى للمزارعين ، ولقد خصص جزء من الدستور في تشريح المهام الملقاة على عاتق كوتوال وهو أقرب الى المحتسب ونظام الحسبة ، وكان على كوتوال أن يقوم بالعديد من المسئوليات التى تقوم بها حاليا العديد من الوزارات والإدارات، ومنها ما تقوم به اليوم البلديات ، وإدارات الجوازات ودوائر الأمن .

كما حاول السلطان أكبر جاهدا أن يدرأ عن بلاده خطر المجاعات المروعة التى كانت تدهمها حين كانت تجدب الأرض بسبب انحباس الأمطار الموسمية عنها ، فاهتم اهتماما بالغا باستصلاح الأراضى البور ، وحض الأهالى على الاشتغال بالزراعة وتوسيع رقعة الأراضى المنزرعة ، وأمدهم بما يحتاجونه من البذور وعاونهم على زيادة إنتاج الأرض ، وكان من ثمرة هذه الجهود ، أن نعم الناس فى الغالب بحياة طيبة لم يألفوها منذ زمن بعيد ، وازدهرت عيشتهم ، وصارت الأسعار فى متناول أيديهم جميعا ، وكان السلطان يعاقب الأمراء الذين يظلمون الأكرة القائمين بخدمة

الأراضـــى (١) ، كما كانت التجارة نشطة فى داخل الدولة وخارجها ،إضافة إلى وجود العديد من الصناعات وكميات خياليـــة من الذهب ووجود الثـــروة الحيوانية ، تسهم بدورها فى إنعاش اقتصاد الدولـــة .

أما فى المجال الثقافى والفنى فقد عمل السلطان أكبر لتجميع العلماء من هنا وهنـــاك ، وإغراء أصحاب التخصصات والفنيـــين للقدوم إلى دولتـــه ، ولقد شهد عصـــر السلطان أكبر حركة نشطة فى الترجمـــة والتأليـــف ، حيـــث ترجمت عشرات من الكتب إلى الفارسيـــة ، لغة الثقافة والدبلوماسية فى ذلـــك العصـــر ، ومما يذكر لأكبر أنه أحيـــا التراث الهندى القديم بترجمـــــة أمهات كتبهم وفى مقدمتها ، كتاب مها بهارت .

كما ازدهرت الفنون المختلفة وخاصة الفن المعمارى ، وتأتى قلعـــة آكره وبناء مدينـــة فتحيور العاصمة الجديدة وبناء جامعها ، فـــى مقدمـــة إنجازات عصر السلطان أكبر المعماريـــة .

ومما يذكر للسلطان أكبر أيضا ، أن فى عصـــره بدأ تسـيير قافـلـــة الحجيج الهندية إلى الأراضى المقدسة فى الحجاز على غرار القوافـــــل

---

(١) أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهنديـــة وحضارتهم ،ج ٢ ، ص ١١٨ .
شكيب أرسلان : حاضر العالم الإسلامى ،ج ٤ ،ص ٣٠٥ .

المصرية والشامية ، وكان يرأس القافلة أمير الحج الذى كان ينوب عن السلطان فى قيادة الحجيج ، كما كان يسلم إلى أمير الحج معونات ، ليقوم بتوزيعها على الفقراء والمحتاجين فى الحرمين الشريفين ، وكذلك أعلن السلطان أن الدولة تتكفل بتكاليف الذين يريدون أداء فريضة الحج وهم لا يقدرون على ذلك .

من العوامل التى أدت إلى توطيد أركان دولة السلطان أكبر ، نجاح السلطان فى كسب ود معظم الراجبوت والهنادكة على وجه العموم ، وجرهم فى صف الموالين للدولة والدفاع عنها ، وحصل السلطان على هذا النجاح بعقد المصاهرات وإباحة المناصب الكبيرة للراجبوت ولغيرهم من الهندوكيين ولقد وصل هؤلاء إلى أعلى مناصب فى الوزارة والقيادة ، كما أصدر السلطان أوامره بإعفائهم من تأدية الجزية ، وكذلك اعفاؤهم من دفع الرسوم أثناء زيارتهم أماكنهم المقدسة ، كما حافظ السلطان على معابدهم ، وعمل لترجمة أمهات كتبهم المقدسة وإحياء تراثهم القديم ، ومقابل ذلك كله أعطى الراجبوت ولاءهم وإخلاصهم للدولة ، وعملوا على مساعدة الدولة ضد المتمردين وضد أعداء الدولة ، ولقد كان للتجارب التى مر عليها همايون الأثر الأكبر فى انتهاج السلطان هذه السياسة تجاه الهندوكيين الذين كانوا يكونون غالبية رعاياه ، كما أن السلطان لم يساير جميع معتقدات الهندوكيين ، بل قام بإصلاحات اجتماعية فى المجتمع الهندوكى منها السماح للأرملة بالزواج ثانية ومنعها من إحراق نفسها إذا مات زوجها .

إن القضيـة المثيرة للجدل والتى شوهت سمعة السلطان عند المسلمين هى أنه ابتدع مذهبا جديدا سماه "دين إلهـى" ،ولقد سكت المؤرخـون المعاصرون عما شاع من انحرافات السلطان العقائدية ، ما عدا عبد القـادر بدايونى مؤلف منتخب التواريخ الذى تعرض لهذا الموضوع بجرأة فائقـة وقدم تفاصيـل مثيرة ، التى ذكرنا بعضها فيما سبق .

إذا دققنا النظر فى العوامل التى أدت بالسلطان إلى أن يبتدع ذلك المذهب الذى سمى بالدين الإلهى ،نرى أنه تطبيـق لوصية جده بابر شـاه والتى تركها لابنه الأكبر وولى عهده همايون شاه ، كى يختارها منهجا للحكـم فى الهند ، ومما جاء فى هذه الوصيـة :

عليك أن تحترز من التعصب المذهبى ، وتراعى جذبات النـاس الدينية ورسومهم ، وأن تتعامل مع مختلف الطوائف بالانصاف ودون التبعيض، اجتنب من ذبح البقر حتى تختار موضعا فى قلوب الناس ، وحاول أن تكـون طاعتهم لك عن طريق إحسانك إليهم .

احترز من تخريب معابد مختلف الطوائف ، وكن منصفا فى معاملتـك مع أرباب جميع المذاهب ، حتى تقوم الروابط بين الرعية والملك ، على أسـاس من الود ، وبذلك يكون قد تيسر للبلاد الأمن والأمان ،ويستحسـن أن تقـوم بنشر الدعـوة الإسلاميـة وإشاعتهـا ، عن طريـق الرفق والإحسان ، لا عن طريق الظلم والسيف .

ابتعد عن خلافات الشيعة والسنة ، لأنها تتسبب في ضعف الإسلام ، عليك أن تراعي خصائص رعاياك في مختلف مواسم العام ، حتى تكون سلطنتك بعيدة ومصؤونة عن المرض والضعف .(١)

ولقد أخذ السلطان أكبر بهذه الوصايا ، وذهب في تطبيقها الى أبعد الحدود ، وإلى درجة مفرطة ، كما تمسك السلطان بالنصح الذى قدمه الشاه طهماسب الصفوى إلى والده همايون ، حيث نصحه بأن يقيم علاقات مصاهرة وانتساب مع كبار زعماء الهندوكيين ، حتى يكونوا ممدين ومعاونين للدولة ، أثناء التفرقة(٢) ، وكأن ابتداع ما سمى بالدين الإلهى كان تتويجا لهاتين الوصيتين ، فلم يتعصب السلطان لطائفة ضد الأخرى ، ولم يتعرض لطقوس مختلف الطوائف الموجودة بالهند ، كما أكثر من زيجاته الهندوكيات ، وترك لهن مطلق الحرية في التمسك بطقوسهن المذهبية ، وكان السلطان يقول : إن الله سبحانه وتعالى قد فوض إليه الحكم والملك ، ليقوم بالحراسة والمسئوليات الملقاة على عاتق الراعي ، والعمل لخير خلق الله والإحسان معهم ، ولم يعطه الحكم ليسخره في استجماع الذهب والفضة ، والانشغال بتزيينات العرش(٣) ، وكان يعتبر نفسه أبا لرعاياه ، بدرجة أنه صرح ، لو كان يعرف ما عرفه في الفترة المتأخرة ، لاحترز عن الزواج من سكان الممالك المحروسة ، لأن الرعايا في

---

(١) عبد الحى حبيبى : ظهير الدين محمد بابر شاه ، ص ٩٢ .

(٢) سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٣٧٣ .

(٣) محمد عبد الله خان : تذكرة في سير آكره ، ق ٣٨ أ .

حكم أولاده (١) ، ويذكر ولي عهده أنه سأل أباه عن السبب الذى يمنعه من أن يقدم إلى تخريب بيوت الأصنام ، أو حظر الدخول إليها ؟ فأجابه بأنه پادشاه وظل الله ، وكما أن الله تعالى رحيم لجميع خلائقه يجب علينا أيضا أن نكون رحماء ، وأن يكون أسلوبنا السلام مع الجميع ، إضافة أن خمسة من كل ستة أفراد من رعايا الهند كفار وهند وكيون ، ولا يكون الحل إلا بقتلهم جميعا ، فتركهم أولى (٢) « لأن الدائرة الوسيعة للرحمة الإلهية تتسع لجميع الطوائف وأرباب الملل ، فيجب على الظل أن يكون شعاع الذات ، ومن هنا كان أرباب الملل المختلفة يعيشون فى أرجاء دولته الواسعة ، وهذا بخلاف ما كان فى سائر ولايات العالم ، فلم يكن للشيعة محل إلا فى إيران ، كما لم يكن للسنيين مكان إلا فى الروم وهندوستان وتوران ، وأما فى ممالكه المحروسة ، فكان أرباب الملل المختلفة والعقائد الصحيحة والناقصة ، يعيشون بأمن وسلام ، فكنت ترى السنى والشيعى يصليان معا فى مسجد واحد ، كما كان الإفرنجى يدخل الكنيسة مع اليهودى من أجل العبادة » كما كان السلطان يتودد مع فضلاء كل طائفة ودين ومذهب ، ويقضى معظم أوقاته فى صحبة علمائهم وعلى الأخص مع علماء الهنود الذين كان يقال لهم پندتان ، وعلى الرغم من أنه كان أميا ، إلا أنه من كثرة مجالسته مع العلماء وأرباب الفضل ، كان يبدو فى المباحثات على هيئة لم يكن يعرف أحد بأميته (٣) ، وكان السلطان يرى أن السلاطين

---

(١) بهگوانداس : تاريخ آباء وأجداد شاه جهان ، ق ١٠٩ ب .

(٢) سليم شاه الهندى : تاريخ أكبر شاه ، ق ١٢ ب .

(٣) محمد هادى : توزك جهانگيرى ، ص ١٥-١٧ .

مفوضون من الله ،فيجب أن لا ينظروا إلى التخالف والتنازع فى الدين ،بل يكونوا كنور الشمس الذى يسطع على المحسن والمسيئ على السواء ؛ ومن هنا كان يريد أن يتعايش المسلمون والهند وكيون والزرد شتيون والنصارى وسائر أهل المذاهب فى سلام ووئام ، وأن يعبد ربه كل حسب دينه ومذهبه[1]، ويلاحظ من كل هذا أن السلطان تمسك بوصية جده ،وحاول أن يكون المذهب الذى ابتدعه ، دينا وعقيدة للجميع ، زاعما أنه بهذه الطريقة سيقضى على المذاهب المختلفة فى الهند ، ويضمن لدولته قاعدة شعبية موحدة ، ونسى أن إجراءا كهذا لا يحل المشكلة فحسب ،بل يعقدها أكثر ويضيف مبتدعا جديدا فى المذاهب والمشارب المتعددة الموجودة بالهند ، وكذلك لا يمكن كسب ود القاعدة الشعبية بطريقة كهذا ،إذ على الرغم من أن السلطة قد تجد الذين يوافقونها فى مثل هذه الإجراءات ، إلا أن غالبية أتباع المذاهب والأديان المختلفة ، ترى فى مثل هذا الإجراء تنقيصا لمعتقداتهم ، فتكون النتيجة أن تفقد السلطة ثقة الجميع ؛ فكان من الأحسن بل ومن الواجب على السلطان ، التمسك بالإسلام عقيدة وشريعة ، والعمل على نشره وإشاعته بالطرق السلمية ،واتخاذ سياسة التسامح مع الآخرين ، إذ ليس معنى عدم التعصب ، التكاسل إزاء ما تتطلبه العقيدة الإسلامية ، إضافة إلى أن دولة بدون دعوة لا تصلح للبقاء ، ولا سيما فى مجتمع يموج بمختلف المذاهب والمشارب ، كالمجتمع الهندى ، وصحيح أن السلطان نجح فى حكم دولته

---

(١) سجان راى : خلاصة التواريخ ،ص ٣٧٠- ٣٧١ .

وتدعيم أركانها ، ولكنه نجاح مؤقت لا يصلح أن يكون أصلا ومنهاجا ، لأن الفرق كبير جدا بين أن تعتمد الدولة على قاعدة إسلامية واعية وفية ، وبين أن تكون اتكاؤها على مختلف الطوائف وأصحاب الأحقاد والعقد .

إن الشئ الذى يجب الإشارة إليه عند البحث عن العوامل التى أدت الى ابتداع ذلك المذهب ، هو أن السلطان لم يكن قد تلقى أية تربية إسلامية لأن الظروف التى ولد ونشأ فيها ، حالت دون ذلك ، إذ طرد أبوه من الهند ولجأ إلى إيران ، وبقى ابنه الرضيع عند أعمامه فى كابل ، ولما عاد همايون مظفرا إلى الهند ، لم يمهله الأجل لكى يدبر تربية ابنه وتعليمه ، فانشغل أكبر بالحكم وهو صبى أمى ، فنشأ السلطان دون أن يملك تصورا صحيحا عن الإسلام ، فنراه يغلو فى زيارة الأضرحة والطواف حولها ، والاستمداد منها ، ويقطع مسافات طويلة مشيا على الأقدام ، احتراما لضريح خواجه معين الدين چشتى فى أجمير ، وكذلك رأينا أنه أقدم إلى الزواج بالهندوكيات ، قبل إعلان الدين الإلهى بفترة طويلة ، وذلك على الرغم من أن الإسلام يحرم على المؤمن أن ينكح المشركة ، ومن جهة أخرى كانت الساحة فارغة من دعاة إسلاميين ، يقومون بتوعية السلطان وإرشاده وجهة إسلامية صحيحة ، وبدلا من هذا انشغل العلماء بالخلافات الشخصية وتبادلوا الاتهامات والشتائم ضد بعضهم البعض ، كما عم الفساد والرشوة وحب الدنيا أوساطهم الرسمية[1] .

---

(١) عبد القادر بدايونى : منتخب التواريخ ، ص ٢٠٢ - ٢٠٤ .

ان الشئ المؤكد أن السلطان لم يدع الألوهية أو النبوة ، لأنه ليس هناك ما يثبت ذلك أو يشير إليه ، إضافة إلى أن السلطان نفى هذه الاتهامات بشدة فى الرسائل التى بعثها إلى عبد الله خان أزبك حاكم ما وراء النهر وأشراف مكة المكرمة ، كما ذكرناه فى حينه ، ومما جاء فى رسالته إلى عبد الله خان هذه القطعة الرباعية (١) :

قيل إن الاله ذو ولد	قيل إن الرسول قد كهنا
ما نجا الله والرسول معا	من لسان الورى فكيف أنا

وكان عبد الله خان قد سمع أن أكبر قد ادعى الألوهية والنبوة ، فأوقف مراسلاته معه ، وبعد فترة استأنف حاكم ما وراء النهر اتصالاته مع السلطان ، مشيرا إلى أن سبب توقفه كانت تلك الإشاعات التى سمعها ، فكتب السلطان فى جوابه ينفى التهم المنسوبة إليه ، كما يؤكد جهانگير أن أباه لم ينحرف قدر شعرة عن التواضع والخشوع لله جل جلاله ، وكان يعتبر نفسه أقل مخلوق من المخلوقات ، ولم يغفل عن ذكر الحق لحظة واحدة (٢) ، وإذا صح أن بعض الناس قد نسبوا إليه دعوى النبوة أو الألوهية ، فإنه هو غير مسئول عن عقائد الناس والهنادكة الذين تعودوا أن يروا آلهتهم ، تسير على الأرض . (٣)

---

(١) عبد الصمد : مكاتبات علامى ، ص ١٣ .

(٢) محمد هادى : توزك جهانگيرى ، ص ١٧ .

(٣) إحسان حقى : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ١٦٩ .

كذلك لم يحاول السلطان حمل الناس على الدخول فى مذهبه الجديد ، فلم يلق بالا إلى رفض راجه بهگوانداس وراجه مانسنكه الاستجابة إلى دعوته ، ولا إلى احتجاج قائده وأخيه من الرضاعة مرزا عزيز كوكه ، برغم أنه كان بوسعه أن يحمل كثيرا من رجاله على الانتظام فى مذهبه ، وبالرغم من أن فريقا من الناس ، التفوا حول المذهب الجديد ، جلبا للنفع وطمعا فى اكتساب الحظوة فى الغالب ، فإن الفشل التام قد أصاب البادشاه فى مشروعه هذا الذى لم يكن ليقوى أبدا على هدم التقاليد الموروثة ، فلبثت الغالبية العظمى على استمساكها بعقائدها ومذاهبها . (١)

---

(١) أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية وحضارتهم ، ج ٢ ، ص ١١٠-١١١ .

إحسان حقى : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ١٦٩ .

ول ديورانت : الهند وجيرانها ، ص ١٤٣ .

وليام لانجر : موسوعة تاريخ العالم ، ج ٤ ، ص ١٤٣ .

رولان موسنييه : تاريخ الحضارات العامة ، ج ٤ ، ص ٥٩٢ .

إذا نظرنا إلى العلاقات التى كانت قائمة بين دولة أكبر وجارتيها ، توران وإيران ، نجد أن هذه العلاقات ، كانت مبنية على الحيطة والحذر مع الدولة الأزبكية فى ما وراء النهر أو توران ، وعلى أساس من الود والصداقة مع الدولة الصفوية فى إيران ، وكانت السوابق التاريخية وراء تلك الحيطة وهذه الصداقة ، إذ طرد الأزبك جد أكبر شاه من ما وراء النهر ، وحلوا محل التيموريين فى حكم تلك المناطق ، فى حين وقف الصفويون إلى جانب بابر شاه فى حروبه ضد الأزبك ، كما ساعدوا همايون شاه فى استعادة حكمه فى الهند .

كانت الرسل والرسائل تتبادل بين السلطان أكبر وزعماء هاتين الدولتين ، ولقد توترت العلاقات بين أكبر شاه والدولة الأزبكية فى ما وراء النهر ، وذلك بسبب استيلاء الأزبك على بدخشان التى كانت تتبع سلطان الهند اسميا ، ثم توفى محمد حكيم مرزا حاكم كابل ، وأصبح السلطان أكثر قلقا من نيات الأزبك التوسعية ضد كابل بوابة التورانيين إلى الهند ، فأسرع السلطان إلى بنجاب ليراقب من هناك التطورات ، وبدأ السلطان يستعد للمواجهة العسكرية وفى نفس الوقت استمرت الاتصالات السياسية بين الجانبين ، استطاعت أن تجنب الطرفين مخاطر الحرب بينهما ، وكانت المجاملات الدبلوماسية تتبادل فى رسائل الجانبين ، إلا أن قلق السلطان أكبر لم ينته من هذه الناحية إلا بعد وفاة عبد الله خان أزبك وحدوث الاضطرابات التى أعقبت وفاته ، وانقسام ملكه إلى ملوك الطوائف ، كما أوضحنا ذلك حين تناولنا علاقات أكبر الخارجية .

لقد كان أكبر شاه ، واقعيا في سياسته مع جارته الدولة الأزبكية ، اذ على الرغم من استيلاء الأزبك على بدخشان ، إلا أن السلطان رضى أن تكون جبال هندوكوه حدا فاصلا بين الدولتين ، وصرف السلطان كل همه بأن لا يتعدى الأزبك ذلك الحائل وأن لا يهددوا أمن كابل ، ونرى أن السلطان لم تكن عنده طموحات في إحياء دولة أجداده ، فيما وراء النهر ، بل كل همه كان في الهند وللهند ، واهتماماته بالتطورات في داخل توران ،كانت من منطلق الدفاع عن الهند ، فمن هنا أغمض عينيه عن التطورات التي حدثت في بدخشان ، وعطت للحفاظ على ما بعد بدخشان ، لأنها لم تكن على درجة من الأهمية بالنسبة لأمن الهند ، ولكنه لم يفرط في أمر كابل التي كانت تعنى الكثير بالنسبة لأمن الهند .

وأما علاقات السلطان بالصفويين ،فكانت علاقات ود واحترام وتعاون ، ولقد تنازل أكبر شاه عن قندهار لإيران ، تنفيذا للوعد الذى قطعه أبوه عند ما كان لاجئا هناك ، ولكنه عند ما تقدمت القوات الأزبكية إلى خراسان وأصبحت على مقربة من قندهار ، أسرع السلطان إلى استعادتها حتى لا تقع بأيدى الأزبك ويهددوا أمن دولته من هذه الناحية التي تعتبر بوابة إيران إلى الهند ، وفى ضوء ما قلناه من أن طموحات السلطان كانت تنحصر في الهند ، انتهج سياسة حيادية تجاه النزاع القائم بين الأزبك والصفويين وامتنع عن تأييد أى من الجانبين ضد الطرف الآخر ، وذلك على الرغم من الخصوصية

التاريخية بينه وبين الأزبك ، وعلى الرغم من أن قلقه من نيات الأزبك التوسعية ، جعله يوقف متابعته الشخصية لفتوحاته في الهند ، ويركز اهتمامه في الحفاظ على أمن كابل والمناطق الواقعة بينها وبين ولاية پنجاب .

يلاحظ أن السلطان أكبر يبدو في رسائله مع عبد الله خان أزبك ، أكثر تودداً له ويخاطبه كالند للند ، في حين تتضمن رسائله إلى الشاه عباس الصفوى ، تقديم النصح له وتوجيهه إلى ما يراه صوابا في تصريف مهام الحكم ، كذلك نرى أن أكبر يراعى في رسائله سنية عبد الله خان و شيعية الشاه عباس ، مع التأكيد والتركيز أو الدعوة الضمنية لمذهبه وهو التعايش السلمى بين الجميع ومحاولة التأليف بين مختلف الطوائف ، كما يلاحظ أن السلطان يقوم في رسائله تلك ، بسرد بعض الفتوحات والأعمال التي قام بها في توحيد ممالك هندوستان الفسيحة ، وكأنه نوع من المناورة والعرض للقوة ، حتى يحسب له جيرانه ألف حساب ، إن أرادوا في وقت ما ، المساس بسيادته وسلامة أراضيه ، ومن هذا كله يمكننا القول أن أكبر كان ناجحا في صياغة علاقاته الخارجية .

وأما عن علاقات السلطان أكبر بالدولة العثمانية ، فنرى أن المصادر التي توفرت لدينا ، تلتزم الصمت في هذه الناحية ، ومعنى هذا أن الدولتين لم تكن تربطهما علاقات الصداقة ، وحتى أننا لا نقرأ عن أية اتصالات تمت بين الجانبين على غرار ما رأيناه بالنسبة للأزابكة والصفويين ، وربما يفسر هذا الأمر

في ضوء العلاقات الحسنة التي كانت بين السلطان والصفويين الذين كانوا في نزاع مستمر مع العثمانيين ، وكذلك ربما تكون للخصومة التاريخية بين الجانبين أثرها في هذا الأمر ، لأن الأمير تيمور هجم على أملاك العثمانيين وهزمهم في معركة أنقره وأسر سلطانهم بايزيد ، وكذلك بسبب توسط الدولة الصفوية الشيعية بين الدولتين الكبيرتين : الدولة العثمانية في الغرب ، ودولة المغل الإسلامية في الهند ، كحاجز منيع مانع ، ولا شك أن ما أشرنا إليه من مشكلات الهند العويصة في عصر أكبر كان من أهم العوامل التي أجبرت أكبر على حصر علاقاته الخارجية بجيرانه الأقربين ، كما أن هذا يوضح أن المشرق الإسلامي لم يتجه إلى فكرة الوحدة لمواجهة الخطر الصليبي على حدوده الجنوبية ، الأمر الذي لو تم لتغير وجه التاريخ الحديث ومساره في العالم أجمع .

أما بالنسبة لعلاقات السلطان أكبر مع البرتغاليين والتى تناولناها فى فصل سابق ، فقد رأينا أن الوجود البرتغالى ، قد ثبت أقدامه فى بعض الموانئ الهندية ، قبل أن يصل أكبر شاه إلى حكم الهند ، وإذا أمعنا النظر فى هذه العلاقات نجد أنه على الرغم من المظاهر الودية التى تلاحظ بين أكبر والبرتغاليين ، إلا أن سلطان الهند ، كان ينوى جازما أن يحارب الوجود البرتغالى ويطرده من الموانئ الهندية والجزر القريبة من سواحلها ، ولكن الظروف والأوضاع الداخلية فى دولته لم تسمح له بذلك ، ونرى تصميم أكبر هذا واضحا فى الرسائل التى تبادلها مع عبد الله خان أزبك ، حاكم ماوراء النهر ، ففى إطار شرح نواياه ومشاغله الداخلية يكتب لعبد الله خان قائلا :

" بعد الفراغ من التأليف بين طوائف الهند ، نريد بعناية إلهية وهداية أزلية ، القيام بتطهير طريق الزائر والتاجر من مزاحمة كفار الإفرنج الذين وصلوا إلى جزر البحر المالح ، ويقومون بأعمال الفتنة والفساد ، ويتعدون على زائرى الحرمين الشريفين زادهما الله شرفا ، وهم جمع غفير ، وأصبحوا حجر الطريق للزائر والتاجر ، وأريد بتوفيق من الله التوجه بنفسى لأداء هذه المهمة ، حتى أحارب الإفرنج وأطهر طريق الزائر والتاجر منهم "(١) ، وكذلك يؤكد أكبر شاه هذا الموضوع فى رسالة جوابية أخرى إلى ملك توران (٢) ، ويشير السلطان المغلى فى رسالتيه المذكورتين ، أنه من الموانع التى تعيق عزمه

---

(١) عبد الصمد : مكاتبات علامى ، ص ١٤ .

(٢) توران : ما وراء النهر أو تركستان .

فى التوجه إلى محاربة الإفرنج فى المياه الهندية ،هى طلب حاكم إيران مساعدته ضد العثمانيين ،فيرى تلبية طلبه واجبا عليه ولن يتحرك إلى مكان آخر إلا بعد أن يطمئن خاطره من هذه الناحية (١) ، ويبدو أن هذا الموضوع ليس أكثر من تمويه وتبرير لوجود السلطان فى ولاية پنجاب ، لأن مساعدة كهذه لم تتم ، ومعلـــوم أن الأزابكة استولوا على بدخشان التى كانت من ممتلكات المغل ، فأقـــلق هذا الأمر أكبر شاه ،فترك جميع مشاغله فى غرب دولته وشرقها ، وتوجه إلـــى پنجاب واستقر فيها لعدة سنوات ليراقب الأوضاع عن قرب ، خاصة بعد أن توفـى أخوه محمد حكيم مرزا حاكم كابـل ،فخشى أكبر من تقدم الأزابكة إلى كابـل بوابـة الدخـول إلى الهند ، وكذلك كان عبد الله خان حاكم الأزابكة قد وصلته أنباء تفيد بأن سلطان الهند يريد التوجه إلى محاربة الأزابكة ،واسترداد بدخشان منهم ، ثم التقدم إلى سائر أملاكهم فى مناطق من خراسان وما وراء النهـــر ، ولقد رأينا فى الفصـل السابق أن أكبر شاه تشاور مع كبار رجالات دولته فى التوجه إلى ما وراء النهر أو التوجه إلى دكن فى الجنوب الهندى ، فاختاروا أخـــيرا التوجه إلى دكن بعد ما وصلتهم أنباء وفاة عبد الله خان وبعد الاطمئـــنان على الأوضاع فى كابـل وضمان ولائها لاكره ،فكون أكبر شاه يذكر فى رسالتـــه موضوع لزوم مساعدة إيران ضد العثمانيين ، معناه تمويه لعبد الله خان ، حتى لو صمم السلطان المغلى فى توجيه الحملة ضد ما وراء النهر ، يخدع حاكـــم الأزابكة بأنه ذاهب إلى العراق ، ومعنى هذا كله هو أن اهتمام أكبر شـــاه بتطورات الأوضاع فى كابـل وبدخشان وتخوفه من مقاصد الأزابكة التوسعيـــة

---

(١) عبد الصمـــد : مكاتبات علامى ، ص ١٥ ، ٢٣ .

فى الجنوب وخاصة أنهم استولوا على أجزاء كبيرة من خراسان ، جعله يستقر فى پنجاب لعدة سنوات ويقلل من اهتماماته بشئون دكن وكُجرات والوجود البرتغالى فى مياههما ،ولا ننسى انشغال معظم قواته فى فتوح الأقاليم الشرقية كبنكال وبهار وأوريسة ، ولا ننسى أيضا أن أكبر قد أزال من الوجود عدة دول أود ويلات ،ففى مثل هذه الحالة يجب أن تكون هناك فترة انتقالية لتدعيم الاستقرار وسيادة الدولة فى المناطق المفتوحة ، وهذا ما يتعذر تيسره فى عمر رجل واحد مثل أكبر الذى أسس دولة مترامية الأطراف، وقضى معظم سنوات حكمه فى الفتوحات أو القضاء على الاضطرابات والقلاقل وحركات العصيان التى كانت تقوم هنا وهناك ، وليس من السهولة أن تتدارك الأوضاع فى فترة وجيزة فى مثل هذه الدولة المترامية الأطراف وواسعة الأكناف والأطراف ، وخاصة بالنظر إلى وسائل المواصلات التقليدية فى ذلك العصر .

ومن ناحية أخرى أصبحت دولة أكبر تتاخم الوجود البرتغالى فى الساحل الغربى للهند بعد أن ضمت ولاية كَجرات إلى سلطة أكره ، ومعنى هذا أن كَجرات كانت الواجهة الوحيدة لمقاومة البرتغاليين ، أو الإعداد لمطاردتهم من المياه الهندية وموانئها ، وأثناء بحثنا فى الحوادث المتعلقة بفتح كَجرات والتطورات التى تلت ذلك الفتح ، رأينا أن كَجرات لم تشهد الاستقرار، بل كانت هناك اضطرابات وقلاقل تبرز من حين لآخر ، ورأينا أن فى بعض هذه الحالات فقدت الدولة سلطتها فى الولاية ، واضطر أكبر أن يعود إليها بنفسه

لإعادتها إلى حوزة دولته ،إضافة إلى حركات العصيان التى قادها بعض قواد الولاية وأمرائها السابقين ، وحتى قوافل الحجاج الذين كانوا ينوون السفر إلى الأماكن المقدسة فى الحجاز عن طريق البحر ، كانت تستلزم قوات من الجيش لحمايتها فى الطريق إلى ميناء سورت الكَجراتى ، ففى مثل هذه الحالة لا يعقل أن يخطط أكبر شاه لضرب البرتغاليين دون أن يأمن عن طريق الرجعة ووصول الإمدادات ، ومعلوم أن القوة العثمانية التى جاءت لمحاربة البرتغاليين ، لم تلق مساعدة من الكَجراتيين ، فاضطرت أن ترجع دون أن تقوم بزحزحة البرتغاليين ، وإضافة الى هذا كله فان معظم قوات البرتغاليين كانت متمركزة فى سواحل دكن وسواحل مليبار ، فلم يكن بالإمكان أن توجه إلى البرتغاليين ضربة قاضية فى مياه كَجرات ، ومراكزهم المحصنة فى سواحل دكن ومليبار ، تكون بعيدة عن هذه الضربات ، ومعنى هذا أن المخطط الذى كان يسير أكبر بمقتضاه ، كان مخططا بعيد المدى والآثار ، إذ بعد ضم دكن والجنوب الهندى كان يأتى دور محاربة البرتغاليين والقضاء عليهم ، وهذا ما لم يفلح عليه السلطان أكبر ، لأن فتوحاته لم تتجاوز جزءا داخليا من إمارة أحمد نكَر الدكنية ، ومعلوم أن ميناء گووه الذى أصبح مركزا للحاكم البرتغالى فى الموانئ الهندية ومياهها ، كان من توابع إمارة بيجاپور الدكنية ، وهناك رسالة وجهها أكبر شاه إلى برهان الملك حاكم أحمد نكَر ، يقول فيها : "إنه لو حالف التوفيق عادل خان حاكم بيجاپور ، وقطب الملك حاكم كَولكنده ، وسلكا طريق الطاعة ، فسوف يتسببان

فى فتح مواقع الإفرنج وسائر الموانىء التى سيطروا عليها (١) ، ومعنى هذا أن وجود الدويلات المتنازعة فى دكن وملييار ، ساعد على تثبيت أقدام البرتغاليين فى موانئها ومياهها ، فاذا أريد القضاء على البرتغاليين فيجب أن يزول ذلك المانع بتوحيد دكن وضمها إلى سلطة آكره ، وإضافة إلى هذا كان الوجود البرتغالى فى مليبار متحالفا مع بعض حكامها ، ما عدا السامرى حاكم كاليكوت ، ولا يمكن الوصول إلى مليبار إلا بعد أن يتم فتح دكن ، وفى أقصى الجنوب كانت إمارة بيجانكر (٢) الهندوكية والمتحالفة مع البرتغاليين (٣) والتى كانت فى نزاع دائم مع الإمارات الدكنية المسلمة ، فهذه كلها موانع وعقبات كبرى فى سبيل مقارعة البرتغاليين ، وكون أكبر كان يفكر جديا فى إزالة هذه الموانع ، معناه أنه تفهم طبيعة الأوضاع ، فكان تخطيطه سليما على الرغم من أن الأجل لم يمهله لينفذ كل ما خططه ، ولو اعتبرنا محتويات رسائل أكبر إلى حاكم ما وراء النهر وحاكم أحمد نكر كنوع من المجاملة ، فهناك رسالة أخرى بين صديقين حميمين من رجالات دولة أكبر ، وهما الشيخ أبو الفضل والحكيم همام ، والرسالة موجهة من أبى الفضل إلى الحكيم همام ، يذكره فيها بصداقتهما التى مضت عليها أكثر من إحدى عشرة سنة ، ومما قاله فى رسالته : بأن سيده أكبر

---

(١) عبد الصمد : مكاتبات علامى ، ص ٧٦ - ٧٧ .

(٢) تكتب هذه الإمارة فى المراجع العربية باسم : فيجا ياناجار .

(٣) عادل حسن غنيم : تاريخ الهند الحديث ، ص ٢٢ .

ك . م . پانيكار : آسيا والسيطرة الغربيه ، ص ٣٤ .

شاه كان ينوى التوجه إلى أراضى توران ، ولكنه تم الصلح بين الجانبين فانصرف من الذهاب إلى هناك ، وعزم على التوجه إلى إخضاع الجزر التى سيطر عليها الإفرنج (١) ، فذكر هذا الموضوع بين صديقين حميمين من كبار رجالات الدولة ، يعنى بأن أكبر شاه كان ناويا وعازما على محاربة البرتغاليين ، ولكنه فى نفس الوقت لم يجابههم دون أن يستعد لمثل هذه المجابهة استعدادا لازما ،وفى مقدمة الاستعدادات كان ضم دكن وما يليها جنوبا إلى الدولة وهذا ما لم يتم .

إذا نظرنا الى هذا الوضع وإلى علاقات أكبر بالبرتغاليين ، نجد أن أكبر شاه كان يماطل مع الوجود البرتغالى بانتظار إكمال مخططه فى الجنوب وتدعيم سلطته واستقرارها فى السواحل ، وكأن هذا السلطان المغلى نجح فى تحييد البرتغاليين لما يقوم به من فتوحات هنا وهناك .

وما يقال عن أن أكبر شاه لم يرتفع إلى المستوى المطلوب بالنسبة للسياسات والإستراتيجية العالمية (٢)، لا يبدو دقيقا فى ضوء ما ذكرناه من تفهم أكبر للخطر البرتغالى وتفهم الموانع التى تعيق أن يضرب البرتغاليين ضربة قاضية ، لأن دولة أكبر لم تصبح دولة بحرية ، حتى نطرح مسألة ارتفاعه إلى المستوى المطلوب من عدمه ، ولكن المخطط الذى كان يريد أكبر شاه السير فى إطاره ، كان مخططا فى هذا الاتجاه ، وواضح من مراسلات أكبر شاه مع حاكم ماوراء النهر

---

(١) عبد الصمد : مكاتبات علامى ، ص ١٩٧ - ١٩٨ .

(٢) عبد العزيز سليمان نوار : الشعوب الاسلامية ، ص ٥٢٩ .

بأنه تفهم جيدا ما يريده الوجود البرتغالي في المياه الهندية .(١)

لقد ذكر البعض بأن أكبر كان يطمع في الحصول على مساعدة البرتغاليين العسكرية (٢) ، ولكننا لا نجد أي ذكر لهذا الموضوع في المصادر المعاصرة والمتأخرة للدولة والتي تتوفر لدينا ، إضافة إلى أنه لا يعقل بأن يساعد البرتغاليون في إقامة دولة كبيرة قوية موحدة وازالة دويلات صغيرة ، بل على العكس من ذلك تكون مصلحة البرتغاليين في أن يروا دويلات صغيرة غيرمتآلفة يسهل عليهم التعامل معها كيفما شاؤوا ، وما جرى في مليبار هو خير شاهد لهذا الموضوع ،إذ بذل السامري حاكم كاليكوت كل ما في وسعه أن يوحد الكيانات الموجودة في مليبار ،ولكن البرتغاليين كانوا له بالمرصاد ، وعملوا كل ما في وسعهم لإفشال مثل هذه الخطوات الوحدوية ، وإضافه إلى هذا كان أكبر شاه أكثر قوه ونظاما وحيوية من خصومه الذين حاربهم وقضى على دويلاتهم ،فلم يكن بحاجة لمساعدة البرتغاليين في هذه الحالات ، بل كان بحاجة إلى تحييد البرتغاليين إزاء ما كان يدور بينه وبين خصومه ، وهذا ما نجح فيه إلى حد كبير ، وإضافة إلى هذا لو حدث أن طلب أكبر مساعدة البرتغاليين العسكرية أو أن البرتغاليين قدموا إليه فعلا مساعدات من هذا النوع ،لذكره مؤرخون من أمثال عبد القادر بدايوني مؤلف كتاب منتخب التواريخ الذى عاصر الأحداث والذى كان في فترة طويلة من المقربين لأكبر، وهو الذى لم يخش من أن يصرح في كتاباته ويبرز معتقدات أكبر المبتدعة ،

(١) عبد الصمد : مكاتبات علامى ،ص ١٤ ، ٢٣ .
(٢) جمال الدين الشيال : تاريخ دولة أباطرة المغل الإسلامية في الهند ،ص ٩٤ عبد العزيز سليمان نوار: الشعوب الإسلامية ، ص ٥٢٩ .

وذكر مسائل من هذا النوع واتهام السلطان بالانحراف عن جادة الدين القويم يكون أكثر خطرا والأجدر بالإخفاء من أن يبتعد عن ذكر مساعدة البرتغاليين العسكرية إلى أكبر شاه، ولقد ذكر بدايونى أن الإفرنج بدأوا يترددون على البلاط منذ عام ٩٨٣ هـ (١٥٧٥م) وأن قساوسة من هؤلاء قد اشتركوا فى الجلسات التى كان يقيمها أكبر شاه باشتراك علماء مختلف الأديان وفقهائها، وأنه أجلس ابنه الأمير مراد عند رجال الدين النصرانيين ليتلقى منهم دروسا، وأنه سمح لهم بأن يعملوا لنشر النصرانية فى الهند، وأن السلطان اعتنق بعض معتقداتهم[١]، وواضح أن الذى يجرؤ على ذكر مثل هذه المسائل لا يجبن عن ذكر مساعدة البرتغاليين العسكرية لأكبر شاه.

وفى ختام موضوعنا هذا، نؤكد من جديد أنه لو لم يكن تخوف أكبر من الأزابكة فى الشمال، والذى شغل باله وخططه لأكثر من عشر سنوات، وبالتالى لو سنحت له الفرصة بأن يركز اهتمامه فى خلال هذه السنوات، لفتح الجنوب الهندى وموانئه، لاتخذ موقفا حاسما ضد البرتغاليين، وذلك بعد توحيد الإمارات المتنازعة هناك، وبعد القضاء على الكيانات الساحلية المتواطئة مع الوجود البرتغالى، وقد توفى السلطان أكبر فى يوم الأربعاء الثالث عشر من جمادى الثانية سنة ١٠١٤ هـ/ اكتوبر ١٦٠٥م،

---

(١) عبد القادر بدايونى : منتخب التواريخ، ص ٢٠٥، ٢٢٣.

بعد حكم دام أكثر من خمسين سنة ، وكان عمره آنذاك قد ناهز الخامسة والستين (١) .

---

(١) محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ،ج ١ ، ص ٢٧١ .
سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٤٤٠ .
V.A. Smith : Akbar the Great Mogul, P. 234
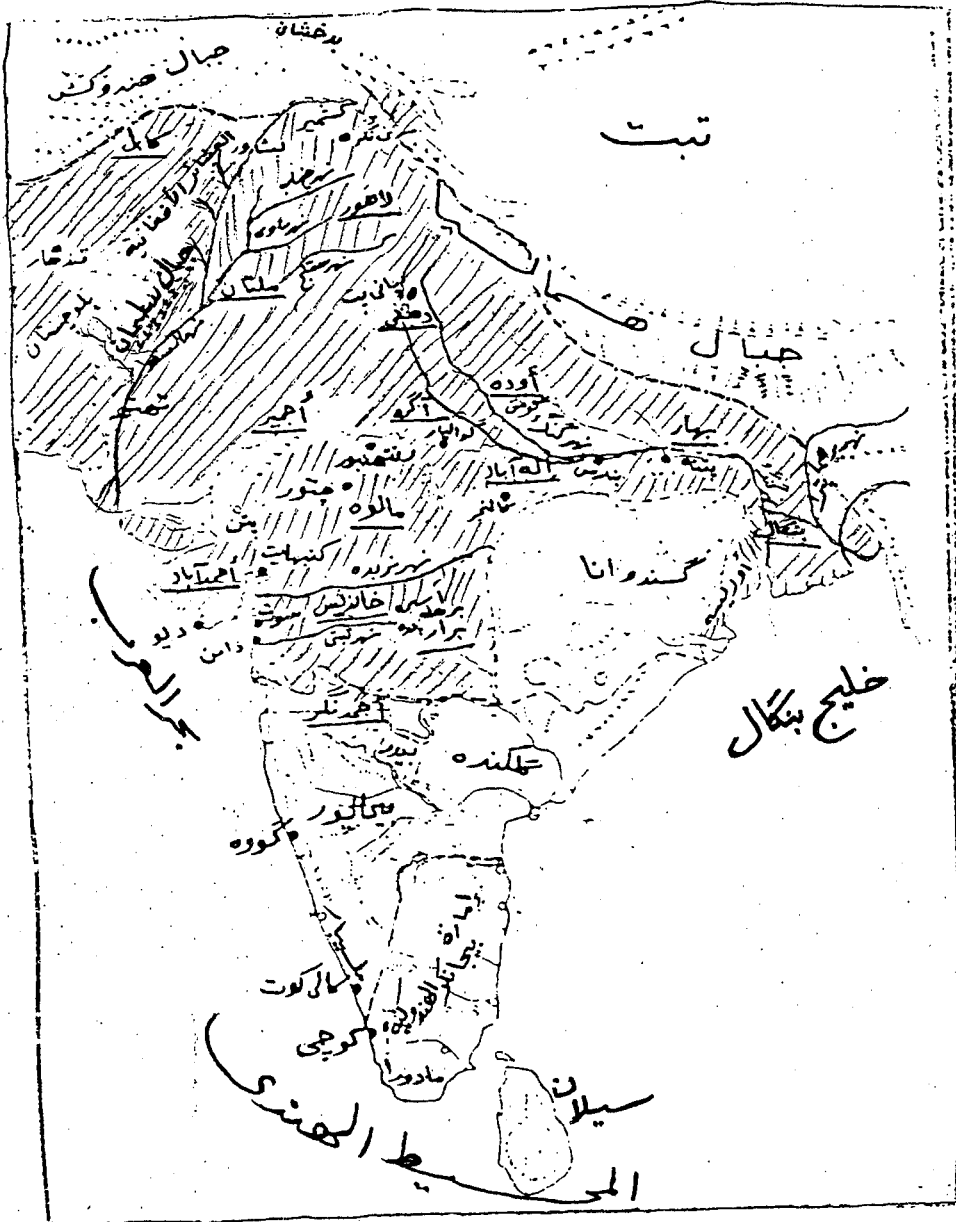
الدولة المغلية في نهاية عصر السلطان أكبر

(سنة ١٠١٤ هـ/١٦٠٥م)

Vincent A. Smith : Akbar the Great Mogul, P. 241
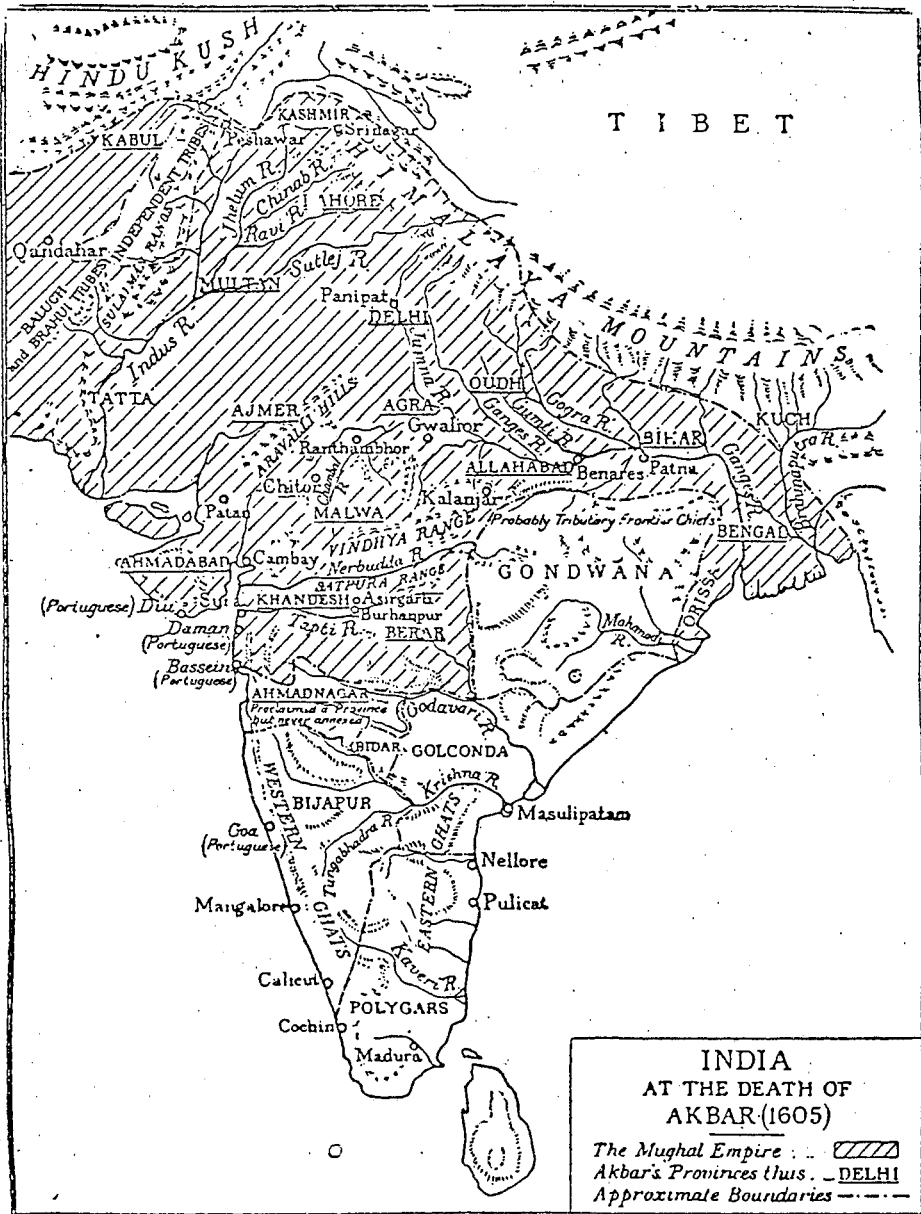
ملحق

المصادر والمراجع

ملحق

المصادر والمراجع

- مخطوطة عربية
- مصدران عربيان
- المراجع العربية
- المراجع المترجمة للغة العربية
- المخطوطات الفارسية
- المصادر الفارسية
- المراجع الفارسية
- المراجع الإنجليزية

مخطوطة عربية

١ - زين الدين المليبارى :

تحفة المجاهدين

يبدو من محتويات المخطوط ، بأن المؤلف عايش كثيرا من الأحداث التى يذكرها ، ومع صغر حجم المخطوط ،إذ لا يزيد عن سبع وأربعين ورقة إلا أنها مفيدة جدا ، فى التعرف على مجىء البرتغاليين إلى السواحل الهندية ، ونشاطاتهم وأعمال القرصنة البحرية التى كانوا يقومون بها .

ويركز المؤلف فى رسالته على كفاح السامريين حكام كالىكوت ،ضد الهيمنة البرتغالية ، وتكاد تكون معظم المعلومات الواردة فى هذا الصدد والموجودة فى المراجع العربية وغيرها ،ترجع إلى هذه الرسالة ، وذلك على الرغم من عدم الإشارة اليها ، فى قوائم المصادر والمراجع ، كما تتضمن الرسالة الأخبار المتعلقة بالبرتغاليين منذ مجيئهم إلى كالى كوت فى مطلع العصر الحديث ، وحتى سنة ٩٨٦هـ(١٥٧٨م) ، ويدعو فى أواخر مخطوطته أن يوفق الله أكبر شاه لطرد البرتغاليين .

والمخطوط محفوظ ضمن مجموعة يهودا العربية فى مكتبة جامعة برنستن بمدينة نيو جرسى الأمريكية ، تحت رقم ٣٩٢٠ وتوجد له نسخة مصورة تصوير ميكروفلم ، فى مكتبة ميكروفلم التابعة لمركز البحث العلمى وإحياء التراث الإسلامى فى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، تحت رقم ٥٧٥ (تاريخ وتراجم) .

مصــــدران عربيـــــان

٢ - أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى (ت ٦٢٦ هـ/١٢٢٨م) :

معجم البلـــدان (١)

دار الكتاب العربى ، بيروت ، بدون تاريخ .

٣ - أحمد بن محمد بن عبد الله المعروف بابن عربشاه (ت٨٥٤هـ/١٤٥٠م) :

عجائب المقدور فى أخبار تيمور

لاهور ، ١٨٦٨م.

---

(١) استفيد منه فى التعرف على بعض الأماكن .

المراجـــع العربيـــة

٤ - إبراهيم أحمد العدوى :
التاريخ الإسلامى ، آفاقه السياسية وأبعاده الحضاريـة .
مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

٥ - إبراهيم جمعـــة :
جداول تحويل السنين الهجرية إلى ما يقابلها من التواريخ الميلاديـة .
دارة الملك عبد العزيز ، الرياض ، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

٦ - أبو صالح الألفـى :
الفن الإسلامـى
ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٧٤م.

٧ - إحسان حقـى :
تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانيـة .
بيروت ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

للمؤلف آثار عربية عديدة ، بعضها من تأليفه وبعضها مترجم من قبله ، بعضها تاريخية وبعضها الآخر فى مسائل أخرى من المعرفة .
والمؤلف يمـر فى كتابه (تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية) على تاريخ الهند منذ أقدم العصور وإلى الحرب العالمية الثانيـة وتقسيم الهند إلى دولة هندوكية ودولة مسـلمة ، وهو كتاب تاريخـى موجز مفيد ، وينقصه عدم الإشارة إلى المصادر والمراجع ، لا فـى

الهوامش ولا في آخر الكتاب ، مع أنه يجزم في بعض المسائل التاريخية المختلف فيها ، فيقول : أعتقد ، أنفي ، نؤيد وغير هذه الألفاظ ومع هذا فمن خلال دراسة الكتاب ومقارنته بالمصادر والمراجع الأخرى يتضح أن المؤلف اطلع على المراجع .

ويبدو أن المؤلف يجيد اللغة الأردية ، حيث يكتب أسماء الأماكن والأشخاص صحيحة إلى حد بعيد ، وهو الذى ينقص كثيرا من المراجع العربية .

٨ - أحمد حسين :

تاريخ الإنسانية .

دار القلم ، القاهرة ، ١٩٦٥م .

٩ - أحمد حسين :

موسوعة تاريخ مصر .

جـ ٢ ، دار الشعب ، القاهرة ، ١٩٧٠م .

١٠ - أحمد السعيد سليمان :

تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة .

جزءان ، مطابع دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ١٩٧٢م .

حرر هذا الكتاب لأول مرة العالم الانجليزى ستانلى لين بول ، وظهرت طبعته الأولى فى لندن سنة ١٨٩٣م ، ونقله بعد ذلك إلى اللغة الروسية بارتولد ، ثم نقله إلى التركية العالم التركى خليل أدهم - نقلا موسعا . ولقد كان عدد الدول التى درسها لين بول مائة وثمانى عشرة دولة ، فبلغ فى كتاب أدهم مائة وإحدى وثمانين دولة .

ولقد لاحظ المترجم إلى اللغة العربية ، التغيرات التى حدثت فى العالم الإسلامى منذ سنة ١٩٢٧م وهى السنة التى طبع فيها النص التركى ، فذكرت هذه التغيرات فى مواضعها ، إما فى فقرات وإما فى فصول كاملة ، فارتفع بها عدد الدول إلى ثمانى ومائتى دولة .

١١- أحمد شلبى :
أديان الهند الكبرى .
ط ٥ ، القاهرة ، ١٩٧٩م.

١٢- أحمد محمود الساداتى :
تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها .
دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٩م.

مؤلف الكتاب باحث معروف ، وله عدة مؤلفات فى التاريخ والأدب ، كما ساهم وترجم بعض الكتب من الفارسية وغيرها إلى العربية .
وفى كتابه هذا يبحث بإيجاز عن التاريخ الإسلامى ، لشبه القارة الهندية وإيران وبلاد ما وراء النهر وأفغانستان وتركيا ، وذلك منذ دخول الإسلام إلى هذه البلاد وحتى التاريخ المعاصر لها .

١٣- أحمد محمود الساداتى :
تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية وحضارتهم .
جزءان ، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز ، ١٩٨٠م.

والجزء الثانى من هذا الكتاب يبحث فى الدولة المغلية وسلاطينها ، بدءاً ببابر وانتهاءاً بالاحتلال البريطانى ثم قيام دولة باكستان ،

وكذلك يتضمن الكتاب النواحى الحضارية للدولة المغلية ، ولقد استفاد المؤلف فى دراسته ، من المراجع الفارسية والعربية والأوربية .

١٤- أنور الجندى :
العالم الإسلامى ، والاستعمار السياسى والاجتماعى والثقافى .
دار الكتاب اللبنانى ،بيروت ، ١٩٧٩م.

١٥- بدر الدين عباس الخصوصى :
دراسات فى تاريخ الخليج العربى والمعاصر .
ج ١ ، ط ٢ ، ذات السلاسل ، الكويت ، ١٩٨٤م.

١٦- حسن إبراهيم حسن :
تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى .
ج ٢ ، ط ٩ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٠م.

١٧- جلال يحيى :
العالم الإسلامى الحديث والمعاصر.
ج ١ ، المكتب الجامعى الحديث ، الإسكندرية ،١٩٨٢م.

يشمل الجزء الأول من هذا الكتاب دراسة تاريخ العالم الإسلامى ، منذ فتح القسطنطينية عام ١٤٥٣م على يدى محمد الفاتح ، حتى نهاية القرن الثامن عشر .

١٨ - جمال الدين الشيال :

تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية فى الهند .

منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٦٨م .

الكتاب من عشرة فصول ، أرخ المؤلف فيها لأباطرة الدولة المغلية العظام : بابر وهمايون وأكبر وجهانكير وشاه جهان وأورنكزيب ، كما خصص فصلا لشير شاه وخلفائه ، وفصلا آخر للشيخ أحمد سرهندى وحركته التجديدية كمجدد للألف الثانية ، ويتضمن الكتاب أيضا بعض الصور التوضيحية للأباطرة وأضرحتهم وبعض الخرائط .

واهتم المؤلف بعصر أكبر اهتماما بالغا ، حيث خصص أربعة فصول من كتابه لدراسة ما يتعلق بأكبر وعصره ، كما يشمل الكتاب تحليلات وتفسيرات قيمة ، وهو مفيد فى بابه للطلبة والمختصين مع صغر حجمه ، ولقد استفاد المؤلف فى كتابه هذا من المراجع العربية وغير العربية ، ولكن غالبيتها مراجع أوربية ، ويبدو أن المراجع العربية فى ذلك الوقت لم تكن إلا نادرا ، فيعتبر كتاب الأستاذ هذا ، من المراجع العربية الأولية فى هذا الباب .

١٩ - دولت صادق :

جغرافية العالم

ج ١ ، القاهرة ، ١٩٥٩م .

٢٠ - زكى محمد حسن :

فنون الإسلام

القاهرة ، ١٩٤٨م .

٢١ - سعاد ماهـــر :
البحرية فى مصر الإسلامية وآثارها الباقيـة .
دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٧م.

٢٢ - شكيب أرســلان :
حاضر العالم الإسلامـى
ج ٤ ، ط ٤ ، دار الفكر ،بيروت ،١٣٩٤هـ/١٩٧٣م.

يتضمن الكتاب موضوعات متنوعة فى التاريخ الإسلامى الحديث ، ومما تضمنه " تاريخ الممالك الإسلامية الهندية " والذى ذكر فيه موجز تاريخ الإسلام فى الهند ، منذ الفتوحات الإسلامية الأولى ، إلى أن سيطر الإنجليز على الهند وقضوا على آخر سلاطين المغل .

وفيما يتعلق بتاريخ الدولة المغلية فى الهند ،فقد أفاض المؤلف فيه ، وخاصة فيما يتعلق بعصر أكبر ، ولقد قدم المؤلف فى كتابه تحليلات قيمة ، ورد على بعض الاتهامات التى تصدر عن عدد من المستشرقين ضد الإسلام وملوك المسلمين ، وذلك فى أسلوب شيق رائـع .

٢٣ - عادل حسن غنيم وعبد الرحيم عبد الرحمٰن عبد الرحيم :
تاريخ الهند الحديـث
مكتبة الخانجي بمصـر ، ١٩٨٠م.

يشتمل الكتاب على ثلاثة أبواب : الباب الأول فى الهند والغرب ، والباب الثانى فى الدولة المغلية والباب الثالث فى الهند من الثورة إلى الاستقلال ، كما يتضمن كل باب عدة فصول ، بحث المؤلفان خلالها تاريخ الهند الحديث ، ومع أن الكتاب ربما يكون أحدث مؤلف عربى فى موضوعه ، إلا أنه لا يبدو أكثر من تلخيص لمراجع عربية سابقة .

٢٤ - عبد الحي الحسني : (ت ١٣٤١هـ/١٩٢٣م) :
الهند في العهد الاسلامي
دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢
بدأ المؤلف كتابه بالكلام عن جغرافية الهند وكورها وأشهر مدنها وقراها في الدولة الإسلامية ، ثم كتب عن ظهور الإسلام بأرض الهند وأخبار ملوكها من الدولة الغزنوية ومن أتى بعدها حتى الثورة الهندية (١٨٥٧م) كما كتب المؤلف عن النظم والحضارة الإسلامية بالهند ، والكتاب مفيد في موضوعه خاصة في التعرف على كور الهند وأشهر مدنها ، ولقد ألحق بالكتاب نجل المؤلف تذييلا ، إكمالا للأحداث الأخيرة حتى استقلال الهند .

٢٥ - عبد العزيز سليمان نوار :
الشعوب الإسلامية
دار النهضة العربية ،بيروت ، ١٩٧٣م.
يبحث الكتاب في التاريخ الحديث للأتراك العثمانيين والفرس ومسلمي الهند ، منذ القرن الخامس عشر وحتى أوائل القرن العشرين .

٢٦ - عبد القادر أحمد اليوسف :
العصور الوسطى الأوربية .
المكتبة العصرية ،بيروت ، ١٩٦٧م.

٢٧ - عبد المتعال الصعيدي :
المجددون في الإسلام من القرن الأول إلى الرابع عشر ،
ط ٢ ، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز ، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م.

٢٨ - عبد المنعم النمـــر :

تاريخ الإسلام فى الهند

دار العهد الجديد للطباعة ، القاهرة ، ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م

قضى المؤلف سبعة وعشرين شهرا فى الهند ، منتدبا من قبل الأزهر والمؤتمر الإسلامى ، وكرس فيها الكثير من وقته لهذا الكتـــاب ، فجاء كتابه متضمنا نبذة عن جغرافية الهند وتاريخها القديم ، ثـم تاريخها الإسلامى ، من أيام فتوحات محمد بن القاسم الثقفى إلى ثورة ١٨٥٧م ضد الإنجليز ، والكتاب مفيد جدا فى معرفة تاريخ الهنـد الإسلامى ، وكتبه المؤلف بأسلوب سهل وشيـق ، ولقد استفـاد المؤلف فى كتابه هذا ، من المراجع الأردية بحكم وجوده فترة طويلـة فى الهند ، ونال فى ذلك مساعدة أساتذة جامعة ديوبند الإسلامية وتلاميذها ، بالإضافة إلى رجوعه إلى المراجع العربية التى ذكرهـا فى الهوامش فقط ، فجاء كتابه هذا مميزا عن كثير من المراجع العربيـة التى اقتصرت فى معظمها على المراجع الأوربية ، كما يتضمن الكتـاب هوامش قيمة فى التعريف بالأعلام والأماكن ، ويبدو أن الكتاب من أوائل المراجع العربية الحديثة فى موضوعه .

٢٩ - عبد المؤمـن السيد أكرم :

أضواء على تاريخ تـوران .

ط ٢ ، مطبعة رابطة العالم الإسلامى ، مكة المكرمة ، ١٣٩٩هـ .

الكتاب عبارة عن دراسة موجزة لتاريخ ما وراء النهر ، ومؤلفه من الأسرة المالكة التى حكمت تلك الأقطار الشاسعة حقبة من الزمان ، إلـى أن احتلت من قبل الروس ، وأصبح المؤلف مهاجرا إلى مكة المكرمـة ، ولقد استفاد فى تأليفه من بعض المصادر الفارسية ، إضافة إلى معايشته

لبعض الحوادث التي يذكرها ، والكتاب مفيد في التعرف على تاريخ تركستان ، وخاصة فيما يتعلق بتاريخها المعاصر .

٣٠ - علي حسون :
الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية .
المكتب الإسلامي ، دمشق ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

٣١ - محمد صالح ضرار :
تاريخ سواكن والبحر الأحمر .
الدار السودانية للكتب ، الخرطوم ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

٣٢ - محمد كمال الدسوقي :
الدولة العثمانية والمسألة الشرقية .
دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٦م .

٣٣ - محمد فؤاد شكري ومحمد أنيس :
أوربا في العصور الحديثة .
ج ١ ، ط ٢ ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦١م .

٣٤ - محمد فريد :
تاريخ الدولة العلية العثمانية .
دار الجيل ، بيروت ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .

٣٥ - نعسيم زكي فهمي :

طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب .

(أواخر العصور الوسطى)

الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م

٣٦ - يوحنا أفندي أبكاريوس :

قطف الزهور في تاريخ الدهور .

ط ٢ ، بيروت ، ١٨٨٥م .

المراجع المترجمة للغة العربية

٣٧ - أئمـــة المستشرقين فى العالـــم :

دائرة المعارف الإسلاميـــة

ج ٤ ، دار الشعب ، القاهرة ، ١٩٣٣م.

كتب المطالب الخاصة بالسلطان أكبر ، أ. س. بيفردج و ج. كولن ديفز ترجمها إبراهيم زكى خورشـيد .

٣٨ - أحمد حمـود المعمرى :

عمـان وشرقى إفريقيـــة

مطابع سجل العرب ، مسقط ، ١٩٨٠م.

ترجمة : محمد أمين عبد الله .

٣٩ - أرمنيوس فامـبرى :

تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر.

مطابع شركة الإعلانات الشرقية ، بدون تاريخ ،

ترجمه وعلق عليه : أحمد محمود الساداتى .

راجعه وقدم له : يحـيى الخشـــاب

مؤلف الكتاب مستشرق مـجرى ، عاش فى القرن التاسع عشر ، واشتهر بكتابته عن البلاد الشرقية عامة والتركية بوجه خاص .

ويتناول الكتاب تاريخ بخارى منذ أقدم العصور وحتى عام ١٨٧٠م ،
كما جاءت الترجمة فى أسلوب عربى شيق إضافة إلى أن المترجم زود

الترجمة بأكثر من مائة حاشية ، تناول في بعضها شرح النقاط التاريخية التي تركها المؤلف دون توضيح ، وعرض في بعضها الآخر آراء المؤرخين الثقاة فيها ، وأثبت في ذلك كله أسماء المراجع الأصلية التي رجع إليها ، كما حقق الأعلام وأسماء الأماكن راجعا إلى المصادر الرئيسية في ذلك عربية وفارسية وتركية .

٤٠ - أرنست كونل :
الفن الإسلامي ،
بيروت ، ١٩٦٦م
ترجمة : أحمد موسى .

٤١ - أرنولد ت . ويلسون :
الخليج العربي .
مكتبة الأمل ، الكويت ، بدون تاريخ
نقله إلى العربية وقدم له : عبد القادر يوسف .

٤٢ - ج . ج . لوريمر :
دليل الخليج (القسم التاريخي)
ج ١ ، مطابع علي بن علي ، الدوحة ، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م
طبعة جديدة معدلة ومنقحة ، أعدها قسم الترجمة بمكتب أمير دولة قطر .

٤٣ - رولان موسنييه :

تاريخ الحضارات العامة ،

ج ٤ (القرن السادس عشر والسابع عشر) ، بيروت ، ١٩٦٦م

نقله إلى العربية : يوسف أسعد داغر ، وفريد م داغره

٤٤ - غوستاف لوبون :

حضارات الهند

دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م

نقله إلى العربية : عادل زعيتره

يتضمن الكتاب جغرافية الهند الطبيعية والبشرية ، وموجز تاريخ الهند القديم والوسيط وحتى تاريخها المعاصر ، كما يشمل على تطور الحضارة في الهند ، منذ أقدم العصور ، إلى حضارة العصر الإسلامي للهند ، كما يذكر الآثار التي تركتها حضارات الهند من لغات وآداب و بيان وعلوم وفنون .

وفيما يتعلق بموضوع بحثنا ، فالكتاب مفيد في معرفة جغرافية الهند ، لأن المؤلف جال أنحاء الهند المختلفة ، ثم كتب بعد قراءة ومشاهدة ، وحاول الدقة في كتابة أسماء الأماكن والأشخاص ، صحيحة كما تنطق عند أهلها . ويلاحظ أن المؤلف يمر مرورا سريعا فيما يتعلق بالتاريخ الإسلامي للهند ، وكذلك بالنسبة للحضارة الإسلامية في شبه القارة الهندية .

٤٥ - ك . م . پانيكار :

آسيا والسيطرة الغربية

القاهرة ، ١٩٦٢م .

ترجمه : عبد العزيز توفيق جاويد ، وراجعه : أحمد خاكي .

٤٦ - م . س . ديماند :

الفنون الإسلامية

القاهرة ، ١٩٥٤ م

ترجمه : أحمد محمد عيسى

٤٧ - ول ديورانت :

قصة الحضارة

الجزء الثالث من المجلد الأول : الهند وجيرانها ،

ط ٣ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ،

١٩٦٨م.

ترجمة : زكي نجيب محمود

مع شهرة المؤلف العلمية ، إلا أنه في كتابه هذا ، يتحامل على الفتح الإسلامي للهند ، ويستعمل أفضل التفضيل في وصف هذه الفتوحات ،بالوحشية والدموية وغير هذه الأوصاف السيئة ، ونسي أوتناسى أن المسلمين تركوا آثارهم الخالدة في الهند وحضارتها ، مما أوضحه كبار مثقفي الهند من غير المسلمين أيضا .

ومع أن المؤلف يقصر في معرض حديثه عن سلاطين دهلي ،وبيان آثارهم الإصلاحية ، ويكتفي بالإشارة العابرة إليهم وإلى أتباعهم ، إلا أنه أطال الكلام في بحثه عن عصر أكبر ، ممتدحا إياه ، كما أن كتابه مفيد في معرفة جغرافية الهند وتاريخها القديم وحضاراتها القديمة .

٤٨ - وليام لانجر :

موسوعة تاريخ العالم

ج ٤ ، القاهرة ، ١٩٦٣م.

أشرف على الترجمة : محمد مصطفى زيادة

ويعتبر المؤلف من مشاهير العلماء في الولايات المتحدة

الأمريكية .

٤٩ - هـ . ج . ولز :

معالم تاريخ الإنسانية

ج ٣ ، ط ٣ ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ،

١٩٧٢م.

ترجمة : عبد العزيز توفيق جاويد .

المصادر الفارسية

(المخطوطة والمطبوعة)

المخطوطات الفارسية

٥٠ - بهگو أنداس :

تاريخ آباء وأجداد شاه جهان .

ألف المخطوط فى سنة ١٠٣٨هـ/١٦٢٨م ،ويتميز بأنه من تأليف رجل هندوكى ، ويبين المؤلف فيه ، أحوال أسلاف شاه جهان ، من الأمير تيمور وحتى السلطان جهان گير .

والمخطوط محفوظ بمكتبة جامعة بنجاب بلاهور ، تحت رقم ١١٤٤/ ٤١٩٧ .

٥١ - سليم شاه الهندى :

تاريخ أكبر شاه

إن هذا المخطوط قد كتبه جها نگير ابن أكبر وخليفته ، وهو ليس تاريخا لأكبر بقدر ما هو شرح لوقائع بعض سنى حكم جهانگير ، ولكنه يستعرض أثناء الكلام عن إجراءاته ، وقائع تتعلق بعصر أبيه . ولقد كتب هذا المخطوط المذهب ، بخط فارسى جميل ، ويبدو أن المخطوط أخذ خطأ اسم تاريخ أكبر شاه واسمه الصحيح هو توزك جهانگيرى وقد طبع بهذا الاسم ، مضافا إليه ما كتبه محمد هادى عن بقية أيام حكم جهانگير ، ونظرا لأن المخطوط هذا ينفرد بمعلومات لم نجدها فى المطبوع ،قررنا الاستفادة منه .

والمخطوط محفوظ بمكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة تحت رقم ٥٣ ، وهو بدون تاريخ .

٥٢ - لالـه سيل چند :

تفريح العمارات

ولقد ألف هذا المخطوط فى العصر الإنجليزى ، ويبدو من اسم المؤلف أنه من الهند وكيين ، ويتركز معظم فقرات المخطوط ، فى التعريف بالعمارات والمبانى التى بناها أكبر أو أمراؤه فى مدينة آكره ، وكذلك يتعرض المؤلف لتعريف بعض العمارات التى بنيت فى عهدى جهانكير وشاه جهان .

وبالنسبة لعصر أكبر ، فإن المؤلف يعرف القصور الخاصة بأمراء السلطان أكبر ، من أمثال خان خانان منعم خان وراجه تودر مل ، وأبو الفضل وغيرهم ، كما يشير المؤلف إلى أسواق المدينة وشوارعها وحدائقها وخاناتها وحاراتها وغير ذلك .

ولا يحمل المخطوط تاريخا لنسخه ، وهو محفوظ بمكتبة جامعة پنجاب بلاهور ، تحت رقم ١٥٣٠ / ٨٢ / ٤٠ .

٥٣ - محمد عبد الله خان :

تذكرة فى سير آكره

تم تأليف هذا المخطوط فى ذى الحجة عام ١٢٧٧ هـ / ١٨٦١ م ، ويتضمن بعض أحوال سلاطين المغل ، من بداية بابر شاه إلى نهاية أيام بهادر شاه ، كما يشمل المخطوط على ذكر سلطنة اللوديين الأفغان ، وأحوال عدد من الرئاسات ، وبداية تأسيس عدد من المدن مستفيدا فى ذلك من كتب تاريخية سابقة ومعاصرة ، كما تحدث

المؤلف عن العصر الإنجليزى فى الهند الذى كان يعايشه .

والمخطوط محفوظ فى مكتبة جامعة پنجاب بلاهور ، تحت رقم ٨١٣/٣٨٤٦ .

٥٤ - محمد على خان أنصارى (ت ١٢٠٦هـ) :

تاريخ مظفرى

إن المؤلف شيعى ، ولقد ألف المخطوط هذا فى سنة ١٢٠٢هـ .
ويبحث المخطوط فى تاريخ سلاطين المغل ، وقد سماه بتاريخ مظفرى نسبة إلى معين الدولة خان خانان سيد محمد رضا مظفر جنگ ، الذى يبدو أنه كان فى مقدمة كبار الأمراء أثناء حكم عالم شاه (١١٧٣هـ/١٢٠٢هـ (١٧٥٩ - ١٧٨٨م) ، الذى يعتبر المؤلف ذكر وقائع سلطنته ، العلة الغائية لتأليف هذا الكتاب .

والمخطوط موجود فى مكتبة جامعة پنجاب بلاهور ، تحت رقم ٣٧١/٣٣٧٥ .

٥٥ - محمد هاشم خوافى خان (ت ١١٤٤هـ) :

منتخب اللباب

ج ٢ .

لقد تم تأليف المخطوط فى سنة ١١٣٣هـ ، وخصص الجزء الثانى منه فى بيان أحوال سلسلة التيموريين فى الهند ، منذ أيام بابر شاه وحتى سنة ١١٣٣هـ فى أيام أبى المظفر ناصر الدين محمد شاه (١١٣١ - ١١٦١هـ/١٧١٩-١٧٤٨م) ، وهى فترة قرنين من الزمان .
والمخطوط محفوظ بمكتبة جامعة پنجاب بلاهور ،تحت رقم ١١٣٥/٤١٨٨

٥٦ - مولوى عبد الكريم :

زبدة التواريخ

لقد عاش المؤلف في أواخر القرن الثاني عشر الهجرى ومخطوطه عبارة عن موجز لتاريخ سلاطين دهلى ، لخصه من كتب تاريخية سابقة .
والمخطوط محفوظ فى مكتبة جامعة پنجاب بلاهور ، تحت رقم ٣٧٤٧/٧١٤ .

٥٧ - مؤلف مجهول :

تاريخ هندوستان

إن هذا المخطوط عبارة عن خلاصة لتاريخ الهند منذ أقدم العصور ، وإلى عهد جهانكير ابن أكبر ، ويركز المؤلف فى المخطوط هذا ، على تاريخ سلاطين دهلى ، ويبدأ المخطوط بمقدمة للتعريف بالهند جغرافيا .

والمخطوط موجود بمكتبة جامعة پنجاب بلاهور ، تحت رقم ٣٨٥٢/٨١٩ .

المصادر الفارسية

٥٨ - أبو الفضل علامي (ت ١٠١١ هـ) :

آئين أكبري

ثلاثة أجزاء ، مطبعة نول كشور ،لكهنو ، ١٨٦٩م

يقع الكتاب في ثلاثة أجزاء ضخمة ، وهو عبارة عن دائرة المعارف الهندية ، تتضمن علوم ومعارف الهنود المسلمين منهم والهندوكيين ، كما يشير إلى عقائد أهل الهند ، ونظم السلطان أكبر وتشريعاتها ، وغيرها من معارف عامة وفنون وحرف وصناعات في ذلك العصر.

٥٩ - أبو الفضل علامي (ت ١٠١١هـ) :

أكبر نامه

ثلاثة أجزاء ، مطبعة نول كشور ،لكهنو ، ١٢٨٤هـ .

يذكر المؤلف أنه ألف كتابه هذا في أحوال أكبر وفتوحاته ، وبدائع محافله وغرائب معاركه ، وشرائف عاداته ولطائف عاداته ، بصدق وبدون تكلف ، كما يصرح بأنه استفسر في هذه الناحية عن الشيوخ والشباب الذين صاحبوا الأسرة الحاكمة ، وكذلك استجمع المسودات والمذكرات الموجودة بحوزة البعض في مختلف أنحاء البلاد ، ويشير المؤلف أيضا أنه كان يسمع السلطان ما يكتبه ، كما يذكر أنه استفاد في كتابه أيضا ، من المراسيم الصادرة من قبل أكبر ، ومن عرائض أعيان الدولة وكبار رجالها الذين شرحوا فيها أحوال الولايات .

والمؤلف يعتبر مؤرخ البلاط وكاتب سر السلطان أكبر ، وكتابه هذا أكثر الكتب تفصيلا في موضوعه ، وهو يشتمل على ثلاثة أجزاء ،

يختص الجزء الأول منه فى مسائل تتعلق بولادة أكبر ، ثم يبدأ المؤلف بذكر أحوال آدم عليه السلام ، متتبعا أجداد أكبر إلى زمن همايون ، والجزءان الثانى والثالث ، يشتملان على أحوال أكبر ودولته ، وهذان الجزءان يحتويان على أكثر من ألف وثلاثمائة صفحة من المقياس الكبير ، وكلها فى تاريخ أكبر حتى وفاة المؤلف .

وكان المؤلف مقربا جدا من السلطان ، وهو يغلو كثيرا فى مدح أكبر ، ومن هنا يجدر أن ينظر إلى بعض كتاباته بنظرة الحيطة .

٦٠ - بايزيد بيات :

تذكرة همايون وأكبر .

طبعة بيست مشن ، كلكته ، ١٣٦٠هـ/١٩٤١م .

يتضمن الكتاب أربعة فصول ، يتناول المؤلف من خلالها ، موجزا لتاريخ همايون منذ أن طرد من الهند وإلى أن رجع اليها مظفرا ، وموجزا لتاريخ أكبر ، حتى أواخر عهده .

إن المؤلف أمى ، وقد تولى مناصب فى عهد اكبر ، ومنها رئاسة شئون المطبخ ، وأقدم الى إملاء مذكراته ، بناء على أوامر من أكبر التى كانت تقضى بتسجيل كل ما يتذكره أحد من أيامه وأيام أبيه وجده .

ويعترف المؤلف بأنه قد أدركته الشيخوخة ولم تكن لحافظته مقدرتها السابقة ، ومع هذا يؤكد فى آخر كتابه بأنه لم يدرج فى كتابه كذبا وما يخالف الحقيقة .

والكتاب فى حقيقته مذكرات تاريخية ، عايش المؤلف ما يذكره

من الأحداث ، وللكتاب قيمته التاريخية ، لمعاصرته لموضوع بحثنا من جهة ، ولأن الأمي قد يكون أكثر أمانة في النقل التاريخي ، لبساطته وبعده عن التعقيد ، واستخدام الاستعارات وما شابه ذلك .

٦١ - سجان راى بهنداري :

خلاصة التواريخ

مطبعة جي ايند سنس ، دهلي ، ١٩١٨م .

إن الكتاب قد ألف في السنة الأربعين من حكم السلطان أورنكزيب ، وهي سنة ١١٠٧هـ/١٦٩٥م ، وقد قضى المؤلف سنتين في تأليف الكتاب وترتيبه ، ويتضمن الكتاب موجزا في جغرافية الهند الطبيعية والبشرية والاقتصادية ، وأحوال راجوات الهند ، ثم يبدأ في بيان حالات سلاطين الإسلام منذ أيام سبكتكين (٣٦٦ - ٣٨٧هـ) / (٩٧٧-٩٩٧م) وإلى بداية عصر أورنك زيب (١٠٦٩ - ١١١٨هـ/١٦٥٩ - ١٧٠٧م) ويذكر المؤلف ، أنه منذ بلوغه سن الرشد ، كان يلازم ناظمي أمور المملكة والمال ، وكان يتولى حرفة التحرير ، وبمقتضى اشتغاله بهذا الفن ، اطلع على كثير من كتب التاريخ ، ويذكر في هذا الصدد قائمة للمصادر التاريخية التي اطلع عليها ودون منها مؤلفه هذا .

ومما يميز الكتاب ، أنه كتب من قبل مؤرخ هندوكي ، وبعيدا عن رقابة السلطة ، إضافة إلى أنه ، يمثل الجيل الثالث بعد عصر أكبر ، ومعنى هذا أنه ربما يكون قد اتضحت له جوانب كثيرة فيما يتعلق بعصر أكبر ، ويكون قد أبدى رأيه بوضوح ودون تحفظ ، في إطار ما اطلع عليه من المصادر التاريخية ، وفي إطار هندوكيته ، علاوة على

على أنه عاش فى عصر عرف بشدة التعصب الدينى من قبل أورنگزيب ، على عكس ما أشيع عن بعض فترات حكم أكبر ، من تهاون وتساهل .

ويؤكد المؤلف ، أنه دون خلاصته هذه ، من كتابات من سبقوه فى تاريخ الهند ، ولكنه لم يقم بسرقة العبارات والاستعارات بل قدمها بتعبيره الخاص ، وفق استعداده وقدراته ، ذاكرا سبب هبوط حاكم وطلوع آخر .

٦٢ - عبد الصمد أفضل محمد :

مكاتبات علامى

مطبعة نول كشور ، لكهنو ، ١٢٨٠ هـ .

إن المصنف ابن أخت أبى الفضل وربيبه ، ولقد أتم تصنيفه هذا فى سنة ١٠١٥ هـ ، كما قسمه إلى ثلاثة أقسام : القسم الأول عبارة عن المكاتبات والمراسيم التى وجهت من قبل أكبر إلى زعماء الدول والأمراء الكبار ، والقسم الثانى يشتمل على العرائض والرسائل التى كتبها أبو الفضل لأكبر وللأمراء الكبار ، كما أن القسم الثالث والأخير ، يتضمن منتخبات من كتابات أبى الفضل النثرية .

ويفيدنا الكتاب بقسميه الأول والثانى ، حيث نقل لنا نصا ، بعض الرسائل التى تبادلها أكبر مع بعض زعماء الدول المجاورة فى ذلك الوقت ، وكذلك بعض المراسيم والتشريعات التى أصدرها أكبر .

وكان يقوم بتحرير هذه المكاتبات أبو الفضل بحكم مركزه ككاتب سر للسلطان ، وروعيت فى المكاتبات هذه ، الدقة فى التعبير

وانتخاب الكلمات ،إضافة الى روعتها الأدبية ، وما ينقصها هو خلو الكثير منها من التأريخ ،فلا يعرف هل هذا من عمل المصنف الذى جمع هذه المراسلات على أنها قطعات أدبية رائعة ، أم كانت هى خالية منه ، وعلى أية حال ،لا يصعب تعيين تاريخ لها ، وذلك بالرجوع الى المصادر المعتبرة المعاصرة ، والموجودة لدينا ، والتى كتبت على شكل الحوليات ، وفيها ذكر وإشارة الى مثل هذه المراسلات .

٦٣ - عبد القادر بدايونى :

منتخب التواريخ

[illegible] ،مطبعة نول كشور ،لكهنو ، ١٢٨٤هـ .

إن المؤلف كان من المقربين لبلاط أكبر ، ولقد اشترك فى حركة التأليف والترجمة فى ذلك العصر ، ولقد وقف موقفا معارضا للسلطان حينما قام السلطان بإعلان دين إلهى ، كما يهجم هجوما شديدا على العلماء الذين استسلموا للدنيا ، وتناسوا مسئولياتهم تجاه الدعوة الإسلامية ، مما مهد الطريق أمام تقرب الآخرين للسلطان والتأثير عليه .

ويكاد يكون هو الوحيد الذى انتقد فى كتاباته بعض إجراءات السلطان وبشدة ، فالكتاب مفيد جدا من هذه الناحية ، أى أنه يقدم رأى المعارضة إضافة إلى أهمية الكتاب البالغة كمصدر معاصر للموضوع .

ولقد تم تأليف الكتاب فى جمادى الثانية سنة ١٠٠٤ هـ ، وهو يقع فى ثلاثة أجزاء وفى مجلد واحد ، ويستعرض المؤلف موجز تاريخ

الهند الإسلامي منذ عهد الغزنويين إلى عودة همايون فى عرش الهند ، ثم يبدأ بذكر تاريخ عصر أكبر شاه الذى خصص له ثلثى الكتاب.

٦٤ - غلام حسين خان طباطبائى :

سير المتأخرين

ط ٢ ، مطبعة نول كشور ،لكهنو شوال ١٣١٤هـ/ مارس ١٨٩٧م

يقع الكتاب فى ثلاثة أجزاء وفى مجلد واحد ، وما كتبه المؤلف هو من بداية وفاة عالمگير (١١١٨هـ/١٧٠٧م) إلى سنة ١١٩٥هـ/١٧٨٠م وأما الوقائع والحوادث التى تسبق ذلك التاريخ ، نقلها عن كتاب آخر، لم يذكر اسمه ولا اسم مؤلفه [١] ، وإن كان قد أشار إلى نقله هذا ، ويذكر المؤلف أن كتابه هذا بالانضمام إلى ما نقله من مؤلف سابق يتضمن وقائع حوالى خمسة آلاف سنة ،بالتسلسل والانتظام والإيجاز ، وأما فيما يتعلق بصلب موضوع بحثنا ،فإنه لا يقدم لنا شيئا جديدا ، إلا أنه ربما يقدم ما يفيدنا فى التعرف على الأقاليم الهندية وولاياتها ومدنها ، إذ يعرف أماكن أكثر ، مما عرفها السابقون .

٦٥ - گلبدن بيگم :

همايون نامه

طبع فى إله آباد بالهند ولا يحمل تاريخا لطبعه .

مؤلفة الكتاب هى عمة السلطان أكبر ، وجاء تأليفها ،استجابة لرغبة السلطان ، حيث طلب من كل من يعرف شيئا عن تاريخ أبيه وجده ، أو يتذكر ما يتعلق بأيامه هو ، القيام بتدوين مذكراتهم تلك .

---

(١) ويبدو جليا أن هذا الكتاب هو ما ألفه سجان راى الهندوكى باسم خلاصة التواريخ ، والذى ذكرناه سابقا .

٦٦ - محمد شريف معتمد خان (ت ١٠٤٩هـ) :

إقبال نامۀ جهانگیری

مطبعة نول كشور ،لكهنو ،١٢٨٦هـ/١٨٧٠م.

لقد تم تأليف الكتاب فى سنة ١٠٢٩هـ/١٦٢٠م بكشمير وفى أيام السلطان جهانگير (١٠١٤هـ - ١٠٣٧هـ / ١٦٠٥ - ١٦٢٧م) ، ولقد قسم الكتاب إلى ثلاثة أجزاء : الجزء الأول فى تاريخ الأمير تيمور إلى زمن همايون ، والجزء الثانى فى تاريخ أكبر شاه ، والجزء الثالث والأخير فى ذكر وقائع أيام جهانكير.

٦٧ - محمد عبد القادر خان :

أويماق مغل

مطبعة روزبازار أمرت سر ،پنجاب ،١٣١٩هـ/١٩٠٢م.

إن المؤلف من سلالة المغل ،ولقد أتم تأليف كتابه هذا فى شعبان سنة ١٣١٩هـ الموافق لنوفمبر من سنة ١٩٠١م ، وكان أثناء التأليف ، مؤظفا فى الإدارة الانجليزية بما لـوه .

والكتاب يقع فى ٨٣٢ صفحة ، وهو مهم جدا فى التعرف على القبائل المغلية المتعددة ،ومن وصل منها إلى الحكم فى مناطق مختلفة من العالم ،وربما يكون الكتاب فريدا فى نوعه ، وكذلك تحدث المؤلف فى كتابه عن الدول الإسلامية المعاصرة له ، وعلى رأسها الخلافة العثمانية بقيادة السلطان عبد الحميد الثانى الذى يذكره المؤلف بالحب والدعاء له .

٦٨ - محمد غياث الدين :

غياث اللغات

سعيد كمينى ،كراچى ، بدون تاريخ

إن المؤلف كان من أهالى لكهنو بالهند ، ولقد ألف معجمة اللغوى هذا فى سنة ١٢٤٢ هـ مستفيدا من كثير من المعاجم والكتابات السابقة من عربية وفارسية وتركية وهندية ، ولقد صرح بأسماء كثير من المصادر والمراجع التى استفاد منها .

ولا شك أن هذا المعجم قد ساعدنا كثيرا فى حل بعض الكلمات والمصطلحات وخاصة فيما يتعلق بالمصطلحات التركية والهندية الواردة فى مصادر البحث.

٦٩ - محمد قاسم هندوشاه استرآبادى المهشور بفرشته :

تاريخ فرشته

ط ٣ ، مطبعة نول كشور ،لكهنو ، ١٣٠١هـ/١٨٨٤م

اشتهر هذا الكتاب بتاريخ فرشته ، مع أن المؤلف نفسه قد سماه گلشن إبراهيمى ، نسبة إلى إبراهيم عادلشاه الثانى حاكم بيجاپور ، الذى ألف الكتاب بتشويق منه .

ويقع الكتاب فى جزئين وفى مجلد واحد ، ويقول المؤلف إنه سعى لجمع مادته التاريخية من أطراف الممالك وأكنافها ، وحصل على كثير من النسخ ،ولم يجد فى هذه الكتب ، كتابا يشمل حالات جميع ملوك الهند ، فبذل أقصى جهده لقراءة كتب المتقدمين ، وجمع خلاصة هذه الكنوز فى كتابه المذكور ، وبدأ بتأليف الكتاب فى سنة ١٠١٥ هـ إلا أنه أشار فى كتابه إلى الحوادث التى وقعت [1] فى سنة ١٠٣٣ هـ ، مما يدل

---

(١) تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ص ٢٩١ .

أن تأليف الكتاب استغرق وقتا طويلا . وجاء الكتاب متضمنا على تاريخ الهند منذ أقدم العصور وإلى زمان المؤلف ، كما أن الكتاب ينفرد بذكر معلومات قيمة فيما يتعلق بالوجود البرتغالى فى الساحل الهندى ، وأفاده فى هذا قربه من الأحداث ، حيث عاش فى بيجاپور المطلة على المحيط الهندى ، وعلى مقربة من مقر حاكم البرتغاليين فى گووه ، وكذلك لا يغفل المؤلف عن ذكر المصادر والمراجع التى أخذ عنها مادته التاريخية ، كما يختم كتابه بتعريف موجز لجغرافية الهند .

٧٠ - محمد هادى معتمد الخدمة :

توزك جهانگيرى

مطبعة نول كشور ، لكهنو ،بدون تاريخ

إن المؤلف كان من أمراء جهانگير المعتمدين ،ويقول إنه من أوائل سنوات رشده وإلى بدايته لتدوين هذا الكتاب وهو فى الستين من عمره ، كان يرغب فى قراءة التاريخ والسير ، وقرأ بنظرة الاعتبار ، كثيرا من الكتب التاريخية ، ويضيف أن جهانگير حرر بنفسه وقائع أيام حكمه من بداية الجلوس (١٠١٤هـ/١٦٠٥م) إلى السنة الثامنة عشرة من سنوات حكمه ، فبدأ هو يكمل كتابة وقائع بقية سنوات حكمه ، عارضا ما كتبه إلى جهانگير للتصحيح .

وما كتبه جهانگير بنفسه ، يكون أهم موضوعات الكتاب بالنسبة لموضوع البحث ،إذ يعرض فيه ،كثيرا من الوقائع والحوادث التى عايشها فى عصر والده ، وبما أنه يكتب هذا التاريخ وهو جالس على العرش خلفا لأبيه فان احتمال المجاملة والحيطة فى ذكر ما فات ومضى ، يكون ضعيفا ، وكما أشرنا فى السابق يوجد لهذا الجزء الذى كتبه جهانگير ، نسخة مخطوطة مذهبة فى مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة .

٧١ - نظام الدين أحمد بن محمد الهروى (ت : ١٠٠٣هـ) :

طبقـــات أكـــبرى

مطبعة نول كشور ،لكهنو ، ١٢٩٢هـ/١٨٧٥م

كان المؤلف من المقربين للسلطان ، وكان يعمل فى منصب بخشـــى ـــ گرى ، وألف كتابه هذا فى سنة ١٠٠٢هـ، وهو أول كتاب تاريخـــى جامع لجميع أقاليم الهند ، منذ عهد سبكتكين وإلى سنة ١٠٠١ هـ.

ولقد ذكر المؤلف المصادر والمراجع التى أخذ منها ، كما قسم كتابـــه إلى مقدمة وتسع طبقات وخاتمة ، وذكر فى المقدمة أحوال الغزنويـــين وطبقات الكتاب هى كالآتى : طبقة دهلى ،طبقة دكن ،طبقة گجرات ، طبقة بنگاله ،طبقة مالوه ، طبقة جونپور ،طبقة سند ،طبقة كشمير وطبقـــة ملتان ، وخصص الخاتمة فى ذكر بعض الخصائص المتفرقة لهند وستان .
والكتاب هذا مفيد جدا لموضوع بحثنا ، فبالإضافة إلى أنه مصدر ألفـــه أحد رجالات السلطان أكبر ، والذى عايش كثيرا من الوقائع المتعلقـــة بذلك العصر ، فهو يبدو فى كتاباته معتدلا ،ولا يغلو فى مد حـــــه للسلطان كما هو واضح فى كتابات أبى الفضـــل .

المراجع الفارسية

٧٢ - حسن عميد :

فرهنگ عميد (دو جلدى)

مؤسسة انتشارات أمير كبير ، تهران ، ٢٥٣٧ شاهنشاهى

إن هذا الكتاب عبارة عن معجم لغوى فارسى حديث ، ساعدنا كثيرا فى حل بعض الكلمات والمصطلحات .

٧٣ - خليل الله خليلى :

آرامگاه بابر

أنيس لمتد مؤسسة ، كابل ، ١٣٧٣ هـ

إن هذا المؤلف عبارة عن رسالة صغيرة ، كتبت فى بيان ضريح بابر فى كابل ، إلا أنها أشارت أيضا إلى وقائع تتعلق بمحمد حكيم مرزا ، حاكم كابل ، فى عصر أكبر .

٧٤ - عبد الحى حبيبى :

ظهير الدين محمد بابر شاه

بيهقى ، كابل ، ١٣٥١ هـ ش

إن المؤلف باحث تاريخى معروف فى أفغانستان ، وألف كتابه هذا فى تاريخ بابر شاه ، إلا أننا استفدنا منه فى حل بعض المصطلحات العسكرية والإدارية وغيرها ، كما يشير المؤلف أحيانا إلى وقائع تتعلق بعصر أكبر .

٧٥ - م . آد ينفـــر :

دائرة المعارف زريـــن

انتشارات زرين ، تهران ، بدون تاريخ

المراجـع الانجليزيـــة

76 - IBN HASAN :

The Central Structure of the Mughal Empire
Ed.II. Oxford University Press (Pakistan Branch),
Karachi, 1967.

يتناول الكتاب التشكيلات المركزية للدولة المغلية فى الهند ، منـــذ مباشرة السلطان أكبر الحكم فى ٩٦٧هـ/١٥٦٠م إلى نهاية حكـــم السلطان شاه جهان فى ١٠٦٨هـ/١٦٥٧م.

77 - ISHWARI PRASAD :

A Short History of the Muslim Rule in India.
Indian Press, Allahabad, 1982.

يتناول الكتاب حكم المسلمين فى الهند ، منذ دخول الإســلام فيهــا إلى وفاة السلطان أورنكزيب (١١١٨هـ/١٧٠٧م) ، ومؤلف الكتــاب أستاذ فى جامعة إله آباد بالهند .

78 - PERCIVAL SPEAR :

A History of India
V.II, Ed. XI, London, 1982.

المجلد الثانى من هذا الكتاب ، يتناول تاريخ الهند منذ العهـــد المغلى إلى استقلال الهند وتقسيمها إلى دولة مسلمة وأخرى هندوكية.

79 - S.M. EDWARDES and H.L.O.GARRETT:

Mughal Rule In India

Asian Publication Services, New Delhi, 1979.

يتناول الكتاب تاريخ الحكم المغلى فى الهند منذ دخول بابر شاه وإلى عصر السلطان أورنكزيب (١٠٦٩هـ/١٦٥٥م-١١١٨هـ - ١٧٠٧م).

80 - VINCENT A. SMITH, C.I.E.

Akbar

The Great Mogul

Ed.II, S. Chand Company, New Delhi, 1966.

يتضمن الكتاب كلاما موجزا عن أسلاف أكبر وعودة والده إلى عرش الهند ،ثم يبدأ بشرح تاريخ دولة السلطان أكبر.

الفہرست

الفهـــــــــــرس

الصفحة

المقدمة — ٢ - ٢١

الفصل الأول : الحالة غداة بدء عصر السلطان أكبر — ٢٢ - ٨٠

- وفاة همايون وجلوس أكبر على العرش
- هيمو
- شاه أبو المعالى
- بيرم خان
- نساء القصر
- بنى أعمام السلطان
- الأزابكة .

... ...

الفصل الثانى : تأمين أبواب الهند وغزو الدكن — ٨١ - ١٦٦

- مالوه
- قلاع الراجپوت
- گجرات
- بنگاله
- كابل
- كشمير
- السند
- بلوچستان
- الدكن

... ...

الصفحة

الفصل الثالث : الأحوال الداخلية . ١٦٧ - ٢٥٥

- الإدارة
- الجيش
- الدستور
- الاقتصاد
- الثقافة والفنون
- قافلة الحجيج الهندية
- أكبر والهنادكة
- مذهب ((دين إلهى))

... ...

الفصل الرابع : العلاقات الخارجية وموقف أكبر من البرتغاليين على الساحل الهندى . ٢٥٦ - ٣١٨

- العلاقات مع الأزابكة
- العلاقات مع الصفويين
- العلاقات مع العثمانيين
- موقف أكبر من البرتغاليين

... ...

الخاتمة : التحليل والنتائج . ٣١٩ - ٣٧٢

خريطة الدولة المغلية فى نهاية عصر السلطان أكبر ٣٧٣ ، ٣٧٤

الصفحة

ملحق المصادر والمراجع : ٣٧٥ - ٤١١

- مخطوطة عربيـــة
- مصدران عربيـــان
- المراجع العربيـــة
- المراجع المترجمة للغة العربية
- المخطوطات الفارسية
- المصادر الفارسيـــة
- المراجع الفارسيـــة
- المراجع الإنجليزيـــة

... ...

الفهـــــرس ٤١٢ - ٤١٥

... ...